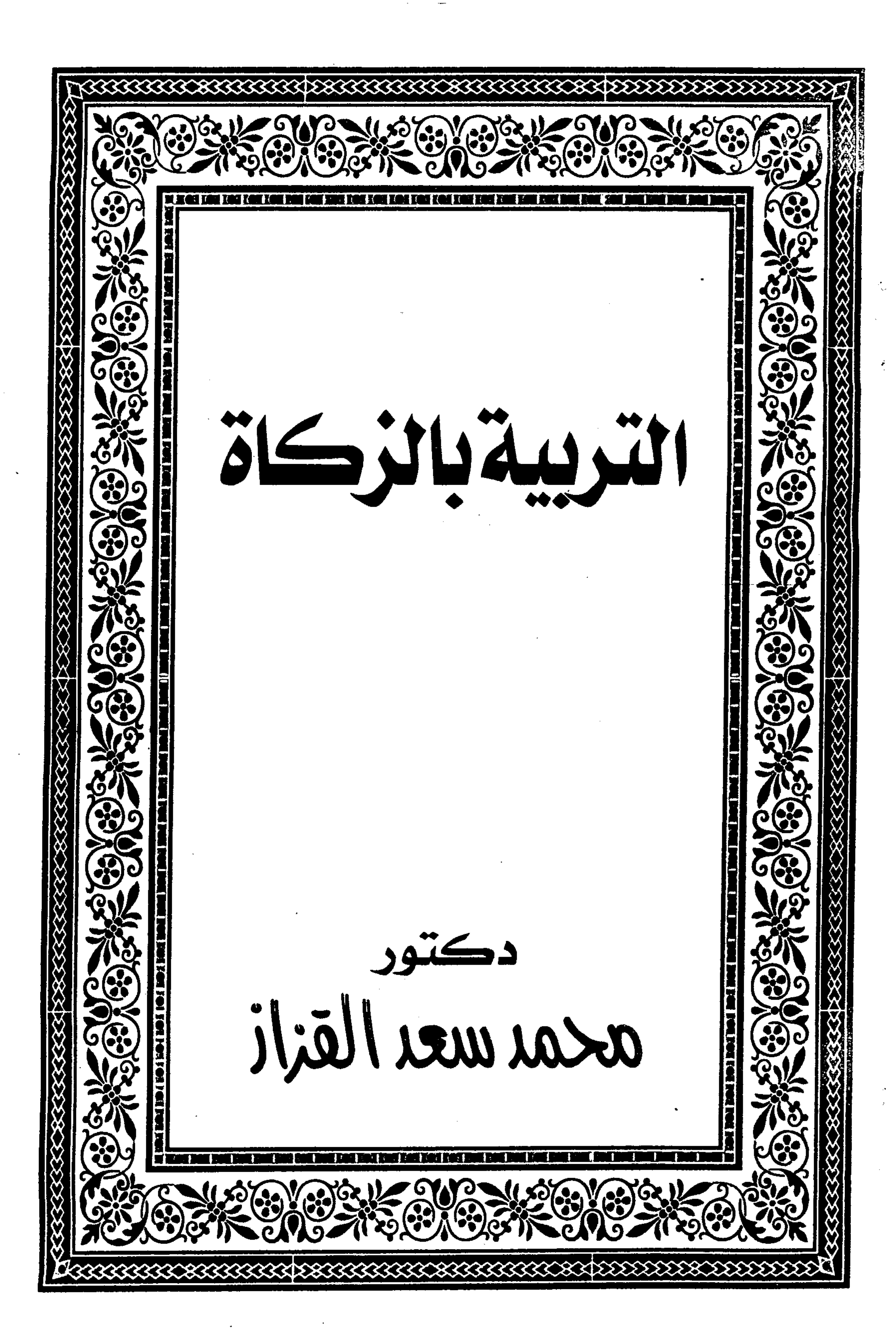
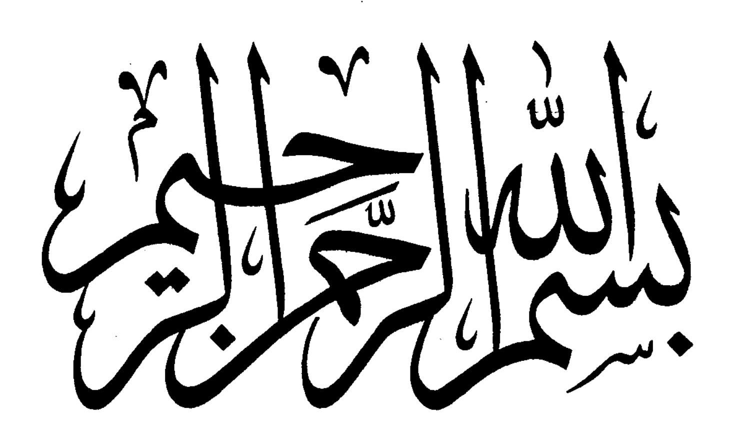


التربية بالزكاة

دكتور
محمد سعد القزاز


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

((مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم))[1]

قال الله تعالى :

((إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم))[2]

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

(٢) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن أعربياً أتى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : دلنى على عمـــل إذا عملتـــه دخلت الجنة ، قال : أن تعبد الله ؛ لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكـــاة المفروضـــة ، وتصـــوم رمضان ، قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا ، فلمـــا ولى ، قال النبى (ﷺ): من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا "(١)

(١) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، الطبعـــة الخامسة (كتاب الزكاة ، الحديث رقم ٦٩٨) بيروت ، دمشق ، المكتب الإســـلامى ، ١٤٠٦هـــ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٢٨ .

إهـــــــداء

إلى الذين تطهـــروا بالزكـــاة

الذين عُولجـــوا بالزكـــاة ...

الذين حَصنوا أموالهم بالزكاة .

أهدى إليهم هذا الكتاب

التربيـــة بالزكـــــاة ..

راجياً من الله أن يطهر قلوبنا .

وان يزكـــــى نفوسنـــــا .

وأن يرزقنا رزقاً حلالاً طيباً .

وان يبارك لنا فيه ... آمين .

إنه ولى ذلك والقادر عليه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

محمد سعد القزاز

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ". (١)

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً " . (٢)

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً " .(٣)

أما بعد ... فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد (ﷺ) وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . .

فهذا هو الكتاب الرابع من " سلسلة أساليب التربية الإسلامية " ، وقد سبقه " التربية بالصوم " " والتربية بالصلاة "و " التربية الإسلامية بالأمثال القرآنية "

وهذا كتاب " التربية بالزكاة " أرجو له من الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به ..... آمين .

إن الحياة فى رحاب التربية الإسلامية نعمة عظمى ، لا يقدرها إلا من عرفها ، ولا يعرفها إلا من عاشها وذاقها ، فهى حياة تزكى العقل وتطمئن

---

(١) قرآن كريم : سورة آل عمران ، الآية ١٠٢ .

(٢) قرآن كريم : سورة النساء ، الآية ١.

(٣) قرآن كريم : سورة الأحزاب ، الآية ٧٠ ، ٧١ .

النفس وتملأ القلب علماً ومعرفة ، ونوراً ويقيناً ، وثقة في الله تعالى ، واطمئناناً بقدره ورضاءً بحكمه ، وإن هذه الحياة تبارك العمر ، وتفرج الكرب، وتثلج الصدر ، إنها حياة فى رحاب المنهج الإلهى ، حياة فى كنف الله ورعايته وتشريعه وكرمه ، تعيش فيها النفس فتتلقى عن ربها ، وتتربى بالعبادات الإسلامية التى جعلها الله تعالى أساليب تربوية لتربية وتهذيب الشخصية الإسلامية ، وأعدها إعداداً يتناسب مع الهدف الذى من أجله خلق الله هذا الإنسان ، إعداداً يجعل من الإنسان خليفة .

الحياة فى ضوء العبادات الإسلامية ، حياة زاخرة بالمعانى والقيم الإسلامية النبيلة التى تقوم عليها حياة الفرد والجماعة داخل المجتمع المسلم، من أجل سعادة الدنيا والآخرة ، لقد استوعبت التربية بالعبادات الحياة الإنسانية بكل بيئاتها ، وكل حالاتها ، واستوعبت الفطرة الإنسانية ، وطاقات الإنسان ، وقدراته ، ومهاراته ، وإمكاناته ، وحالاته بين الارتفاع والهبوط ، بين الغنى والفقر ، بين السعادة والشقاء .

جاءت التربية بالعبادات ، لتزكية الشخصية الإنسانية ، والوصول بالفرد إلى أقصى ما يمكن من درجات الكمال البشرى ، من أجل تحقيق خلافة الإنسان على شرع الله على الأرض ، وسعادته فى الدنيا .

إن التربية بالعبادات ، هى تربية فى ضوء المنهج الإلهى الذى لم يترك شيئاً فى الوجود للقوانين الآلية ، أو المصادفات العمياء ، وإنما استوعب هذا المنهج الوجود كله صغيره وكبيره ، دقيقه وجليلة ، وقد أحكم هذا المنهج كل شيئ هذا الوجود وفق سنن إلهية ، وقوانين ربانية ، مدبرة طليقة ، تعمل بطريقتها ، وليس على هوى من يهوى أو رغبة من يرغب ، إنها تعمل وفق مشيئة القدرة الإلهية . وهو سبحانه وتعالى القاهر فوق عباده .

جاء كتاب " التربية بالزكاة " فى ستة فصول ، كالآتى :-

<u>الفصل الأول :</u> الزكاة أسلوب تربوى .

بينت فى هذا الفصل كيف نتربى بعبادة الزكاة ، وهى بحق أسلوب عملى وتطبيقى استوعب جوانب الشخصية الإسلامية (العقدية ، الأخلاقية ، الاجتماعية ، والاقتصادية ، والنفسية).

<u>الفصل الثانى :</u> المبادئ الإسلامية التى تقوم عليها الزكاة

بينت فى هذا الفصل ما معنى المبدأ ، وما أهم هذه المبادئ التى تقوم عليها فريضة الزكاة فى الإسلام وتنطلق منها ، كى يتحقق المجتمع الإسلامى المتكامل من خلال فريضة الزكاة .

<u>الفصل الثالث :</u> الزكاة فى الشريعة الإسلامية

بينت فى هذا الفصل مكانة الزكاة فى الشريعة الإسلامية ، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

كما بينت علاقة الزكاة بالتربية العقدية الإسلامية ، وكيف اختلفت هذه التربية عن مثيلاتها فى بيئات غير إسلامية .

وأخيراً تعرضت لعدد من القيم الإسلامية التى ارتبطت بفريضة الزكاة باعتبار أن هذه القيم هى محكات ومنطلقات ومعايير تربوية .

<u>الفصل الرابع :</u> الزكاة بين الترغيب والترهيب

تناولت فى هذا الفصل فريضة الزكاة من خلال الترغيب والترهيب ، كما جاء فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة ، وذلك كعملية تبصير وتوعية وحث على التربية بالزكاة .

الفصل الخامس : الزكاة والمجتمع الإسلامى

تناولت فى هذا الفصل فريضة الزكاة وعلاقتها بالتربية الاجتماعية ، وكيف تعمل على تقوية المجتمع الإسلامى ، واستمراره ، وتنميته .

كما تناولت مجموعة من القيم المرتبطة بالزكاة ، وبينت دورها فى عملية التربية بالزكاة .

الفصل السادس : الزكاة والصحة النفسية

بينت فى هذا الفصل العلاقة بين العبادات – ومنها الزكاة – بالصحة النفسية ، وكيف أنها علاج للشخصية من التوترات والقلق الذى يصيب الشخصية المسلمة نتيجة لاستغراقها فى ماديات الحياة أو التكالب عليها أو نتيجة لعدم الإحساس بالغير من الفقراء والمحتاجين .

وأخيراً :

أحمد الله تعالى أن وفقنى لإنهاء هذا الكتاب بالصورة التى جاء عليها، وادعوه مخلصاً أن يتقبله منى ، وأن ينفع به كل من يقرأه .

فإن كنت قد وفقت فى تحقيق الهدف المرجو منه ، فهذا من الله تعالى وما توفيقى إلا بالله " ، وإن كانت الأخرى ، فحسبى إنى بذلت غاية جهدى ... وأخذت بالأسباب ، وليس علىَّ إدراك النتائج .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه ورسوله محمد" وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

دكتور

محمد سعد القزاز

فهرس الكتاب

الموضـــــــوع	الصفحة

الفصل الأول

الزكـــاة أسلـــوب تربـــوى

الزكاة أسلوب تربوى

تستمد الشريعة الإسلامية أصولها ومبادئها من القرآن الكريم ، وما صح عن رسول الله (ﷺ) وتنظم هذه المبادئ ، وتلك الأصول العلاقات الاجتماعية بين الناس بعضهم بعضاً ، وبينهم وبين خالقهم سبحانه وتعالى .

ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية كل ما ينفع المسلم فى حياته الدنيا ، وحياته الأخروية ، وكل ما من شأنه أن يقيم مجتمعاً إنسانياً صالحاً ، وكان من أوائل ما تضمنته " الأهداف الاجتماعية " التى جاءت بها ، والتى عرفت باسم " المقاصد العليا للشريعة الإسلامية " وقد جاءت هذه الأهداف أو المقاصد العليا " لتكوين مجتمع فاضل يضم الأسرة الإنسانية كلها ، قاصيها ودانيها ، وابتدأت فاتجهت إلى تربية المسلم ليكون عضواً فى مجتمع ". (١)

كما حددت الشريعة الإسلامية " أساليباً إجرائية " خاصة بها تتفق وتوجهاتها وفلسفتها ونظرتها الخاصة بفكرة الألوهية ، وقضية الكون ، وقضية الإنسان ، كان ذلك من أجل تحقيق " الأهداف الاجتماعية " أو " المقاصد العليا لها " ، وكانت العبادات هى تلك الإجراءات أو الأساليب العملية، المعينة لتحقيق تلك الأهداف . أى أن العبادات الإسلامية والفضائل والمبادئ السامية التى دعا إليها الإسلام ، شرعت " لتهذيب النفوس وتربية روح المساواة ، روح الاجتماع الذى لا اعتداء فيه " ، " وإذا كانت العبادة لا تحقق تلك الأهداف ؛ فهى ليست عبادة ، ولا يقبلها الله ، وهى تجلب الذم لصاحبها ". (٢)

---

(١) ، (٢) الإمام محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٥م ، ص ٢٠ .

إن المعنى اللغوى للزكاة هو النماء ، وقد اصطلح بهذا القرآن على حصة من المال وما يماثله ، يوجب الشرع إعطاءها للفقراء وأشباههم ، بشروط خاصة ، وتتصل بها الصدقة المذكورة فى القرآن ، وهى مشتقة من الصداقة، وكأنما أراد الله – جل شأنه – بتسميتها ، أنها تغرس المودة بين المسلمين بما تسخو به نفوسهم ، من أموال ، بإعطائها إخوانهم من الفقراء والمساكين .

الزكاة جزء من العبادات فى الإسلام ، وهى عبادة مالية ، اجتماعية ، وهى معونة الفقير المسلم ، بجزء من مال أخيه الغنى ، وهى ركن من أركان الإسلام ، الذى بنى على خمس " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان " ؛ فالزكاة دعامة من دعائم الإيمان ، وهى حق الله تعالى ، لأنه المالك الحقيقى لكل ما خلق فى كونه الواسع الفسيح ، فالمال مال الله ، إنه خالقه وميسر سبله ، وواهبه ، ومانح الإنسان القدرة على اكتساب هذا المال ، وهو سبحانه وتعالى الموفق للإنسان للتصرف فى هذا المال ، وفى إنفاقه للخير .

ومع أن الزكاة – حق الفقراء من المسلمين فى أموال الأغنياء منهم ، فهى أيضاً حق الجماعة المسلمة أيضاً " فالإنسان لم يكسب المال بجهده وحده، بل شاركت فيه جهود ، وأفكار ، وأيد كثيرة ، بعضها عن قصد، وبعضها عن غير قصد ، بعضها ساهم من قريب ، وبعضها ساهم من بعيد ، وكلها أسباب عاونت فى وصول المال إلى ذى المال " (١).

يقوم الإسلام – فى سبيل تكوين مجتمع فاضل – على التصور الإيمانى الصحيح ، يقوم فيه الفرد المسلم ، وأيضاً الجماعة المسلمة بدورها

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ، الطبعة التاسعة عشر ، بيروت . مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٢٥٥ .

فى تنظيم حياة المجتمع المسلم ، شرع الزكاة المفروضة ، وحض على الصدقات المتروكة للتطوع من أجل تكافل إنسانى " وتعاون اجتماعى يجعل للفقير حقاً معلوماً فى أموال الغنى" على اعتبار أن الزكاة " تكليف اجتماعى خالص ، ومصرفها اجتماعى خالص ، ونظامها فى الجمع والتوزيع لا يذل الفقير ، ولا يجعل الغنى يشعر بعزته فوقه " . (١)

ولم تترك الشريعة الإسلامية الزكاة يحدد الأغنياء جهات صرفها ، أو مواقيتها ، أو المستفيدين منها ، ولكن الله تعالى حدد الجهات التى تصرف إليها الزكاة ، ولم يدعها تبعاً لأهواء الأغنياء القادرين بحيث ينفقون منها على ترفهم ، ولأتباعهم ، كما يحلو لهم ، وبدون ضوابط شرعية ، فقال تعالى محدداً المستفيدين منها : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " . (٢)

قام المجتمع الإسلامى على أساس قوى من الأخلاق الإسلامية التى تكفل الحياة الكريمة القائمة على العلاقات الإنسانية ، لإقامة قواعد النظام الاقتصادى الاجتماعى الذى يريده الإسلام للمجتمع ، والذى ينبغى أن تنتظم حياة الجماعة المسلمة فى ضوئها : " إنه نظام التكافل والتعاون الممثل فى الزكاة المفروضة والصدقات المتروكة للتطوع " . (٣)

اشتملت العبادات فى الإسلام على مجموعة من القيم والمبادئ ، التى قامت على أساس تقوى الله تعالى ، على اعتبار أن هذه القيم هى " الأساس الأول فى ضبط علاقات الإنسان داخل مختلف الجماعات الاجتماعية ، التى

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٢) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣٠٤ .

ينتمى إليها الإنسان [١] ، ومن القيم التى اشتملت عليها العبادات ، ومنها الزكاة . على سبيل المثال ، فى مجال التربية الاجتماعية قيمة " التعاطف " فى المجتمع الإسلامى ، والتى ترسم الصورة الحقيقية ، والمثالية القابلة للتطبيق لما ينبغى أن تكون عليه العلاقات الإنسانية فى المجتمع الإسلامى ، وقد تمثلت هذه القيمة الإسلامية الرائعة فى قول رسول الله (ﷺ):" مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . [٢]

لقد اعتبر الإسلام الحنيف " أساس العلاقات الإنسانية كلها الرحمة والمودة ، فالمودة الإنسانية قانون شامل لكل العلاقات الإنسانية ، ولقد اعتبرها الصلة التى تربط كل من فى هذه الأرض من بنى الإنسان " . [٣]

ولما كان الأساس الأول لبناء المجتمع الإسلامى يقوم على الأخلاق الفاضلة التى حددها الإسلام وجاء نبى الإسلام محمد (ﷺ) ليتمم مكارمها ، فقد عمل الإسلام على تربيتها بالعبادات " . [٤] ومنها الزكاة المفروضة والصدقات المتروكة للذين يجودون بخير أموالهم وينفقون منها سراً وعلانية.

---

(١) الدكتور نبيل السمالوطى : بناء المجتمع الإسلامى ونظمه ، دراسة فى علم الاجتماع الإسلامى ، جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ص ٢٦

(٢) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، الطبعة الثانية (الرياض ، مكتبة المعارف) ، (عمان ، الأردن ، المكتبة الإسلامية). (باب المؤمنون كرجل واحد فى التراحم والتعاطف ، الحديث رقم ١٧٧٤)، ١٤١٢هـ، ص ص ٤٦٧ / ٤٦٨ .

(٣) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٤) المرجع السابق : ص ٢٤ .

تضمنت الشريعة الإسلامية باعتبارها " النظم والأحكام التى شرعها الله ، أو شرع أصولها ، وكلف المسلمين بها ليأخذوا أنفسهم بها فى علاقتهم بالله وعلاقتهم بالناس " (١) ، تضمنت محورين رئيسيين هما :-

(١) الجوانب السلوكية ، والمتمثلة فى العبادات الإسلامية ، وهى بمثابة الإجراءات العملية ، أو التربية العملية التى يمارسها المسلم ، تطبيقاً فعلياً للمبادئ والقيم والمثل العليا والقوانين الإلهية التى افترضها الله على عباده، هذه العبادات هى التى " تحدد العلاقة بين الإنسان وربه ، ومن خلالها يتم التقرب إليه سبحانه وتعالى ، باستحضار عظمته ، وتكون عنواناً على صدق إيمان المسلم بالله تعالى وحسن مراقبته .

(٢) الجوانب السلوكية الذاتية والاجتماعية ، والمتمثلة فى المعاملات التى تستهدف الحفاظ على المصالح المشتركة بين الناس ، وتجنب الأضرار والمظالم ، وسيادة الأمن ، والاطمئنان والسلام ، والتماسك الاجتماعى ، عن طريق التكافل الاجتماعى ، والمساواة والعدل داخل المجتمع الإسلامى .

وفى هذه الدراسة ، نتناول " الزكاة " وعلاقتها بالتربية ، على اعتبار أن الزكاة محددة لعلاقة المسلم بربه من ناحية ، ومحددة لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان من ناحية أخرى ، من خلال التماسك الاجتماعى الذى يحدث فى المجتمع المسلم نتيجة التكامل والتعاون والتراحم الموجود والسائد بين الأغنياء والفقراء ، باعتبارهم هم الذين يكونون نسيج المجتمع المسلم وأن العدالة الاجتماعية فى المجتمع الإسلامى ، والزكاة بهذا المعنى " ليست موجبة إلغاء الفقر فى هذا الوجود بل هى توجب تخفيف ويلاته النفسية والمادية " . (٢)

---

(١) دكتور نبيل السمالوطى : مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٢) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

تتناول التربية الإسلامية كل جوانب الشخصية الإنسانية ، من خلال قدراتها ، واستعداداتها ، مستهدفة استثمار هذه القدرات ، وتلك الاستعدادات ، واستخدامها لصالح الفرد المسلم . من أجل الوصول إلى الأهداف التى تنشدها التربية الإسلامية .

ولقد استخدمت التربية الإسلامية لذلك أساليب تربوية عديدة ، ورغم تعددها ، واختلافها إلا أنها لا تخرج عن ارتباطها بالمنهج الإسلامى ، أو التصور الإسلامى للتربية ، الذى يهدف إلى الإعداد للعبودية الخالصة .

ومن بين الأساليب التربوية التى استخدمتها التربية الإسلامية ، التربية بالعبادات ، هذه العبادات التى تعد بحق " الأسلوب العملى والطريقة الأولى فى التربية " والإعداد لعبادة الله حق العبادة ، وقد تناولت هذه العبادات جوانب الشخصية الإسلامية كلها . (١)

وتعد الزكاة أحدى هذه العبادات ، وهى فى نفس الوقت أسلوب من أساليب التربية الإسلامية (العقدية ، الأخلاقية ، الاجتماعية ، والاقتصادية) وعن طريق الزكاة يتربى المسلم على إطاعة الأوامر الإلهية ، كما يتربى على مقاومة الأنانية والإفراط فى النزعة المادية ، والفردية على حد سواء (٢) .

---

(١) انظر (أ) دكتور محمد سعد القزاز : التربية بالصوم ، القاهرة ، الأنوار المحمدية للطباعة، ٢٠٠٣م .
(ب) ———————— : التربية بالصلاة ، طنطا ، الأنوار المحمدية للطباعة ، ٢٠٠٣م .

(٢) دكتور محمد فاضل الجمالى : تربية الإنسان الجديد ، تونس ، الدار التونسية للتوزيع ، ١٩٦٧م ، ص ١٣٥ .

استخدم القرآن الكريم أساليبه التربوية ، بهدف تعديل سلوك الإنسان ، والوصول به إلى درجة الاستخلاف على الأرض ، والقيام بعمارتها حسب شرع الله تعالى ، وبيانه له ذلك ، على أنه لا يفهم من ذلك أن القرآن الكريم " مجرد كتاب يلتزم منهجاً واحداً لبيان تشريعاته ، وليس مجرد كتاب أدب يبغى هز المشاعر والأحاسيس ، وإثارة الأخيلة ، وإنما هو- القرآن الكريم – كتاب لتربية الناس ، ينوع من أساليبه ، باختلاف المواقف والموضوعات ، فلم يعبر فى كل ما كان واجباً بمادة الوجوب ، ولا فى ما هو محرم بمادة الحرمة، بل تراه يعبر طوراً عن الواجب بصفة الأمر بالفعل " (١) ويظهر هذا على سبيل المثال – لا الحصر – فى قول الله تعالى حاثاً على الصدقة ، محفزاً لها، وحاضاً عليها : " خذ من أموالهم صدقة تظهرهم وتزكيهم بها " (٢) .

إن الزكاة فريضة توجب المودة بين المسلمين ، بين الغنى والفقير ، المزكى والمتلقى ، إذ أن المودة هى أساس العلاقات الإنسانية بين البشر بصفة عامة ، وبين المسلمين على وجه الخصوص .

ولقد فرض الله تعالى الزكاة لضمان قيام المجتمع الإسلامى المنشود ، القائم على التكافل والتعاون ، والتعاطف والتراحم ، والبر والصلة ، من أجل أن يحيا حياة إنسانية كريمة ، فى جو من التسامح والإخاء، كى يشعر كل فرد من أفراده بالفرد الآخر ، وأن يعطف الكبير على الصغير ، والغنى على الفقير، والقادر على غير القادر ، ومن عنده فضل ظهر على من ليس عنده .... وبالتالى يحترم الصغير الكبير ويحب الفقير الغنى ولا يحسده ولا يحقد عليه ولا يبغضه .

---

(١) دكتور سعيد اسماعيل على : أصول التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م ، ص ٢٢ .

(٢) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

- تظهر العبادات الإسلامية لنا على أنها أعمال تعبدية ، ورياضات روحية ترتبط بمعان سامية ، وتنبع من فطرة النفس البشرية ، وتتفق معها ، فالصلاة مثلاً تعد أحد الأساليب التربوية الإسلامية الذى يعنى بتنظيم حياة المسلم اليومية ، كما يعد الصوم أحد الأساليب التربية الإسلامية الذى ينظم حياة المسلم الغذائية والجسمية ، أما الزكاة فهى أسلوب تربوى يهتم بتنظيم حياة المجتمع الإسلامى الاقتصادية ، والمادية ، المتكافلة ، كما تقوم أيضاً بتنظيم وإحياء وحدة المجتمع الإسلامى الكبير . (١)

يهدف الإسلام إلى إقامة مجتمع أساسه العدل والمساواة والتعاون والتراحم مصداقاً لقول رسول الله (ﷺ) : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه ، كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله يوم القيامة " . (٢)

وتحبب السنة النبوية فى فضائل الكرم والتراحم ، فيقول رسول الله (ﷺ) : " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له " . (٣)

اعتنى الإسلام بالفرد قدر عنايته بالجماعة الإنسانية ، فارتباط الإنسان بجماعته يهيئ للحياة الفردية وضعاً اجتماعياً ، هو نوع من الأخوة يشعر معها الفرد بتزايد فى القوة والأمن . وقد فرض الإسلام فرائض لتربية

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية فى البيت ، والمدرسة ، والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص ٥٣ .

(٢) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم : تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجع سابق ، الحديث رقم ١٨٣٠ ، ص ٤٧٨ .

(٣) المرجع السابق : الحديث رقم ١٠٦٦ ، ص ٢٧٨ .

المسلم، ليكون لبنة فى صرح المجتمع المسلم الشامخ ، وعضوا فى جماعة المؤمنين ، ومن هذه الفرائض عبادة وفريضة الزكاة التى تعد أسلوباً تربوياً إسلامياً تدفع المسلم " إلى المساهمة بماله فى سبيل إسعاد مجتمعه ، وفى بذله وصدقه وبره إحساس بالجماعة وشعور بالأخوة والحب " . (١)

ومع أن الزكاة تعد أسلوباً تربوياً ، فهى الجانب " المالى " الذى يمثل حق الفقير المحتاج على أخيه الغنى بمقتضى الأخوة المشتركة بينهما ، ومع أن الإسلام هو دين العمل والنشاط ، والإنتاج ، إلا أنه لم يقصد بفريضة الزكاة أن " يجعلها حلاً لمشكلة الفقر فى المجتمعات الإنسانية ، فإنما تحل مشكلة الفقر فى المجتمع الإسلامى بالعمل ، والسعى فى طلب الرزق " . (٢)

لقد جاء الإسلام بالوسيلة التى لا غنى عنها فى مكافحة الفقر ، وحل مشكلته يوم جعله ضرورة لا تباح للمسلم إلا كما تباح الضرورات التى لا حيلة فيها ولا اختيار معها ، وإنما فرض الزكاة لمن أصابتهم تلك الضرورات وأقعدتهم عن السعى ، واستنفذوا – مع المجتمع – كل حيلة فى تدبير العمل المستطاع ، ومن لم يكن منهم مستطيعاً عملاً بتدبير من الإمام أو بتدبير من نفسه ، فهو مكفول الرزق بما تجبيه الدولة من حصة الزكاة حقاً معلوماً يتقاضونه من الإمام ولا هوادة فيه . (٣)

يحض الإسلام المسلم على العمل ، والجد وبذل الجهد ، وطلب الرزق الحلال عن طريق العمل والنشاط المشروع ، وهو إذ يفعل هذا ويقره ، إلا أنه

---

(١) الدكتور عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الإسلامية ، طرابلس ، ج.ع. ل.، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٧٥م ، ص ١٤٧ .

(٢) عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، القاهرة ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص ١٥٥ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٥٦ .

" لا يقرر لهذه الطوائف – مستحقى الزكاة – حقها فى الزكاة إلا بعد أن تستنفذ هى وسائلها الخاصة فى الارتزاق ، فالإسلام حريص على الكرامة الإنسانية ومن ثم هو حريص على أن يكون لكل فرد مورد رزق يملكه ، ولا يخضع فيه حتى للجماعة " . (١)

تهدف العبادات – ومنها الزكاة – إلى تربية المسلم على الارتباط بإخوانه المسلمين ، حيثما كان وحيثما كانوا ، ارتباطاً واعياً منظماً مبنياً على عواطف إيمانية قوية ، وثقة بالنفس عظيمة ، إنه ارتباط واع لأنه ليس طاعة عمياء للمجتمع ، ولاهياجاً جماهيرياً عابراً ، وإنما الأعمال التعبدية التى يأتيها المسلم – ومنها الزكاة – تكسبه لذة الشعور بقوة الجماعة المسلمة ، وعواطفها الإنسانية النبيلة المشتركة . (٢)

تقوم الزكاة بدورها فى التربية الاجتماعية ، فتعمل على تربية الفرد المسلم تربية اجتماعية من نوع مميز ، إذ العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم وبين الله تعالى هى التى تحدد علاقات الأفراد المسلمين بعضهم ببعض ، إنها ليست مستمدة من فلسفة اجتماعية شرقية أو غربية ، وليست مستمدة من نظرية اجتماعية من هنا أو هناك من صنع البشر ، ولكنها مستمدة فى ضوء التصور الإسلامى للفرد والمجتمع .

كما تعمل العبادات فى الإسلام على إثبات الذات ، وتوحيد الشعور بين المسلمين ، فهى تحدد المساواة وتقضى على الطبقية ، وتجعل البشر جميعاً وحدة كبرى ، ولكل هذه القيم الإسلامية أثرها الذى لا ينكر فى مجال بناء

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام : الطبعة السادسة ، القاهرة ، دار الشروق، ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م ، ص ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ٥٥ .

المجتمع المسلم ، " ونحن إذا تأملنا الزكاة وجدنا فيها إثبات الذات بالعطاء السخى والبذل الندى ومقاومة الشح " . (١)

" إن للإسلام تصوره الخاص به عن الوجود والحياة والإنسان ، ويتصف هذا التصور بصفة التكامل والشمول ، ومن هذه الخصائص والميزات انبثق منهج الإسلام للحياة بكل مقوماتها ، وعلاقتها ، وارتباطها .... وفى ضوء هذا التصور كانت " وظيفة الإسلام الأولى أن ينشئ حياة إنسانية توافق هذا التصور وتمثله فى صورة واقعية ، وأن يقيم فى الأرض نظاماً يتبع المنهج الربانى الذى اختاره الله " . (٢)

وتعد الزكاة هى الضمان لتماسك وتكافل هذا المجتمع الإسلامى ، هذا المجتمع الذى رباه الإسلام بنظامه ، وتوجيهاته ، من أجل أن يسوده العدل والمساواة ، وتشمله الرحمة ، القائمة بين أفراده ، هذا المجتمع الذى يشبه فى تكوينه تكوين الجسد الإنسانى الذى إذا اشتكى منه عضو تأثرت بقية الأعضاء فيه ، مصدقاً لقول رسول الله (ﷺ) :" مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . (٣) فهل فى اى مجتمع من المجتمعات الإنسانية مثل هذه الصفات ومثل هذه الأحاسيس التى ربتها العقيدة الإسلامية ، وصنعها الدين الإسلامى فى المجتمع ؟

---

(١) توفيق محمد سبع : قيم حضارية فى القرآن الكريم ، عالم صنعة القرآن ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار المنار ، ١٩٨٤م ، ص ١٧٨ .

(٢) سيد قطب : معالم فى الطريق : الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، ص ١٤٨ .

(٣) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجع سابق ، ١٤١٢هـ ، الحديث رقم ١٧٧٤ ، ص ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

شرعت الزكاة لتهذيب النفوس ، وتربية روح المساواة وروح الاجتماع الذى لا اعتداء فيه ، وإذا كانت العبادة لا تحقق تلك الأهداف فهى ليست عبادة .

وللشريعة الإسلامية أهداف اجتماعية لابد أن تتحقق فى المجتمع ، ولو بين الآحاد بعضهم مع بعض ، إذا جمعتهم بيئة واحدة ... وتتجه الشريعة الإسلامية فى كل أحكامها إلى تحقيق هذه الأهداف الاجتماعية ، وهى بمثابة المقاصد العليا للشريعة الإسلامية ، هذه المقاصد العليا إنما جاءت لتكوين مجتمع فاضل يضم الأسرة الإنسانية كلها ثم اتجهت إلى تربية الشخصية المسلمة ليكون الفرد المسلم عضواً نافعاً فى مجتمعه ، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التربية ومن أساليبها العبادات ، ومن العبادات فريضة الزكاة .

من خلال تصور الإسلام للمجتمع ، ضمن للفرد وبالتالى الجماعة الحياة الإنسانية الآمنة ، إذ لا يمكن تصور الفرد فى الإسلام على أنه مضاد أو معاد للجماعة أو انه يسبح ضد تيارها ، كذلك لا يمكن تصور الجماعة التى تضم أفراداً على أنها تضمر لهم شراً ، وإنما الفرد والجماعة فى التصور الإسلامى يمثلان " خلية واحدة فى صورتين ، الفرد فرداً ، أو الفرد مشتركاً فى جماعة ، وقد نشأت هذه الصورة من طبيعة الإسلام ، واستمدت شريعته من الله ، لا من الإنسان "[1] ومن هنا ضمن الفرد الحياة الإنسانية الآمنة ، واليوم الآمن والغد المشرق ، الذى يكتنفه الهدوء والرضا ، ويسوده السلام والاستقرار باعتبارهما صورتين عمليتين من صور العدل والمساواة .

وهكذا يمكن تصور المجتمع المسلم على انه مجتمع الأمن والأمان ، والسلم والسلام ، مجتمع الزكاة والطهر ، مجتمع الخير والنماء ، مجتمع

---

(١) سيد قطب: السلام العالمى والإسلام، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ،ص ١١٥

التربية الإسلامية والتنمية ، وبداهة لا يمكن تصور هذا المجتمع بهذه الصفات المثلى الخيرة ، إلا عن طريق تطبيق التربية الإسلامية الحقة ومن أساليبها الزكاة ، التى فرضها رب العزة والجلال ، وحددها لمستحقيها فى أموال الأغنياء من المسلمين ، وذلك بحسب أوقاتها المعلومة ، وإذا ما تمت هذه الفريضة على وجهها الحقيقى ، فإن ثمرتها المحتومة هى " التطهير من شح النفس ، وإطلاق الروح من الأثرة البغيضة التى تحس بوجودها وحدها ، ولا تحس بوجود الآخرين " ، لأنها " إحساس بالأخوة النبيلة ، التى تجمع الأسرة البشرية الواحدة ، فإذا كلها قريب من قريب ، وكل فرد فيها ذو رحم مع الآخرين " . (١)

هكذا تسهم الزكاة ، وتفعل فعلها ، باعتبارها أسلوباً تربوياً من أساليب التربية الإسلامية المتميزة ، إنها تسهم فى إعداد المسلم إعداداً يتناسب مع التصور الإسلامى للإنسان فى علاقاته بالآخرين ، فتؤدى بدورها إلى " طهارة النفس من أنانيتها ، واستغراقها فى حب المال ، وذلك بتعويدها " وتربيتها " على الإنفاق وإعطاء الحقوق " (٢) لأصحابها الفقراء والمحتاجين الذى حدد الله لهم هذه الحقوق فى أموال الأغنياء .

فرض الله تعالى الزكاة فى أموال القادرين من المسلمين لصالح إخوانهم غير القادرين باعتبار هذه الفريضة أحدى الأساليب التربوية الإسلامية التى تعد " وقاية اجتماعية " وضماناً للعجز " الذى يبذل طوقه ثم لا يجد ، أو يجد دون دون الكفاية ، أو يجد مجرد الكفاف ، ثم هى – الزكاة – وسيلة وأسلوب لأن يكون المال دولة – أى متداولاً – بين الناس جميعاً ،

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، الطبعة الثانية، بيروت ،دار الشروق ، ص٧٥.
(٢) أحمد محمود حسن عياد : الأهداف التربوية للعبادات فى الإسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية جامعة المنوفية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠م ، ص ١٥٨ .

لتحقيق الدورة الكاملة والسليمة للمال بين الإنتاج والاستهلاك ، والعمل من جديد " . (١)

الزكاة أسلوب للتعاون الاجتماعى يجعل للمسلم الفقير فى المجتمع الإسلامى حقاً معلوماً ومحدداً فى مال أخيه الغنى ، وهى تكليف اجتماعى خالص . ومصرفها اجتماعى خالص ، ونظامها فى الجمع والتوزيع لا يذل الفقير ، ولا يجعل الغنى يشعر بعزته ، ولذا قال الفقهاء بالإجماع إن ولى الله هو الذى يجمعها ، وهو الذى يوزعها على مصارفها ، وقد قال الله تعالى : " ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون " أى يمنعون الزكاة التى لها العون من الله تعالى . (٢)

يعترف الإسلام بمبدأ الفروق الفردية بين الناس ، ويقره ، ويرى أن إمكاناتهم مختلفة واستعداداتهم وقدراتهم متباينة ومواهبهم ، وثرواتهم ، كذلك كما اعترف الإسلام بأن الفقر والغنى والصحة والمرض ، والقدرة على العمل وعدم القدرة عليه ، هذه جميعاً حقائق ومظاهر موجودة فى المجتمع الإنسانى الواحد ، وملموسة فى واقع البشر ، بل هى من طبيعة وخصائص الوجود الإنسانى ، والاجتماعى – وفى كل زمان ومكان – إلا أن الإسلام رغم إقراره هذا . واعترافه بالفقر والغنى – على سبيل المثال ، فإنه " لا يسمح للفقير أن يذل ولا يتغطرس الغنى ، فيكون الحقد الطبقى ، والصراع الاجتماعى المدمر " (٣) إنما الذى يقره الإسلام ويباركه أن يسود الود والتراحم بين أفراد المجتمع ، الفقير منهم والغنى ، ولا يتعالى الغنى على الفقير ، ولا يحقد الفقير على الغنى .

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .
(٢) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٢٠ .
(٣) دكتور نبيل السمالوطى : مرجع سابق . ص ٢٣٥ .

توجد الطبقات الغنية والطبقات الفقيرة ، فى المجتمع الإسلامى ، بل وفى كل المجتمعات الإنسانية على حد سواء ، وربما أدى الفقر بالواقعين تحت وطأته بإتيان بعض التصرفات والسلوكيات غير الحميدة ، من أجل الحصول على حاجاتهم ومطالبهم الضرورية ، والقوت الضرورى للحياة ، لهذا شرع الإسلام الزكاة وجعلها أسلوباً من أساليب تربية وتهذيب المسلم، بل وجعلها إجبارية على كل مسلم قادر ، ولم يخضعها لهوى الغنى أو رغبته ، فى أن يعطى إذا أراد ، أو أن يمنع إذا شاء ، كذلك لم يجعلها إحساناً فردياً، بل جعلها " ضريبة إجبارية تأخذها الحكومة الإسلامية لتصرفها على الطبقة الفقيرة لأن الأصل أن الإمام هو الذى يأخذ ويعطى " . (١)

قال تعالى : " خذ من أموالهم صدقة " .(٢) إن الصدقات تطهير وتزكية لنفس المتصدق والمتصدق عليه ، وإن من تصدق بصدقة من كسب حلال ، فإن الله يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها ، حتى تصير التمرة مثل جبل أحد ، كما أخبر رسول الله (ﷺ) :" إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهرة ، حتى أن اللقمة لتكون مثل أحد " .(٣)

وفى رواية عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال : " قال رسول الله (ﷺ) : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، وإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبه ، كما يربى أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل " . (٤)

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الإسلامى ، الطبعة السادسة عشر ، لبنان ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م ، ص ٣٤٥ .

(٢) قرآن كريم : سورة التوبة ، جزء من الآية ١٠٣ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٠ .

(٤) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، (كتاب الزكاة)، الحديث رقم ٧٠٥ ، ص ٣٣٢ .

وقال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل (١) ثم قرأ : " ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات " .(٢)

إن الأصل أن الإمام هو الذى يأخذ ويعطى ، والحكمة فى هذا ألا يستذل غنى فقيراً ، أو ينظر إليه نظرة دونية ، أو نظرة احتقار ومهانة ، من أجل هذا " اتفق الفقهاء على أن الزكاة لا يتولى توزيعها من تجب عليهم من المسلمين ، وكان ذلك لإبطال معنى الإحسان الفردى الذى يتحقق فيه الذل والهوان للمحتاجين ، أما عطاء الدولة للفقراء والمحتاجين من غير سؤال منهم ، ولا منة فى العطاء ، فليس فيه إذلال بل معونة كريمة وسد حاجة (٣) .

حث الدين الإسلامى القادرين على العمل ، من أجل تأمين الحاجات الضرورية للحياة الكريمة ، أما بالنسبة لغير القادرين على العمل من العجزة و (الشيوخ والمحتاجين) فقد أوجب على الأغنياء رعايتهم وكفالتهم عن طريق أداء الزكاة المفروضة ، وكان على الدولة حق جمع أموال الزكاة من القادرين ، وتوزيعها ، والإشراف عليها لمستحقيها لضمان إخراجها ، ووصولها إلى أيدى أصحابها .

تقوم – الزكاة – بدور تربوى يعمل على تهذيب الشخصية الإنسانية إذ " تربى المسلم على تفقد أحوال المحتاجين والفقراء ، وفى ذلك تحقيق لمبدأ التكافل الاجتماعى " (٤) ولا يقتصر دور العبادات – ومنها الزكاة – على

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ٤٠١ .

(٢) قرآن كريم : سورة التوبة ، جزء من الآية ١٠٤ .

(٣) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٣٤٥ .

(٤) دكتور محمد سعد القزاز ، أ. صالح أبو عراد الشهرى : المبادئ العامة للتربية ، الطبعة الثالثة ، المملكة العربية السعودية ، دار المعراج الدولية للنشر ، ١٤١٦هـ ، ص ٩٥ .

تربية جانب واحد من جوانب شخصية المسلم ، بل إنها تربى خلقه ، وتهذب سلوكه ، وتحقق الخير للفرد والجماعة المسلمة .

سميت الزكاة زكاة لأنها تربى المسلم ، وتزكى ماله وروحه ، وتخلصه من شح نفسه ، وبخله وحرصه ، الأمر الذى يجعله شاكراً لربه الذى من عليه بالمال ، " ولهذا سميت زكاة لما توحى به هذه الكلمة من معانى الطهارة ، والنماء والبركة ، على عكس كلمة " الضريبة " التى توحى بمعنى القهر والإجبار والغرامة ، ولهذا يطلب من المسلم أن يؤديها طيبة بها نفسه ، داعياً ربه أن يتقبلها منه " (١) .

فرض الإسلام الزكاة ، وجعلها أسلوباً تربوياً ، من أساليبه ، وجعلها إجبارية وضرورية ، بل جعلها حقاً معلوماً فى أموال الأغنياء للمحتاجين (أصحاب الحاجات ، إلا أن الإسلام لم يقصر الإحسان على هذه الفريضة فقط، ولا أسقط عن الأغنياء القادرين واجب العون لمن يعرفونهم ، ويقدرون على إمدادهم ومساعدتهم بما يعينهم على شدائدهم ، فليست " الزكاة هى كل ما يصنعه المحسنون القادرون ، على الإحسان ، لكنها هى الإحسان الذى تفرضه الدولة الإسلامية – وتستخلصه من المفروض عليهم عنوة إذا لم يؤدوه طواعية ، فى موعده المعلوم " (٢) .

الزكاة أسلوب تربوى أقره الإسلام ، ووجه إليه أنظار الأغنياء القادرين ، وذلك لكى يتعودوا السخاء ، ويتربوا على الجود والكرم والعطاء ، ولكى لا يشعر الفقراء بينهم بالغربة أو المذلة أو الدونية ، وإن من أهداف هذه الفريضة أن تكون كفالة الضعفاء فى المجتمع الإسلامى ، قائمة على مبدأ " لا إفراط فى الغنى ولا إفراط فى الفقر ، بمعنى أنه لا سبيل لفريق منهما أن

---

(١) دكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ص ٢٥ .

(٢) عباس محمود العقاد : مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

يجور على فريق آخر " [١] ومعنى هذا أنه (لا استثناء ولا حرمان) إذ أن مشكلة الطبقات لا تحل بالرأى أو بالواقع إلا على هذا النحو الذى ينتهى إلى إزالة حرب الطبقات ، ولا ينتهى إلى إزالة الطبقات " . [٢]

وإذا كانت العبادات فى الإسلام – ومنها الزكاة – تعد غايات فى نفسها– إلا أنها تعد – مع ذلك وسائل ، وأساليب إلهية – للتربية الإسلامية ، التربية الروحية ، والأخلاق الاجتماعية ، وهى مناهج ربانية لتدريب المسلم على السلوك الأمثل والحياة الأفضل . [٣]

*** تنبه العبادات فى الإسلام الإنسان إلى حقيقتين هما :–**

١) وجوده الروحى :

الذى ينبغى أن يشغله بمطالب غير مطالبه الجسدية وغير شهواته الحيوانية .

٢) الوجود الخالد الباقى للضمير :

إلى جانب وجوده الزائل المحدود فى حياته الفردية [٤] .

وعبثاً يترقى الإنسان من مرتبة البهيمية إلى مرتبة تعلوها إن جاز أن يعيش أيامه يوماً بعد يوم ، وهو لا يذكر أنه مطالب بواجب أكبر من واجب الساعة أو واجب العمر كله ، فإن الترقى فى كل صورة من صوره يقضى إلى غاية واحدة هى خلاص الإنسان من ربقة الانحصار فى مطالب اليوم والساعة، أو مطالب العمر المحدود بحياته الفردية [٥] .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥٧ .

(٣) دكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

(٤) عباس محمود العقاد : مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٥) المرجع السابق : ص ٨٣ .

تستهدف التربية العقدية السمو الروحى للمسلم ، وتعمل على أن يكون " أنموذجاً للدين الذى يدين به ، ويدعو إليه ، ونمطاً حياً متحركاً للفكر الإسلامى الذى يملأ قلبه وعقله ، ويصدقه سلوكه فى الحياة مع نفسه أو مع الآخرين " (١) . ولا يتم ذلك للمسلم إلا عن طريق التربية بالعبادات ومنها الزكاة ، فعن طريق العبادات ، يتربى المسلم التربية الروحية (العقدية) إذ تمثل العبادات والشعائر الدينية الإسلامية الترجمة الحقيقية الواقعية لصدق إيمان المسلم وحقيقة عقيدته .

تعمل العبادات فى الإسلام على سعادة المسلم فى الدنيا والآخرة وتنعكس هذه السعادة على شخصيته ومجتمعه ، فلا يتسرب إليه القلق أو اليأس أو الضجر ، مثلما يحدث مع من يعيش فى المجتمعات التى فسدت عقيدتها ، وتقطعت علاقاتها الإنسانية ، فلم يعد يشعر الغنى بالفقير ، ولم يعد يعطف الكبير على الصغير .

تقوم الأخلاق الإسلامية على التقوى ، وهى أخلاق مستمدة من الشريعة السماوية الصحيحة ، وهى فى نفس الوقت أخلاق فردية واجتماعية الوقت . ولهذه الأخلاق الإسلامية قيمها التى تشكل أهدافها ، ومن هذه الأهداف ، تربية ضمير المسلم ، تربية أخلاقية إسلامية ، مستمدة أساليبها التربوية من العبادات الإسلامية ، ومنها الزكاة .

إن العبادات بما تتضمنه من قيم ومعايير إسلامية للسلوك تعد أحد الجوانب المهمة فى تكوين شخصية المسلم ، وهى أيضاً طاقات للعمل ودوافع للنشاط الإنسانى ، بمعنى أنه إذا تكونت لدى الفرد المسلم القيم الإسلامية المرغوب

---

(١) دكتور على عبد الحليم محمود : المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م ، ص ١٤ .

فيها ، فإنه يسعى دائما إلى العمل الذى يحققها وتكون له بمثابة المرجع الذى يقوم به أعماله .

وإذا كانت التربية الخلقية فى الإسلام تستمد أصـولها مـن مبادئـه وأسسه ، وتصوراته وهى تتصل بالتطبيق وكيفيته فى المجتمع الإسـلامى ، فإن فلسفة هذه التربية الإسلامية فى مجال الأخلاق محدد واضـح ، وأنـه لا يمكن أن يسود الترابط والتراحم فى المجتمع ولا يتم التوافق الاجتماعى إلا إذا أديت الزكاة ، ونال الفقير المحتاج نصيبه وحقه من مال الغنى .

تعمل التربية الأخلاقية فى الإسلام على تربية الشخصـية الإسـلامية تربية منطلقة من مبادئ الدين الإسلامى الحنيف الذى يأمر بالعدل والإحسـان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ..

وتقوم التربية الاجتماعية فى الإسلام علـى مجموعـة مـن القـيم الإسلامية مثل قيمة الإخاء والتعاطف والتواد والتراحم " وهذه القيم وغيرهـا من القيم الاجتماعية تستمد أصولها من التصورات الإسلامية ، كما تبدو فـى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهذه القيم توجه عدداً من الأهداف "(١) ومن ثم تقوم على عدد من الأساليب التربوية الإسلامية ومنها الزكاة .

كما تقوم العبادات بدورها المهم فى التربية الاجتماعية فى الإسـلام ، وذلك بتربية الشخصية المسلمة اجتماعياً من خـلال مـا افتـرض الله مـن عبادات، هذه العبادات التى لا يعدها الإسلام مجرد إقامة شعائر فقط ، وإنمـا تمثل الحياة كلها، التى تخضع لشريعة الله تعالى ، المتوجهة بكـل نشـاطاتها

---

(١) دكتور عبد الجواد السيد بكر : فلسفة التربية الإسـلامية فـى الحـديث الشـريف ، (سلسلة مكتبة التربيـة الإسـلامية ، الكتـاب الخـامس) ،القـاهرة ، دار الفكـر العربى،١٩٨٣م . ص ٢٩٠ .

إلى الله ، ومن ثم يعد الإسلام كل عمل اجتماعى ، وكل خدمة اجتماعية ، وكل عمل من أعمال الخير والبر ، فى صالح خير الجماعة المسلمة ، يعدها عبادة، ولا يمكن دراسة التربية الاجتماعية فى العبادات الإسلامية دون الرجوع إلى أركان الإسلام الخمسة ومنها الزكاة .

الزكاة تربية للمسلم علىَ الجود والبذل ، شعوراً بالأخوة الصادقة فى الله ، وهى فى نفس الوقت طريقة أو أسلوب للتربية الروحية (العقدية) كما أنها أسلوب للتربية الاجتماعية ، يتوجه المسلم إلى الله عن طريقها ، طاعة له سبحانه وتعالى ، وأداء لواجبه ، وهكذا ... تكون الزكاة أسلوباً تربوياً لخلق المسلم . (١)

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٣٣ .

الفصل الثانى

المبادئ الإسلامية التى تقوم عليها الزكاة

المبادئ الإسلامية التى تقوم عليها الزكاة :-

المبدأ فى اللغة هو أول الحال أو النشأة ، يقال : كان ذلك فى مبدأ أمرنا. والمبدأ : هو مادة الشئ التى يتكون منها ، أو يتركب ، يقال : النواة مبدأ النخل ، والمبدأ : هو القاعدة الأساسية التى يقوم عليها الأمر ، ولا يخرج منها ، وجمع مبدأ : مبادئ ، فيقال : مبادئ العلم ، ومبادئ الفن ، ومبادئ القانون ، ومبادئ الدستور ".[1] ويأتى المبدأ بمعنى القاعدة الأساسية التى يقوم عليها هذا العلم أو ذاك .[2]

وعلى ذلك فإن المبادئ الإسلامية لفريضة الزكاة تعنى القواعد ، أو الركائز أو الأصول التى تقوم عليها ، وتنطلق منها ، وتكون بمثابة القواعد الأساسية التى لا تخرج عنها .

إن الزكاة فريضة إسلامية ، وركن من أركان الإسلام الخمسة ، فرضها الله تعالى على القادرين ، الميسورين من المسلمين ، ليساعدوا بها إخوانهم الفقراء ، وقد جعلها الله تعالى حقا معلوما فى أموال هؤلاء الأغنياء، ليربيهم على العطاء والإنفاق ، والتواضع والإيثار ، ويخلصهم من الأثرة ، والبخل وحب المال . وبالتالى ليربى بها الفقراء المحتاجين التربية الإسلامية الحقة ، المناسبة لهم بحسب إمكاناتهم وقدراتهم واستعداداتهم ، الأمر الذى يجعلهم لا يحقدون على إخوانهم الأغنياء ولا يحسدونهم ، بل يتمنوا لهم

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الكبير ، الجزء الثانى ، (حرف الباء) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ، ص ١٢٠ .

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز (طبيعة خاصة بوزارة التربية والتعليم) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، ص ٣٩ .

انظر : مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م . ص ٤٢ .

الزيادة فى الخير ثقة منهم فى كرمهم وجود أنفسهم ، وبذلك يسود التعـــاون كل أفراد المجتمع الإسلامى .

ولاشك أن فريضة الزكاة تقوم على مجموعة مـــن المبـــادئ والقيـــم الإسلامية ، التى تكون منظومة قيمية متفردة ، مرتبطة بالعقيدة الإســـلامية ، ومن هذه القيم على سبيل المثال ، ما يلى :-

الدين الإسلامى ، ليس مجرد عقيدة ، توجه الأفراد والجماعات بشأن العلاقة التى تربطهم بخالقهم فحسب ؛ ولكن هذا الدين يمثـــل منـــهج حيـــاة متكامل وشامل الفرد والجماعة فى الدنيـــا والآخـــرة فـــى مجـــال العبـــادات والمعاملات والعقيدة .

جاء الدين الإسلامى لينظم علاقات الأفراد بربهم ، وعلاقاتهم بعضـــهم ببعض ، وعلاقاتهم بالمجتمع الذى يعيشون فيه ، سواء بطريقة مباشـــرة أو غير مباشرة . جاء ينظم العلاقات الإنسانية .. وعلاقات الإنسان بالكون ، بمـــا فيه من كائنات .. وبمعنى آخر جاء الإسلام ليقيم مجتمعا فاضلاً يقـــوم علـــى العقيدة الإسلامية السمحة .

يتحدد هدف التربية الإسلامية فى بناء مجتمع إسلامى فاضل ، علـــى أساس تربية وإعداد الفرد العابد لله تعـــالى ، وهـــذه التربيـــة وذاك الإعـــداد يتضمن إعداد المواطن الصالح ، وتتم هذه التربية للفرد المسلم ، ويتم هـــذا التهذيب ، خلقا وسلوكا ، قولاً وعملاً ، بالعبـــادات أولاً . ثـــم بمنـــع ظـــهور الشرور وكتمها ثانيا ، ثم بتكوين رأى عام فاضل ثالثا . (١)

للمجتمع الإسلامى هويته المميزة ، وخصوصيته الفريدة ، التى تميزه عن بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى ، وتجعله بحق المجتمع المثالى ، الـذى

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

ينبغى للإنسانية جمعاء أن تسعى لتحقيقه ، كى تجد فيه أمنها وأمانها ، وسلمها وسلامها ، وسعادتها ، وتجد فيه كل مطالبها ، واحتياجاتها المالية والروحية .. هذا المجتمع هو الذى يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة ، خلقا ، وسلوكا .. شريعة ونظاماً [1]

يتميز المجتمع الإسلامى – الحق – بأنه مجتمع التوحيد ، مجتمع المؤمنين ، الذين يؤمنون بالله وحده ، يفردونه سبحانه وتعالى بالألوهية ، والعبادة ، ويخلصون له الدين ، فقولهم يطابق عملهم ، وعملهم يطابق قولهم.. فى هذا المجتمع الإسلامى تعطى الأهمية الكبرى للإيمان بالله ، وما يتبع هذا الإيمان من سلوك ، هو الشغل الشاغل ، الذى ينعكس أثره ونوره على الفرد المسلم ، أمناً وأماناً ، وثقة بالنفس ، وثقة بالغير ، وشعوراً بالعزة والكرامة، والشجاعة فى الحق .

يشمل الدين – الحق – كل ما يتعلق بالعقيدة ، والعبادات ، والمعاملات، ومن هذا الدين الحق ، يستمد المجتمع الإسلامى ، والحياة الإسلامية كلها قيمها ، وتوجهاتها ، بل وكل مقومات وجودها ، وكرامتها ، هذا الإيمان هو الذى يتربى عليه الأفراد والجماعات ، بل ويدعم النمو الفردى والاجتماعى ، داخل المجتمع الإسلامى ؛ الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى حياة إنسانية سعيدة .

هذا الدين – الحق – يعد المصدر الرئيسى للمجتمع الإسلامى ، الذى يستمد منه قيمه وقواعده ، وأسسه ونظمَه ، بل وتقدمه وتنميته أيضا .

لقد أمر الله تعالى عباده المسلمين بالتعاون على البر والتقوى ، كما نهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان .. وإن الذى يحتاج أخوه إلى إعانته

---

(١) الدكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص ١٢٠.

اليوم ، قد يحتاج هو إلى إعانة أخيه غدا . وإعانة كل واحد أخاه فى قضاء حاجته ، تعد من شكر الله على نعمه ، إذ جعله قادراً .[1]

ومن ميزات المجتمع الإسلامى أيضا أنه مجتمع دينامى ، ويعد التغير الاجتماعى فيه ، بمثابة أحد مظاهر هذه الدينامية الحادثة فيه . ويستمد هذه الدينامية من الدين الإسلامى نفسه ، الذى لا يعارض أى تقدم أو بناء أو تنمية ، بل يؤيد كل ذلك ويحث عليه ، ويذم التقليد والجمود والتخلف والتبعية ، وكل ما يحول دون الأصالة والإبداع ، والتجديد الذى لا يتعارض مع أصوله وتصوراته .

إن المبادئ والقواعد التى تنطلق منها المعاملات والعلاقات الإنسانية والاجتماعية فى الإسلام ، مرنة ، قابلة للتطبيق ، وقابلة للتوافق والتكيف مع مصالح الناس وحاجاتهم ومتطلباتهم المتجددة بحسب المقتضيات والظروف .[2]

المجتمع الإسلامى مجتمع أخلاقى يستند إلى مبادئ نبيلة ، ويهدف إلى غايات ومقاصد نبيلة ، يجمع الإيمان بين أفراده بهذه المبادئ ، وتلك الغايات، فلا يتكون هذا المجتمع على أساس طبقى أو عنصرى أو عرقى أو جنسى ، ولا يقوم على اختلاف المستويات الاقتصادية ، أو ما شابه ذلك ؛ وإنما يقوم على أساس العقيدة الإسلامية السمحة ، بضوابطها الأخلاقية الواضحة المستمدة من هذه العقيدة وبالتالى فإن جميع المنتسبين إلى هذا المجتمع ، مرجعهم إلى سلالة واحدة وأصل واحد . ولا فرق بين عربى وأعجمى ، ولا بين أبيض وأسود ، إلا بالتقوى والعمل الصالح الذى يرضى الله تعالى .

---

(١) الدكتور عبد الله بن أحمد القادرى : أثر التربية الإسلامية فى أمن المجتمع الإسلامى، جدة . دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ ١٨٨٠م ص٢٢٠ .

(٢) الدكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

إن المجتمع الإسلامى القائم على أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة لا يعترف بالطبقية ولا بالنظام الطبقى ، لأنه يقيم علاقاته بين الأفراد على أساس من الأخوة الصادقة والتعاون والتكافل والمودة ، ولا يعترف بصراع الطبقات أو تناحرها ، لأنه مجتمع ضمائر ونفوس عالية وهمم شامخة ، إنه مجتمع صنعه الدين الإسلامى الصحيح القائم على المساواة والعدل .. الذى يؤكد أن البشر جميعا إخوة .. " كلكم لآدم وآدم من تراب " .قال تعالى :" إنما المؤمنون إخوة " [١]

من القواعد والمبادئ المقررة أن الإسلام دين صالح للتطبيق الفعلى العملى فى كل زمان ومكان .. وليس فلسفة مثالية ، ولا فكرة أيديولوجية ، وإنما شريعة سماوية استوعبت كل قضايا ومشكلات الناس ودلت على حلها ، بما يتناسب مع القوى والعوامل الثقافية والاجتماعية المختلفة ، وبحسب الأحداث الجارية والتطورات المتلاحقة ، كل ذلك فى حدود ما أقره القرآن الكريم .

إن النظام الاجتماعى – فى المجتمع الإسلامى – بكل خصائصه " هو أحد انبثاقات التصور الاعتقادى ، إذ هو ينبت نباتا حيويا فطريا ويتكيف بعد ذلك تكيفا تاما بالتفسير الذى يقدمه ذلك التصور للوجود ، ولمركز الإنسان فى هذا الوجود ولغاية وجوده الإنسانى . [٢]

اعتنى الإسلام بصلاح الفرد على اعتبار أن صلاح الفرد ضرورى ومهم جداً لتكوين المجتمع الإنسانى الصالح ، وليس هناك من سبيل لصلاح هذا الفرد إلا بالتربية الإسلامية المتسقة مع التصورات الإسلامية الصحيحة

---

(١) قرآن كريم : سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٢) سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، الكويت ، الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص ١٢ .

لهذا الفرد .. لقد حدد الإسلام أهداف هذه التربية الإسلامية المنشودة ، وبين أساليبها ، ففرض الفرائض التى ينبغى أن يتربى عليها الفرد ، ليكون عضواً فاعلاً ونشطا فى المجتمع الإسلامى ، وليكون لبنة صالحة فى بناء صرح هذا المجتمع الشامخ ، وعضوا فاعلاً فى جماعة المؤمنين .

من هذه الفرائض التى أقرها ، فريضة الزكاة التى قصد بها تربية الفرد – القادر المالك للمال – على العطاء – والإيثار ، والتعاون والأخوة الصادقة ، وعلى البذل – ابتغاء مرضاة الله تعالى ، اعترافا بأن المال هو مال الله ، وما الإنسان إلا مستخلف على مال الله فى الأرض . وهكذا نرى أن " فرائض الإسلام جميعا تربى الفرد ليكون لبنة فى بناء المجتمع ، وعضوا فى جماعة المؤمنين ، فإيتاء الزكاة تربية للفرد على المساهمة بماله فى سبيل إسعاد مجتمعه ، وفى بذله وصدقه ، وبره وإحساسه بالجماعة ، وشعوره بالأخوة والحب " . (١)

قد يتبادر إلى الذهن أن الزكاة أسلوب تربوى للغنى القادر على العطاء، المالك للنصاب ، أن يعطى ويزكى ، ليطهر نفسه من الشح وماله من الأثره ، ولكن الناظر المدقق يرى أن هذا الأسلوب – الزكاة – قصد أيضاً تربية المتلقى ، المتصدق عليه ، القابل للزكاة ، على تلقى نعم الله ، وأدب السؤال وأدب التخاطب والتفاعل داخل المجتمع المسلم بينه ، وبين أخيه الغنى .. وليعلم أن الله تعالى لما جعل له نصيبا معلوماً فى مال الغنى .. أراد به أن يتواضع .. وألا يسخط على أخيه الغنى ، وألا يحسده أو يحقد عليه .

لقد فرض الله تعالى الزكاة على القادرين ، ليعطوا إخوانهم الفقراء والمحتاجين ليتربى كل منهما ، وليعلم كلا منهما أن المال مال الله ، وديعة

---

(١) الدكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص١٤٧ .

استودعها بعض عباده واستأمنهم عليها ، واستخلفهم فيها ، حتى لا ينسوا عباده الفقراء فلا يضيعوهم ولا يحرموهم ولا يشعروهم بالضعف والمهانة .. وتكون النتيجة البر والصلة والتعاون والتراحم فى مجتمع التراحم ، والتكافل فى مجتمع التكافل ، والسلم والسلام فى المجتمع الإسلامى .

أراد الإسلام أن يحقق الاتحاد والقوة والعزة للمجتمع الإسلامى ، وذلك من خلال أساليبه التربوية التى فرضها لهم ، وهى العبادات التى تحقق تكافل المسلمين وترابطهم ، وتضامنهم وتراحمهم .. وما يحقق العدالة بينهم، الأمر الذى يجعل منهم قوة لا يستهان بها ، تدفعهم إلى الأمام .

هذه العبادات ، وإن كانت فى ظاهرها تعمل على توطيد علاقة الإنسان بربه من خلال تقوية الشعور الدينى للإنسان ، إلا أن هذه العبادات لها مردودها وانعكاساتها الاجتماعية التى تؤدى إلى ترابط المجتمع الإسلامى وتضافره وتكافله ، وذلك من خلال المبادئ الاجتماعية والقيم الإسلامية التى تدعو إليها من أجل سلامة المجتمع الإسلامى واستمراره وتنميته .

تهدف العبادات الإسلامية – ومنها الزكاة – إلى تحقيق الإيمان بالله تعالى ، وتأكيد العبودية له تعالى .. وذلك من خلال إصلاح النفوس الإنسانية وتربيتها وتهذيب غرائزها ونزعاتها ، وتربية السلوك البشرى ، وتعديله إلى الأفضل من خلال التربية الإسلامية ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى توثيق العلاقات الإنسانية ، والاجتماعية بين الناس ، وإقامتها على أساس من الإيمان بالله تعالى ربا وخالقا ورازقا ومعبوداً واحداً فرداً صمداً . وإسلام الوجه والقلب له سبحانه وتعالى ، فإذا تربت النفوس وهذبت وأصلحت ، وتعدلت غرائزها وسلوكياتها إلى ما يحب الله ويرضى ، صار المجتمع الإسلامى مجتمعا قوياً ، وشعر الأفراد فيه بالعزة والكرامة وتم لهم التمكين.

تنتهى العبادات فى الإسلام – ومنها الزكاة – إلى نتيجتين رئيسيتين وهما :-

(١) الاتجاه إلى تربية الوجدان الدينى الذى يجعل المؤمن بالإسلام مؤتلفا مع غيره من البشر .

(٢) إيجاد مجتمع إسلامى متحاب ، غير متباغض أو متحاسد ، أو متنازع ، ويتم ذلك عن طريق إعلاء قيمة التقوى ، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التربية الإسلامية الصحيحة ، إذ التقوى ليست مجرد لفظة تقال أو قيمة سالبة تذكر ويتلوك بها اللسان .. إن وظيفة التربية الإسلامية أن تجعل من التقوى قوة إيجابية فاعلة ، تؤدى إلى الحب فى الله .

وعلامة ذلك الإخلاص لله تعالى ، باعتبار أن هذه القيمة ، سراً من أسرار الله ، يصطفى بها من أحب من عباده ، ولا يحب الله إلا المخلصين ، الذين يبتغون بأعمالهم وأقوالهم وجه الله ، ولا يبتغون سمعة ولا رياء ولا مكانة بين الناس .. إنما وجهتهم وغايتهم الوحيدة هى " العمل لله " .

إن علامة الإخلاص لله فى العبادات أن تكون غايتها مطهرة للقلب ، دافعة إلى الخير ، والبر ، وفى نفس الوقت قاضية على الشر ، مؤلفة بين الفرد ، وبين الآخرين ، من غير مراءاة ولا مغالاة [١] ولا يتم ذلك إلا عن طريق " الاسرار " فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة [٢] لقول رسول الله (ﷺ) : فى الحديث المشهور عن السبعة الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، عدد السبعة أصناف ومنهم : " ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ".[٣]

---

(١) انظر : الدكتور عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، الطبعة الخامسة عشر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م ، ص ١٥٠ .

(٢) الإمام الغزالى : أحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، القاهرة ، مطبعة الأنوار المحمدية د.ت. ، ص ٢٥٤ .

(٣) الحافظ ابن حجر العسقلانى : مختصر الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، للإمام المنذرى " القاهرة ، مطبعة التقدم ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، ص ٦٥ .

انظر : محمد نصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، الحديث ٢٢٥ ، ص٣٣٤ .

من المبادئ الإسلامية التى يجب أن تتوفر لدى مـؤدى الزكـاة ، أن يفهم معنى الزكاة ، ولماذا أوجبها الله تعـالى علـى عباده الميسـورين ، القادرين، وما وجه الامتحان فيها ، ولماذا جعلها الله تعالى من مبانى الإسلام وأساسياته وركائزه ، إن هذا المبدأ يقتضى من المسلم الذى يؤدى زكاتـه أن يعجل بها ولا يؤخرها أو يسوف فى إخراجها ، إذ أن " فى وقت الأداء ، ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب ، إظهارا للرغبـة فـى الامتثـال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء " . [1]

جاء الإسلام ليكسر شوكة الطبقية البغيضة ، والرق المقيت ، ففـرض العبادات – ومنها الزكاة – فحرم بذلك كل الوسائل والسبل غـير المشـروعة المؤدية إلى الكسب غير المشروع ، أو إلى تكديس الثروة والأموال فى أيـدى حفنة قليلة من الناس فى المجتمع .. وبذلك عمـل علـى إقامـة المجتمـع الإسلامى القائم على التوازن الاجتماعى المناسب ، القائم على توزيع الـثروة توزيعا عادلا ، يحول دون تكدسها فى أيدى القلة ، ويحرم منها الكثرة .

ومن أبرز جوانب مسئولية الجماعة المسلمة فى التكافل الاجتمـاعى، الحقوق المالية التى رتبتها الشريعة الإسلامية للفقراء والمحتـاجين ، علـى الجماعة المسلمة ، إما على سبيل الإلزام ، عن طريق الزكـاة المفروضـة ، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى : " والذين فى أموالهم حق معلـوم للسـائل والمحروم " . [2] أى أنها الزكاة على وجه التخصيص والصدقـات معلومـة القدر ، وهى حق فى أموال المؤمنين أو لعل المعنى أشمل من هذا وأكـبر ، وهو أنهم يجعلون فى أموالهم نصيبا معلوما يشـعرون أنـه حـق للسـائل

---

(١) الإمام الغزالى : مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة المعارج ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

والمحروم ، وفى هذا تخلص من الشح واستعلاء على الحرص ، كما أن فيه شعوراً بواجب الواجد تجاه المحروم فى هذه الأمة المتضامنة المتكافلة . [١]

أما الصدقات – غير المفروضة ، وغير المحددة القدر ، وتأتى عن طريق التطوع ، وجود النفس وسخائها ، فقد تحدث عنها القرآن الكريم ، فى قول الله تعالى : " وفى أموالهم حق للسائل والمحروم " [٢] إنهم يجعلون نصيب السائل الذى يسأل فيعطى ، ونصيب المحروم الذى يسكن فيستحى فيحرم ، يجعلون نصيب هذا ، وهذا حقا مفروضا فى أموالهم ، وهم متطوعون بفرض هذا الحق غير المحدود .. وبهذا خلصوا قلوبهم من أوهام الشح وأثقال البخل وعوائق الانشغال بالرزق . [٣]

إن الزكاة ، عبادة مالية ، وفريضة إسلامية ، وهى أيضا عبادة روحية ، وأسلوب تربوى من أساليب التربية الإسلامية ، بها يتقرب العباد إلى رب العباد ، وهى للغنى والفقير على حد سواء ، غنما وليست غرماً .. فعن طريق آدائها يتحلى المسلمون القادرون بأوصاف التضحية والإيثار ، الأمر الذى يزيل من قلوبهم الإنشغال بالرزق ، والتكالب على الثروة والمال ، وحب الذات ، والرغبة فى الخلود فى الدنيا ، الأمر الذى يضيق عليهم صدورهم ويزيد همومهم ، بعبوديتهم للمال ، وإنما الإسلام يربى المسلم المستقيم الذى يضحى فى سبيل الله بما له الذى اكتسبه ، وينفقه طاعة لله ، حسب أوامره ، وإن الزكاة هى الفريضة التى عن طريقها يتروض المسلم ويتعود ، ويتربى

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ص ٣٦٩٩ ، ٣٧٠٠ .

(٢) قرآن كريم : سورة الذاريات ، الآية ١٩ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٣٧٧ .

على قيمة التضحية ، بل وتجعله يقبل على الإنفاق من ماله - كما علمه الله- إذا بلغ الأمر مبلغ الجد ، واكتمل النصاب .. إنه يقبل على الله بإيتاء زكاتـــه، طائعا مختاراً طيب النفس مرتاح الضمير .

تهدف العبادات فى الإسلام - ومنها الزكاة - إلى تكويـــن المجتمـــع الإسلامى الفاضل ، المثالى ، الذى تسوده روح الأخوة الإسلامية الصادقـــة ، والمودة والألفة ، والتعاون ، والإيثار ، والتواصى بالمرحمة ، والتناهى عـــن الشر ، والمنكر .. ولاشك أن هذا المجتمع المثالى تحقق بالفعل علـــى أرض الواقع ، ولم يعد صـــورة نموذجيـــة مثاليـــة ، لقـــد تحقـــق بيـــن الأنصـــار المهاجرين (١)

الإنسان هو أفضل الكائنات التى خلقها الله تعالى ، جميعـــا فـــى هـــذا الكون ، وقد ميزه على غيره من الموجودات بكثير من الخصائص والميزات ، ولما كان أهلاً لهذا التكريم ، وهذه المكانة والمنزلـــة ، كـــانت هدايـــة الله ، وتوجيهه ، وإرسال الرسل إلى هذا الإنسان من أجل هدايتـــه وإصـــلاح كـــل أموره ، وتغيير سلوكياته وتربية قدراته واستعداداته ، ومواهبه ومهاراتـــه ،

انظر :

(١) دكتور محمد لقمان الأعظمى الندوى : دراسات فى الحديث النبـــوى ، الطبعـــة الثالثة ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٦هـــ ، ١٩٩٥م ، ص٥٦ .

(٢) دكتور شوقى ضيف : عالمية الإسلام (مكتبـــة الأســـرة ،مـــهرجان القـــراءة للجميع) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص٨٣ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٥٢٦ .

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى،(سلســـلة الإســـلام وتحديات العصر ، الكتاب التاسع)،القاهرة،دار الفكر العربى ،١٩٧٩م ، ص ١٢٩

(٥) دكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

نحو الخير والصلاح ، وتوجيهه إلى ما ينبغى أن تكون عليه علاقاته بربـــه ، وبنى جنسه ، ومجتمعه ، وأمته والعالم أجمع ... من أجل ذلـــك فــرض الله تعالى العبادات ، باعتبارها أسس وأركان الدين الإسلامى الحنيف ، وأســـاليب هداية وإرشاد وتربية ، وأدوات تغيير وطرق تعلم .

كانت فريضة الزكاة التى جعلها الله سبباً لتذكــرة الإنســـان بحصـــة الجماعة المسلمة فى ماله الذى استخلفه الله عليه ، ومنحه إيــاه ، وجعلـــها مذكرة له بأن يعمل لغيره من بنى جنسه ، كما يجب أن يعمل لنفسه ، وجعلها أيضا الامتحان الحقيقى له والابتلاء فيما تحب نفســـه وتــهوى مـــن المــال والمتاع، فى الدنيا ، وما أعده الله تعالى من ثواب فى الآخرة لمن أعطـــى لله واتقى غضبه وعقابه . " إن الزكاة تسهم فى إعداد الإنســـان مـــن الناحيـــة الأخلاقية ، كما تسهم أيضا فى إعداده من الناحيـــة الاجتماعيـــة، حيـــث إن الإسلام لم يهتم بالفرد فقط بل اهتم بالمجتمع أيضا ".[١]

الإنسان فى التصور الإسلامى – بحكم فطرته وطبيعته الأولـــى ليـــس بالخير المحض ، ولا بالشر المحض ، بل هو شئ خال من هذا وذاك ، وقابلة نفسه لأن تكون خيرة أو شريرة ، إنه قابل للتشكيل والتعديل وذلك بحسب مـــا يتوفر له من تربية وبيئة ، إذ الخير والشر أمـــران مكتســبان عـــن طريـــق التربية، وذلك مصداقا لقول الله تعالى : " ونفس وما سواها فألهمها فجورهـــا وتقواها " .[٢]

---

(١) أحمد محمود حسن عياد : مرجع سابق ، ص١٦١ .

(٢) قرآن كريم : سورة الشمس ، الآية ٧ .

ومصداقا لقول رسول الله (ﷺ) : " ما من مولود إلا يولــد علــى الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ، ويمجسانه ، كما تنتج البهيمــة بهيمــة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " [1] .. واقرأوا إن شئتم: " فطــرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ". [2]

إن الله تعالى هو الذى خلق القلب البشرى ، وهو الذى أنزل إليه هــذا الدين الإسلامى الحنيف ليحكمه ، ويصرفه ، ويطببه من المرض ويقومه مــن الانحراف وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير ، والفطرة ثابتــة ، الديــن ثابت " لا تبديل لخلق الله " فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليــها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة . [3]

لقد كرم الله تعالى الإنسان ، وجعله قادراً على التميــيز بيــن الخــير والشر ، فألهم النفس البشرية فجورها وتقواها ،وغرس فى جبلتها الاستعداد للخير والشر ، وجعل للإنسان إرادة يستطيع أن يختار بين الطريــق المــؤدى للخير والسعادة والصلاح ، أو الطرق الموصلة للشر والشــقاء والضيــاع ، وبين للإنسان أن هدفه فى هذه الحياة الدنيا أن يترفع بنفســه عــن الشــر ، وسبله وأسبابه الموصلة إليه وأن يزكى نفسه ويطهرها [4] ويسمو بها عــن كل نقص أو رذيلة .. ولهذا شرع الله تعالى العبادات على أنها أساليب تربوية تزكى الإنسان وتطهره وتسمو به إلى عالم الفضيلة وتبتعد به عن كل رذيلة .

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجــع سابق ، الحديث رقم ١٨٥٢ ، ص ٤٨٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الروم ، جزء من الآية ٣٠ .

(٣) سيد قطب فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٢٧٦٧ .

(٤) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص٣٤ .

فالعبادات فى الإسلام ، ومنها الزكاة – تربى المسلم علــى الارتبــاط بالمسلمين حيثما كان ، ارتباطا واعياً منظماً قائماً على عاطفة إيمانية صادقة، إنه ارتباط واع لأنه ليس طاعة عمياء للمجتمع ، ولا هياجا جماهيريا عــابرا .. إن بعض العبادات قائمة على التجمع كالحج والزكاة ، فمهما منعــوا مــن إقامة المجتمع المسلم ، فلابد لهم من العودة إليه ، وتوحيد القلوب والنفــوس المؤمنة حتى تصبح كالجسد الواحد [١] إذا اشتكى منه عضو تداعى له ســائر الجسد بالسهر والحمى .

يعترف الدين الإسلامى بدوافع الإنسان ، ونزعاته وميوله المكتسـبة ، ولذلك يقدم له يد العون والمساعدة ، كى يهذب هذه الميول وتلــك النزعــات والنزوات ، ويعمل على توجيهها والاستفادة منها لتحقيق الخــير والحكمــة المرجوة من وجود الإنسان على الأرض ، سواء أكان هذا الخير لنفســه ، أو لمجتمعه [٢] من أجل ذلك كانت العبادات فى الإسلام أساليب تربويــة ، لكبــح جماع الشر لدى الإنسان ، المتمثل فى الطمع وحب النفــس ، وحــب الدنيــا والتكالب على المال ، وعدم الانفاق منه – طاعة الله – وبالتالى كانت الحكمــة من العبادات ومنها الزكاة – تدريب المسلم على العطاء ، والبذل والانفــاق ، فيما يرضى الله ، وينفع البشر ، واتباع أوامر الله فيما استخلفه فيه واستأمنه عليه، والزكاة بهذا المعنى شكر من العبد لله تعالى على نعمه ، " فإن لله عــز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله ، فالعبادات البدنيــة شــكر لنعمــة البدن، والعبادات المالية شكر لنعمة المال ، وما أخس من ينظر إلــى الفقــير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شــكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه " . [٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) دكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص١٠٣ .

(٣) الإمام الغزالى : مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

أقر الإسلام مبدأ التكافل الاجتماعى ، بما يتفق مع التصور الإسلامى للإنسان وللمجتمع ، وبذلك جاء مختلفا اختلافا أساسياً عن مثيله فى الأنظمة المعاصرة ، سواء كانت مجتمعات تقوم على أساس النظم الفردية ، التى تعد الدولة فيها دولة خدمات فقط ؛ أو كانت تقوم على النظم الجماعية التى تعتبر الدولة فيها دولة إنتاج وخدمات معاً ، ويظهر ذلك الاختلاف بين مبدأ التكافل الاجتماعى من المنظور الإسلامى ، ومثيله فى النظم الأخرى ، من خلال هذه النقاط :

(١) التكافل الاجتماعى فى الأنظمة الحديثة تكافل فردى ، يتناول الحاجات المادية فقط ، بينما التكافل الاجتماعى من المنظور الإسلامى ، تكافل أرحب وأوسع من التعاون على ضمان الخير والمصلحة الفردية العامة[١] وذلك واضح من خلال فهم واستيعاب وتدبر قول الله تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " . [٢]
إن التعاون الذى يقره الإسلام ، أوسع نطاقاً من أى تعاون آخر ، لأنه تعاون على البر – بمعنى تعاون على كل أمر من أمور الخير ، إنه تعاون على البر والخير بكل معانيه ، ومن جميع الوجوه وبذلك يكون بعيداً عن كل تعاون وأى تعاون على المنكر ، والإثم والعدوان ، بكل معانيه ، ومن جميع وجوهه. [٣]

(٢) إن التكافل فى الأنظمة الحديثة ، غير الإسلامية ، لا يشمل إلا حلقة واحدة أو دائرة واحدة ، هى دائرة الفرد والجماعة ، بينما يتسع مفهوم هذا التكافل – من المنظور الإسلامى – ليشمل سائر الدوائر ، وكل

---

(١) دكتور عبد الكريم عثمان : مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

(٢) قرآن كريم : سورة المائدة ، جزء من الآية الثانية .

(٣) خلف محمد الحسينى : البيان فى منهاج الإسلام ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م ، ص ٧٦ .

الحلقات ، فهناك تكافل بين الفرد وذاته ، وبين الفرد وأسرته القريبة ، وبين الفرد والجماعة الإنسانية التى ينتمى إليها ويكون عضوا فيها ، وبين الأمة والأمم الأخرى ، وبين الجيل والأجيال الأخرى ، المتعاقبة ، السابقة أو اللاحقة .. (١)

(٣) جاء التكافل الاجتماعى فى الأنظمة الحديثة – غير الإسلامية ، بعد مطالبات وضغوط كثيرة تعرضت لها من الأفراد ، ومن جهات أخرى ، بينما جاء التكافل الاجتماعى فى الإسلام ، دون مطالبة من الناس ، ودون ضغوط ، بل جعل الإسلام هذه الرعاية الاجتماعية ، وهذا التعاون، والتكافل ، نوعاً من العبادة ، وأسلوبا من أساليب التربية الإسلامية ، يتقرب الإنسان بها إلى الله تعالى .

يعد التكافل الاجتماعى فى المجتمعات غير الإسلامية ، صناعة بشرية، أما التكافل فى الإسلام ، فإنه عبادة ربانية ، وأسلوب تربوى أخلاقى إسلامى ، من أساليب هذه التربية الإسلامية المتميزة . وهكذا نقف على حقيقة مؤداها " أن نظام التكافل الاجتماعى الإسلامى ، مقتبس من المنهاج الإسلامى ، المعبر عنه بالإخاء ، وإن كان لم يبلغ درجته المثلى حتى اليوم، كما بلغت فى عهد عمر بن الخطاب، وحفيده عمر بن عبد العزيز ". (٢)

(٤) وثمت اختلاف رابع بين التكافل فى المجتمعات غير الإسلامية ، والذى يأتى نتيجة ما يجمع من مصروفات الرعاية الاجتماعية عن طريق الضرائب وأقساط التأمين ، وبين التكافل الاجتماعى فى الإسلام ، إذ المستفيد من المال لا يدفع شيئا ، ولكن الذى يدفع هو المستغنى ، أما الدولة فى الإسلام – ومؤسساتها فهى واسطة لجمع المال من القادرين ،

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٢) خلف محمد الحسينى : مرجع سابق ، ص٧٤ .

وبالتالى توزيعه على المستحقين ، ثم إن المال الذى يجمع من الزكـــاة ، وهى صلب النظام الإسلامى ، للعدالة الاجتماعية ، فإنه يقدر على أســاس رأس المال ، وليس على أساس الدخــل كمــا هــو فــى نظــم التكــافل المعاصرة . " (١)

لقد فرض الله تعالى الزكاة ، وهى العبادة المالية ، والوسيلة الأساسية التى يحقق بها الإسلام العدالة الاجتماعية بين المســـلمين القــادرين وغــير القادرين ، وقد جعلها الله تعالى ركنا من أركان الدين الإســـلامى الحنيــف ، وضرورة من ضرورات الإيمان ، دالة عليه ، فرضها فىأمـــوال القــادرين ، لغير القادرين من الفقراء والمحتاجين ، وهى حق المال ، واجبة الأداء ، بــل ويقاتل من يمتنع عن أدائها .

تعد المواساة بين الأغنياء والفقراء فى المجتمع الإسلامى ، أصلاً مــن أصول نظام الحياة الإسلامية ، بل إن المواساة كانت من أول مــا دعــا إليــه الإسلام ، ونزل به القرآن الكريم فى أوائل نزوله ، قال تعالى " " ومـــا أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فـــى يــوم ذى مســغبة * يتيمــا ذا مقربــة * أو مسكينا ذا متربة . " (٢)

إن دين الإسلام منهج أمة ، ودين جماعة ، مع وضوح التبعة الفردية والحساب الفردى فيه وضوحاً كاملاً ، وأولئك الذين يقتحمون العقبة ، التـــى تقف بينهم وبين الجنة " أولئك أصحاب الميمنة " .. وهــم أصحــاب اليميــن وأصحاب الحظ والسعادة .. إن الانفاق فى وجوه الخير ، ومعه صورة إطعــام الطعام فى يوم يعز فيه الطعام ؛ يدل على حقيقــة إيمــان المنفــق لله .. وإن

---

(١) انظر: دكتور عبد الكريم عثمان : مرجع سابق ، ص ٢٥٣.
(٢) قرآن كريم : سورة البلد ، الآيات ١٣ : ١٦ .

الإيمان مفروض وقوعه قبل البذل والعطاء والتضحية ، وفك الرقبة أو إطعام الطعام ، لأن الإيمان الحق هو الأساس الذى يجعل للعمل الصالح وزنا فى ميزان الله تعالى . [1]

لقد ظهرت مواساة المسلمين فى مجالات كثيرة من هذه المجالات الزكاة ، والصدقة ، والإنفاق .. وهذه المجالات تدل على الإيمان ، بوصفها عبادة الله – فى خلقه – بعد عبادته سبحانه فى ذاته ، ويدل ذكرها فى مواضع شتى على الحالة الاجتماعية التى كان القرآن يوجه إليها .. أما عدم القيام بها ، فإنه يؤدى إلى عذاب الله تعالى ، وذلك من خلال قوله تعالى : " ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكذا نكذب بيوم الدين " [2]

لقد حق عذاب الله على الذين لم يؤمنوا به ، واتصفوا بأنهم استهتروا بأمر العقيدة وحقيقة الإيمان وأخذوها مأخذ الهزل واللعب والخوض بلا مبالاة، وبالتالى لم يكونوا " من المصلين " ولم يطعموا المسكين .. ومن هنا اختلت قيمهم واضطربت موازينهم ومعاييرهم .. وفسدت مقاييسهم لأنهم عملوا للدنيا فقط ، ونسوا الآخرة ولم يعملوا صالحا لها . [3]

تنقسم المواساة فى الإسلام إلى قسمين ، مواساة جبرية واجبة محددة ، معلومة القدر ، وينصرف هذا المعنى على الزكاة المعلومة ، المحددة القدر. أما المواساة الثانية فهى المواساة الاختيارية ، المندوب إليها ، والمتروكة لسخاء الأغنياء وكرمهم ، وهى الصدقات . ولاشك أن وراء هذا التقسيم حكمة بالغة [4].

---

(١) انظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٩١٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة المدثر ، الآيات ٤٢ : ٤٦ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ص ٣٧٦١ ، ٣٧٦٢ .

(٤) الإمام محمد الطاهر ابن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام ، الشركة التونسية للتوزيع ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٩م ، ص ١٣٨ .

(٥) من المبادئ الإسلامية التى تقوم عليها فريضة الزكـــاة ، وينبغـــى أن يعيها المزكى ، أن الزكاة تطهر الإنسان من صفة البخـــل ، والشـــح .. لقول رسول الله (ﷺ) : " اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيـــامة واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن ســـفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم . (١)

ولاشك أن صفة البخل أو الشح – كما يقول الإمام الغزالى – : تـــزول بتعود النفس الإنسانية على " بذل المال ، فحب الشئ لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته ، حتى يصير ذلك اعتيادا ، فالزكاة بـــهذا المعنـــى طـــهرة ، أى تطهر صاحبها من حيث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقـــدر بذلـــه ، وبقـــدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى " . (٢)

ولقد توعد الله سبحانه وتعالى الأشحاء ، ورغب فى الكرم والكرماء ، فقال تعالى : " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحـــون " (٣) أى أن مـــن تخلص من هذه الصفة فقد صار من الفالحين ، وسبب ذلك أن شح النفس هـــو المعوق عن كل خير يقصده المسلم ، وأن الخير بذل وعطـــاء بصـــورة مـــن الصور ، فقد يكون هذا البذل فى المال ، وقد يكون فى العاطفة ، وقد يكـــون فى الجهد ، وقد يكون فى الحياة إذا اقتضى الأمر ، " وما يمكـــن أن يصنـــع الخير شحيح " ، يهم دائما أن يأخذ ولا يهم مـــرة أن يعطـــى ، ومـــن يـــوق

---

(١) على حسن على عبد الحميد الحلبى الأثـــرى : الأربعـــون حديثـــا فـــى الشـــخصية الإسلامية، الدمام ، دار ابن القيم للتوزيع والنشر ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠م ، ص ٥٧.

(٢) الإمام الغزالى : مرجع سابق ص ٢٥٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة الحشر ، جزء من الآية ٩ .

شح نفسه ، فقد وقى هذا المعوق عن الخير، فانطلق معطيا ، باذلاً، كريمـــا ، وهذا هو الفلاح فى حقيقة معناه " (١) .

تطهر الزكاة صاحبها ، بقدر بذله ، وعطائه ، احتســـابا لله تعـــالى ، وابتغاء مرضاته ، وتفريجاً لكروب المكروبين، وسدا لحوائـــج المحتـــاجين ، لقول رسول الله (ﷺ) : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفـــس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فـــى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ." (٢)

ولقوله (ﷺ) : " من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومـــن ســـتر مسلما ستره الله يوم القيامة " . (٣)

إن دفع الضرورات واجب على المسلم ، إذا رأى أخاه فـــى ضـــرورة فعلية أن يدفع ضرورته ، وإن رآه فى حاجة وجب عليه أن يقضـــى حاجتـــه على قدر استطاعته ، وأن يزيل ضرورته ما أمكن ذلك ، شرط أن تكون هـــذه الحاجة فى طاعة الله ، وليست فى معصيته تعالى وينبغى علـــى المســـلم أن يعين أخاه فى الحوائج والأمور المباحة ، فإن الله فى عونه ما كان هذا المسلم فى عون أخيه . (٤)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٥٢٧ .

(٢) الإمام الحافظ النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تحقيق : محى الديـــن جراح ، راجعه وأشرف عليه : الشيخ محمد على الصابونى ، مرجع سابق ، الحديـــث رقم ٢٤٦ ، ص ١٥٥ .

(٣) المرجع السابق : الحديث رقم ٢٤٥ ، ص ١٥٥ .

(٤) الشيخ محمد بن صالح العثيمين : شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرســـلين ، الجزء الثانى ، حققه وخرج أحاديثه : وائل أحمد عبد الرحمن ، القـــاهرة ، المكتبـــة التوفيقية ، د.ت. ، ص ١٥ .

الزكاة حق معلوم فى مال الأغنياء للسـائلين والمحرومين ، لقـول الله تعالى : " والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " [1] شـرط أن يبلغ مال الغنى النصاب المحدد " أى المقدار الذى حدده الشرع لكل نـوع من أنواع المال " وعلى هذا المعنى ، فإن " المال القليل الـذى لـم يبلـغ مقدار النصاب المحدد ، لا زكاة فيه ، وذلك لأن الزكاة تجب فى الزائد عن حاجة المالك " [2] فإذا لم يبلغ المال النصاب فلا زكاة فيه ، لقول الله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " . [3] والعفو : هو الزيادة والفضل ، فكل ما زاد على النفقة الشخصية – فى غير ترف ولا مخيلة – فهو محـل للإنفاق ، الأقرب فالأقرب ... والزكاة وحدها لا تجـزئ .. إن الزكـاة لا تبرئ الذمة إلا بإسقاط الفريضة ، ويبقى التوجيه إلى الإنفـاق دائمـاً .. والزكاة هى حق بيت مال المسلمين تجمعها الحكومة التى تنفـذ شـريعة الله، وتنفقها فى مصارفها المعلومة ، ولكن يبقى بعد ذلك واجب المسـلم لله ولعباد الله . إن الزكاة قد لا تستغرق الفضل كله . [4]

روى عن النبى (ﷺ) أنه قال " فى المال حـق سـوى الزكـاة " ، ويجوز ما يلزم من صلة الرحم بالإنفاق على ذوى المحارم الفقراء، ويحكم به الحاكم عليه لوالديه وذوى محارمه ، إذا كانوا فقراء عاجزين عن الكسـب ، وجائز أن يريد به ما يلزمه من طعام الجائع المضطر ، وجائز أن يريد به حقا

---

(١) قرآن كريم : سورة المعارج ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢١٩ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٢٣١ .

مندوبا إليه لا واجبا ، إذ ليس فى قوله : " فى المال حق " يقتضى الوجـوب ، إذ من الحقوق ما هو ندب ومنها ما هو فرض . [١]

الزكاة دين على المسلم القادر ، بل هى – كما يرى الإمام ابن حـــزم وغيره – دين ممتاز ، مقدم على سائر الديون ، لما اجتمع لها من صفـــات ، وما توافر لها من خصائص ، فهى حق الله ، وحق الفقير ، وحـــق المجتمـــع جميعا " . [٢]

وإذا كانت الزكاة دين على القادرين من أرباب المال ، فإن هذا الدين– الزكاة – لا يسقط بموت صاحبه ، بل " تخرج من تركته ، وإن لم يوصى بها، هذا هو قول عطاء والحسن والزهرى وقتاده ومالك والشافعى وأحمد وإسحاق وأبى ثور وابن المنذر .. ، وهذا القول هو الصحيح ، لقول الله تعـــالى فـــى المواريث : [٣] من بعد وصية يوصى بها أو دين " . [٤] وقد " أجمع العلمـــاء من السلف والخلف على أن الدين تقدم على الوصية " وتقديم الديـــن مفـــهوم واضح ، لأنه يتعلق بحق الآخرين ، فلابد من استيفائه من مال المورث الـذى

---

(١) الإمام الجصاص : أحكام القرآن ، الجـــزء الأول ، ضبـــط نصـــه وخـــروج آياتـــه : عبد السلام محمد على شاهين ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلميـــة ، ١٤١٥هــــ ، ١٩٩٤م ، ص١٦١ .

(٢) ، (٣) سعيد حوى : الإسلام (أربعة أجزاء معاً) ، الجزء الأول ، راجعـــه الأســـتاذ : وهبى سليمان القاوجى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٧هــ ، ١٩٧٧م ، ص ١٣١

(٤) قرآن كريم : سورة النساء ، جزء من الآية ١١ .

استدان ، مادام قد ترك مالاً ، توفية بحق الدائن ، وتبرئة لذمة المدين " . [1]

الله هو المالك – على الحقيقة– وليس الإنسان ، لقد استخلف الله الإنسان على هذا المال ، فهو أمين عليه ، من قبل مالكه الأصلى ، وهو الله مالك الملك ، وواهب الرزق ، ولهذا وجب على الإنسان أن يقر بهذا الفضل ، ويعترف بهذه النعمة ولا ينكرها ، ومن أجل هذا كان على الإنسان أن يخرج زكاة ماله ، إنها لا تسقط بالتقادم كما تسقط الضريبة بمرور السنوات ، قلت أو كثرت – بحسب ما يحدده القانون ، " إن الزكاة دين ، وتظل دينا فى عنق صاحب المال – المسلم ، لا تبرأ ذمته ، ولا يصح إسلامه ، ولا يصدق إيمانه ، إلا بآدائها ، وإن تكاثرت الأعوام " . [2]

جاء فى وجوب الزكاة عن ابن عباس ، (رضي الله عنه) : أن معاذا قال : بعثنى رسول الله (ﷺ) فقال : " إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم :واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها دين الله حجاب " . [3]

إن الزكاة أهم ما تحتاج إليها الجماعة المسلمة ، فى إقامة شئونها ، وقد فرضت على الأصح سنة اثنين من الهجرة النبوية ، وكانت قبل ذلك تطلق

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٥٩٢ .

(٢) سعيد حوى : (الإسلام ، أربعة أجزاء معا) الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

(٣) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجع سابق ، الحديث رقم ٥٠١ ، ص ١٣٦ .

على الصدقات وذلك الإطلاق هو الواقع فى القرآن الكريم ، النازل قبل الهجرة النبوية [1] وهى بالتالى أحد أركان الإسلام الخمسة ، ومبانيه العظام ، وشروط وجوبها خمسة أشياء أحدها الإسلام ، ومعنى هذا أنها لا تجب على الكافر ، ولو مرتدا . والثانى : الحرية ، فلا تجب على الرقيق العبيد ، ولو كان مكاتبا ، أما الثالث : فملك النصاب ، إذ لا تجب إلا اكتمل النصاب ، أما الرابع. فالملك التام والخامس : فتمام الحول . [2]

من المبادئ الإسلامية المرتبطة بفريضة الزكاة والتى يجب أن يعيها المزكى جيداً ، أن الزكاة ضمان للمجتمع الإسلامى ، وتأمين اجتماعى له، وهو من قبل هذا ومن بعده ، فريضة مالية ، افترضها الله تعالى ليتزكى بها المؤمن ، فيزكى ماله ونفسه .. ولكى يستعلى بها عن الأنانية ، وحب المال ، وحب النفس ، وبالتالى لكى يتعاطف مع أخيه الفقير ويحنو عليه، ويصيرا إخوانا فى الله متحابين .

إن الزكاة بهذا المعنى تعد منهج حياة ، متمثلة فى التربية الاجتماعية للمجتمع الإسلامى . هذا المنهج يضم أصنافا من المستفيدين والمستحقين الذين يمثلون قطاعا عريضا من المجتمع الإسلامى .. إن الزكاة باعتبارها ضمان اجتماعى ، تعمل على حفظ التوازن بين أفراد الأمة وأعضائها من الفقراء والأغنياء ، حتى يكونوا جسداً واحداً .

الزكاة التى فرضها الله وحددها فى أموال القادرين ، وجعلها حقا من حقوق الفقراء ، معلوما فى أموال الأغنياء ، هذه الفريضة الاجتماعية يؤديها

---

(١) الإمام محمد الطاهر ابن عاشور : مرجع سابق ، ص ١٤١ .

(٢) الشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان : منار السبيل فى شرح الدليل ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، جدة ، مؤسسة قرطبة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ . ص ١٧٢ : ١٧٤ .

القادرون إلى إخوانهم غير القادرين ليطهر الله بهم قلوبهم ونفوسهم ويجعلها " وشيجة تراحم وتضامن بين أفراد الأمة المسلمة ، تندى الحياة الإنسانية .. وتمسح على جراح البشرية ، وتحقق فى الوقت ذاته التأمين الاجتماعى ، والضمان الاجتماعى فى أوسع الحدود ، وتبقى لها صفة العبادة . التى تربط بين القلب البشرى كما تربط بينه وبين الناس " . (١)

هذه الزكاة ليست مجرد واجب عادى ، إنها إحدى دعائم الدين ، وأحد أركان الإسلام الخمسة التى قام عليها بنيانه ، وأصبح معلوما بالضرورة أنها كذلك ، وقد تناقل ذلك الخاص والعام ، ولم تعد فرضيتها فى حاجة إلى دليل يقام ، فقد ثبت ثبوتاً مؤكداً بالآيات القرآنية الدالة المؤكدة ، والأحاديث النبوية الصريحة بالسنة النبوية المتواترة ، بإجماع الأمة . خلف عن سلف ، وجيل وراء جيل ، " فمن أنكرها أو أنكر وجوبها جهلا ، وكان ممن يجهل ذلك إما لحداثة عهده بالإسلام أو لأنه نشأ ببادية نائية عن الأمصار . عرف بوجوبها ، ولم يحكم بكفره لأنه معذور ، وإن كان مسلماً ناشئاً ببلاد الإسلام بين أهل العلم ، فهو مرتد يجرى عليه أحكام المرتدين".(٢) فهى فريضة لازمة ، يكفر من يجحدها ، ويفسق من يمنعها، ويقاتل من تحدى جماعة المسلمين بتركها ، وحسبنا أن الخليفة الأول أبا بكر – رضى الله عنه – جهز أحد عشر لواء لمقاتلة من امتنعوا عن آداء الزكاة ، وقال كلمته الشهيرة ، " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى ، عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعه " . (٣) (رواه الشيخان)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن : المجلد الثالث ، ص ١٦٧٠ .

(٢) سعيد حوى : الإسلام (أربعة أجزاء معاً) ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٣) انظر : الإمام الحافظ بن رجب : جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس ، الجزء الأول ، الطبعة السابعة ، بيروت . مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م ، ص ٢٣٢ .

ولما كانت الزكاة عبارة عن تمليك مال مخصص لمستحقه ، بشـوائط مخصوصة . أو هى حق واجب فى مال مخصوص ، لطائفة مـن المسلمين مخصوصة عينها الشرع ، فى وقت مخصوص فقـد حـدد القـرآن الكريـم مستحقى الزكاة وحصرهم فى ثمانية أصناف من الناس ، قال تعالى : " إنمـا الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفـى الرقـاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " . [1]

حدد الله تعالى الفئات المستحقة للزكاة فى ثمانيـة أصنـاف " وهـم الفقراء والمساكين المحتاجون ، الذين لا يجدون مـا يكفيـهم مـن المـال ، والعاملون الذين يقومون بإحصائـها وكتابتـها وجمعـها وحفظـها ، حتـى لا يطمعوا فيما فى أيديهم ، والمؤلفة قلوبهم الذين يعطون الزكاة لترغيبهم فى الإسلام ، واتقاء كيدهم ، والأرقاء لإنقاذ رقابهم من الرق، والأسر والاستعباد، ومساعدتهم فى التحرر من العبودية ، وإعادة الحرية إليهم ليكونوا أحـراراً ، والغارمون هم المدينون الذين عجزوا عن دفع ما عليهم من الديـون ، فـهم يمنحون الزكاة ، لأداء ما عليهم من دين ، حتى يثق النـاس بـهم ، ويـدوم التعاون بينهم . " [2]

تأخذ الزكاة مكانها فى الشريعة الإسلامية ، وفى النظام الإسـلامى ، باعتبارها منهجا للتربية الاجتماعية – من المنظور الإسلامى – وليست تطوعا أو تفضلا ممن فرضت عليهم ، وليس للمعطى اختيار فى المسـتحقين الذيـن حددتهم الشريعة الإسلامية ، أنها فريضة محتمة ، محددة الزمـن ، والقيمـة والمستحقين ، هى فريضة معلومة ، " ليست منحة ، وليست هبة ، من القاسم الموزع ، وليست إحسانا من المعطى ، وليست شحاذة من الأخذ، كلا مما قـام النظام الاجتماعى فى الإسلام على التسول .. ولن يقوم " [3]

---

(١) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٢) محمد عطية الإبراشى : عظمة الإسلام ، الجزء الأول (مكتبـة الأسـرة ، مـهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢—٢م ، ص ٧٤ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثالث ، ص ١٦٦٨ .

حددت الشريعة الإسلامية الأنواع التى يجب فيها الزكاة ، وهى :-

* <u>النوع الأول : زكاة النعم :</u>

" ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ، ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون " (١)

لقد أوجب الإسلام زكاة الماشية على ثلاثة أصناف ، وهى الإبل ، والبقر (وتشمل الجاموس) ، والغنم (وتشمل الماعز) . وقد اتفق الفقهاء على عدم وجوب الزكاة فى الخيل والبغال والحمير ، إلا إذا كانت من أموال التجارة " . (٢)

أما الأنعام فإن كانت للتجارة ، فهى عروض التجارة ، وإن كانت للدر والنسل والعمل ، وتعلف كل عام ، فليس فيها زكاة إلا على رأى المالكية ، إذا بلغت نصابا ، وإن كانت للسوم والرعى ، ففى البقر بأنواعه ، والغنم مع المعز والجمال بأنواعها زكاة ، إذا بلغت نصابا وحال عليها الحول . (٣)

* <u>النوع الثانى : زكاة الزروع والثمار :</u>

الزروع جمع زرع وهو ما استنبت بالبذر لقصد استغلال الأرض من الأقوات وغيرها . أما الثمار فهى جمع ثمر ، وهو كل ما يؤكل من أحمال الأشجار والنجوم (أى ما لا ساق لها من النبات) . (٤)

* وقد حدد الإسلام الأموال التى تجب فيها الزكاة ، كما حدد الحد الأدنى لما يجب فيه الزكاة ، ومتى تجب الزكاة على المال ، والمقدار الذى

---

(١) الإمام الغزالى : مرجع سابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) دكتور عبد الله شحاته ؛ فقه العبادات ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م ، ١٣١ .

(٣) سعيد حوى : الإسلام (أربعة أجزاء معا) ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

(٤) الإمام محمود محمد خطاب السبكى : الدين الخاص ، أو إرشاد الخلق إلى دين الحق ، الجزء الثامن ، الطكبعة الثالثة ، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م ، ص ١٩٩ .

يجب اخراجه على كل منها ، محدد زكاة الزرع ، التى يخرجها الله من الأرض بغير جهد يذكر من الإنسان بالعشر ، أى أن العشر يجب فـــى كـــل مســـتنبت يقتات ، خرج من الأرض بغير تعب أو جهد يذكر ، وإن كانت هـــذه الـــزروع تسقى بالآلات ، كانت زكاتها نصف العشر ، وهذه الزكـــاة تجـب فـــى كـــل زرعة . [1] وذلك مصداقا لقول الله تعالى : " وآتوا حقه يوم حصاده " . [2]

قال الإمام الحافظ بن كثير : فى معنى هذه الآية " قال بعضـــهم هـــى الزكاة المفروضة " يوم يكال ويعلم كيله ، وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكـــان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئا .. فقال الله تعالى (وآتـــوا حقـــه يـــوم حصاده) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصـــد شيئاً ، فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يعلم ما كيله وحقـــه من كل عشرة واحد . [3]

إن زكاة الزروع فرض ، كما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، لقول الله تعالى " وآتوا حقه يوم حصاده " والحق هو العشر ، فيما كانت مشقة تحصيله ، وتعبه وكلفته ، فوق ذلك فى الثمار والـــزروع، التـــى باشر حرث أرضها وبذرها ، ويتولى الله تعالى سقيها من عنده بلا كلفة مـــن العبد ولا شراء ماء ، ولا إثارة بئر ودولاب [4] فعن جـــابر – بـــن عبـــد الله (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) قال : " فيما سقت الأنهار الغيم العشور، وفيما سقى بالساقية نصف العشر " . [5]

---

(1) دكتور يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(2) قرآن كريم : سورة الأنعام ، جزء من الآية ١٤١ .

(3) الإمام الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ١٨٨ .

(4) دكتور يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

• السانية ؛ البعير الذى يسقى به الماء من البئر ، ويقال له الناضح .

(5) الحافظ المنذرى ؛ مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجـــع سابق – كتاب الزكاة – باب ما فيه العشر ونصف العشر – الحديث رقم ٥٠٣ ، ص ١٣٦.

تكون زكاة الزروع نصف العشر فيما تولى الإنسان سقيه ، بالكلفة أو بالجهد والتعب ، أو بالدوالى والنواضح – الماشية – وغيرها ، وأوجب الشرع – نصف ذلك – وهو ربع العشر ، فيما كان النماء فيه موقوفا على عمل متصل من رب المال، بالضرب فى الأرض تارة والإرادة تارة، وبالتربص تارة .. ولاشك أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزروع والثمار ، وأيضا فإن نمو الزروع والثمار أظهر وأكثر من نمو التجارة ، فكان واجبها أكثر من واجب التجارة ، وظهور النمو فيها يسقى أكثر مما يسقى بالدوالى والنواضح . [٢]
ويعلق الدكتور يوسف القرضاوى على هذا فيقول : هذا غير مسلم دائماً فقد يدور رأس المال فى التجارة أكثر من مرة ، ويحقق ربحاً كثيراً ، لهذا كانت الزكاة فى التجارة على رأس المال ، والربح فى الزرع على الغلة وحدها .

قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد " . [٣] هذا نداء عام للذين آمنوا ، فى كل وقت وفى كل جيل يشمل جميع الأموال التى تصل إلى أيديهم ، تشمل ما كسبته أيديهم من حلال ، وما أخرجه الله تعالى لهم من الأرض من زرع وغير زرع، مما يخرج من الأرض ، كذلك يشمل المعادن ، والبترول ، ومن ثم يستوعب النص القرآنى جميع أنواع المال ، فالنص شامل جامع ، لا يفلت منه مال مستحدث فى أى زمان ، وكله مما يوجب النص فيه الزكاة . [٣]

---

(١) دكتور يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .
(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٧ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ص ٣١٠ ، ٣١١ .

* النوع الثالث : زكاة النقدين :

وهى زكاة الأثمان ويقصد بها الفضة والذهب ، والزكاة فيها فـوض – بالكتاب والسنة ، وإجماع الأمة ، مضروبة وغير مضروبة إذا بلغـت نصابـاً حال عليه الحول فاضلاً عن الحوائج الأصلية والدين الذى له مطالب من العباد (١) أما الحلى الأخرى ، كاللؤلؤ والمرجان والزبرجد والماس ونحوها .. فـــلا زكاة فيه اتفاقا إلا إذا اتخذ للتجارة ففيه الزكاة . (٢)

لقد حدد الإسلام الحنيف الأنواع التى يجب فيها الزكاة شرعاً وهـــى " الذهب والفضة " ويلحق بهما النقــود الأوراق الماليــة بأنواعــها ، وأســهم الشركات فتجب فيها الزكاة على أساس قيمتها . (٣)

ولا زكاة فى الفضة حتى تبلغ مائتى درهم فيجب فيها خمسة دراهـم ، ولا فى الذهب حتى يبلغ عشرين مثقالاً ، فيجب فيها نصف مثقال ، فإن كـــان فيهما غش فلا زكاة فيهما حتى يبلغ قدر الذهب والفضة نصابا ، فإن شك فــى ذلك خير بين الإخراج ، وبين سبكهما ليعلم قدر ذلك ، ولا زكاة فـــى الحلــى المباح المعد للاستعمال . ويباح للنساء كل ما جرت العادة بلبسه من الذهـــب والفضة ويباح للرجال من الفضة الخاتم وحلية السيف .(٤)

وتجب الزكاة فى النقدين (الذهب والفضة) سواء أكانـــا مســكوكين نقوداً أم تبراً أم سبائك إذا مر عليهما سنة قمرية (الحول) ومقدار الزكاة فيهما يقدر بربع العشر أى (٢,٥%) تؤخذ ثمن بملك النصاب .. ومن شروط وجوب

---

(١) الإمام محمود محمد خطاب السبكى : مرجع سابق ، ص ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٣) دكتور عبد الله شحاته : فقه العبادات ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٤) بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسى : العدة فى شرح العمدة فى فقه الإمـــام أحمد بن حنبل ، تحقيق : عبد الرازق المهدى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنـــان . دار الكتاب العربى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥ ، ص ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

الزكاة فى النقدين – الذهب والفضة سواء أكانا مسكوكين نقـــودا أم تـــبرا أم سبائك أن تمضى عليهما سنة قمرية أى ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما علـــى هذا النصاب ، وهو مملوك لصاحبه ملكا تاماً .[1] فإذا زالت ملكية المالك عـن ماله بعد نصف سنة أو أكثر ، وبما لا يتجاوز السنة (٣٥٤ يوما) فلا تجـــب فيه الزكاة .

* النوع الرابع : زكاة التجارة :

وهذا النوع من الزكاة يعامل كزكاة النقدين . وإنما ينعقد الحول مـــن وقت ملك النقد الذى به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا ، فإن كان ناقصاً أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ، وتؤدى الزكـــاة من نقد البلد وبه يقوم "[2]

أما البضائع التجارية (عروض التجارة) فيتناول الأقمشة والأوانـــى، والموبيليات والمفروشات والخردوات ، وكل ما يحتاج إليه من متـــاع البيـت وغيره ، وتجب فيه الزكاة إذا بلغت نصاب الذهب .. وتجـــب الزكـــاة فيـــها باعتبار قيمتها لا عينها ، وتخرج زكاتها نقوداً وليس من جنس ما يتجر فيه ، وليس شرطا أن تمر السنة على نفس السلعة ، بل على القيمة ، وإن توالـدت القيمة آلاف السلع . "[3]

يقوم التاجر كل سنة بضاعته ، ويضم الأصناف التى لديه ، بعضـــــها إلى بعض ، ثم يضم قيمة ما عنده من تجارة إلى ما يملك من أموال ســـائلة ، ثم يخرج الزكاة (٢,٥%) من قيمة المجموع الكلى ، بعد أن يســـدد ديونـــه ، فإذا كانت عليه دون أسقطها من القيمة قبل إخراج الزكاة ، وبالمثل إذا كـــانت

---

(١) عفيف عبد الفتاح طيارة : مرجع سابق . ص ٣٤٧ .

(٢) الإمام الغزالى : مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

(٣) الدكتور عبد الله شحاته : فقه العبادات ، مرجع سابق . ص ص ١٢٢ . ١٢٣ .

له ديون عند العملاء ضمها إلى القيمة ، ثم أخرج الزكاة ، ويجوز أن يؤخر الزكاة عن الديون المستحقة متى يتم قبضها ، ثم يخرج زكاتها عند قبضها . [١]

* **النوع الخامس : زكاة الركاز والمعادن :**

الركاز : مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الإسلام ملك ، فعلى واجده فى الذهب والفضة الخمس والحول غير معتبر ، والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة .. أما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة .. ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين .. [٢] قال تعالى : " واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه ". [٣]

النوع السادس : زكاة الفطر :

هى واجبة على الفور يوم عيد الفطر ، لأنها إنما شرعت لإغناء الفقير عن السؤال يوم الفطر ، وفى التأخير تفويت لهذا الغرض السامى ، فوجوبها مقيد لا مطلق ، وزكاة الفطر فرض ، لحديث نافع عن ابن عمر " أن النبى (ﷺ) أمر بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعاً من شعير ، قال ابن عمر : فجعل الناس عدله مُدين من حنطه " . [٤] أخرجه الشيخان وابن ماجه.

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) الإمام الغزالى : مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

(٣) قرآن كريم : سورة الأنفال ، الآية ٤١ .

(٤) الإمام محمود محمد خطاب السبكى : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

وزكاة الفطر واجبة على كل مسلم ، فمن مات أو أعسر قبل غروب شمس ليلة العيد فلا زكاة عليه ، وقد أجمعوا على أنها فرض ، وذلك لحديث ابن عمر : فرض رسول الله (ﷺ) زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد الحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين " . (١)

روى أبو بكر عن على (رضي الله عنه) " زكاة الفطر عمن جرت عليه نفقتك " و " تسن على الجنين " لفعل عثمان (رضي الله عنه) " ولا تجب ، " والأفضل إخراجها يوم العيد قبل الصلاة " .. وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلا الصلاة " وفى حديث ابن عباس " من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات . (٢) وقال سعيد بن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز فى قوله تعالى : " قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى " (٣) هو زكاة الفطر . (٤)

ومن المبادئ الإسلامية التى يجب أن تتوفر فى مؤدى الزكاة :-

(١) النية : وهى أن ينوى المؤمن بقلبة زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال ، فإن كان له مال غائب قال : هذا عن مالى الغائب ، إن كان سالما وإلا فهو نافلة .

(٢) البدار : عقب الحول مباشرة ، أما فى زكاة الفطر فلا يجوز أن يؤخرها عن يوم الفطر ، ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ، ووقت تعجيلها شهر رمضان كله .

---

(١) الشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان : مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٣) قرآن كريم : سورة الأعلى ، الآيتان ١٤ ، ١٥ .

(٤) الشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٣) أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة ، بل يخرج المنصوص عليه ، فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه فى القيمة .

(٤) أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين فى كل بلده تمتد إلى أموالها ، وفى النقل تخييب للظنون ، فإن فعل ذلك أجزأه فى قول ، ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى .

(٥) أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده ، فإن استيعاب الأصناف واجب عليه [١] ويدل ظاهر قوله تعالى ، " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " . [٢]

---

(١) الإمام الغزالى : مرجع سابق ، ص ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٢) قرآن كريم ، سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

الفصل الثالث

الزكـــــاة فى الشريعة الإسلامية

أولاً : الزكاة والتربية العقدية .

ثانياً : الزكاة والقيم العقــدية .

أولا : الزكاة والتربية العقدية :-

تتضمن التربية العقدية " قدراً من المعلومات والمعارف الدينية اللازمة لبناء عقيدة الفرد وتوجيه سلوكه ، وتمكين القيام بدوره في الحياة العملية " [١] وتقدم التربية العقدية للمسلم من المعلومات والمعارف الدينية الإسلامية ، على قدر استعدادات وإمكانات الفرد ، وذلك بهدف المساهمة في بناء شخصية بناء متكاملاً يمكنه من القيام بدوره في الأرض وفق منهج الله ، وذلك من خلال ما تقدمه هذه التربية العقدية للإنسان المسلم .

يمكن للتربية العقدية أن تشبع حاجات الجسم ومتطلبات الروح ، إشباعاً متوازناً ، بحيث لا يطغى الجانب الجسمي على الجانب الروحي (المعنوى) ولا الجانب المعنوى على الجانب الجسمي (المادى) لدى الإنسان .... وبذلك تتحقق الشخصية المسلمة (النموذج) ويتم ذلك عن طريق الزكاة المفروضة والصدقات .

يعد تنمية الوازع الدينى لدى الشخصية المسلمة ، إحدى أدوار التربية العقدية ، بحيث يتوفر عنصر التوازن ، ولا يكون للتطرف أو المبالغة والمغالاة مجال ... فخير الأمور أوساطها ... ومن خلال أداء الزكاة ينمو الوازع لدى المزكى ، فيشعر بقيمته في المجتمع المسلم ودوره نحو الفقراء ، وينمو الوازع الدينى لدى الفقير فلا يحقد ولا يحسد ، ولا يسخط ، وبذلك يسود التراحم والتعاطف والمودة بين الفريقين .

تمثل العبادات أحد مناشط التربية العقدية ، إذ تعتبر الزكاة على سبيل المثال أسلوباً ومنشطاً تربوياً إسلامياً ، يؤديها المسلم القادر نحو أخيه الفقير،

---

(١) سهام محمود العراقى : دراسة لآراء المدرسين بمحافظة الغربية نحو التربية الأخلاقية فى المدارس ، دراسة وصفية تحليلية علاجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، ١٩٧٦م ، ص ١١٨ .

متوجها بها إلى الله ، معترفاً بفضله ونعمه عليه ، فهي تطهر النفس الإنسانية من شحها وبخلها ، وتطهر المجتمع من أدرانه وأمراضه ومشكلاته، وتزكى النفس والمال من كل الشوائب ، وهى أيضاً تنمى المجتمع وتعمل على قوته وتماسكه .

الزكاة فريضة ، وهى ركن من أركان الإسلام الخمسة ، فرضها الله تعالى على القادرين من المسلمين ، ليساعدوا بها إخوانهم المحتاجين والفقراء . وهى حق معلوم ، قدره الله تعالى فى أموال الأغنياء، للفقراء ، فرضها الله تعالى ليربى بها الأغنياء من عباده المسلمين على التواضع ، والإيثار ، ويخلصهم من رذيلة الشح والبخل ، كما أراد الله بها تربية الفقراء على القناعة وعدم الحقد على إخوانهم الأغنياء ، وألا يتمنوا زوال نعم الله التى أنعم بها على الأغنياء . وتقوم هذه الفريضة على مجموعة من المبادئ والقيم الإسلامية ، ومنها ما يلى :-

الزكاة فريضة على القادرين من المسلمين ، لصالح إخوانهم الفقراء المحتاجين ، الغرض منها التطهير والتزكية ، مصداقا لقول الله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها " (١) فالزكاة تطهير ونماء لقول الله تبارك وتعالى " قد أفلح من زكاها " (٢) أى قد أفلح من طهر نفسه من الذنوب والمعاصى ، ويقال للزرع زكا يزكو ، أى نما ينمو ، أما معنى الزكاة شرعا فهو تمليك مال مخصوص لمستحقه ، بشرائط مخصصة ، أو حق واجب فى مال مخصوص ، بطائفة مخصوصة من المسلمين ، وفى وقت مخصوص . (٣)

---

(١) قرآن كريم : سورة التوبة ، جزء من الآية ١٠٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة الشمس ، الآية ٩ .

(٣) ياسين رشدى : الإسلام وأركانه (سلسلة كتب إسلامية ، رقم ٢) ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩١م ، ص ١٤٨ .

فإذا كان المال مملوكا ملكية تامة ، وجبت الزكاة، ومعنى ذلك أن يكون المال " بيد صاحبه ، وألا يتعلق به حق غيره ، وأن يكون له حرية التصرف فيه باختياره ، وأن تكون ثمرته له " . [1] وبناء على ذلك ، لا تجوز الزكاة فى المال الموقوف " وكذلك الديون التى فى ذمم المدينين ، والتى لا يرجى سدادها ، وكذلك المال الذى ليس لمالكه حرية التصرف فيه باختياره ، كالمال للمراهق ، والموضوع تحت يد حارس ، والقائم بشأن نزاع " . [2]

إيتاء الزكاة يعد دليلاً وبرهاناً واضحاً على الإيمان ، وتثبيتا لهذا الإيمان، وذلك مصداقا لقول الله تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير " .[3]

إيتاء الأغنياء للزكاة تعبير عن شكرهم لله تعالى ، على وقايتهم من ذل الفقر ، والحاجة والسؤال ، والاعتراف منهم لله تعالى بإنعامه عليهم بالرزق الواسع ، و" شكر لله تعالى على أنه لم يحكم عليهم أن يكونوا من الفقراء ، المحتاجين ، والمستحقين للفريضة والصدقة " [4] وعلى ذلك فإن الله تعالى يستحق منهم جزيل الشكر وعظيم الحمد ، ومن قام بأداء الزكاة شكراً لله على ما أعطاه ، واعترافا بالفضل ، فإن الله تعالى وعده بالمزيد والعطاء المتجدد ، قال تعالى : " لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد " . [5]

---

(١) ، (٢) عفيف عبد الفتاح طبارة ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .

(٤) محمد عطية الإبراشى : مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٥) قرآن كريم : سورة إبراهيم ، جزء من الآية ٧ .

الزكاة تؤكد عبودية الإنسان المخلوق لخالقه سبحانه وتعالى فتزرع فيه الثقة فيما عند الله ، وما أعده للمنفقين أموالهم فى سبيل الله ، الذين طهروا أموالهم بالزكاة والصدقات وتخلصوا من الشح والتقتير بالعطاء والبذل، ولم يتكالبوا على الدنيا ، ولم يعد الشيطان يخوفهم بالفقر ، ولم يعد له سلطان عليهم ، ولا يستطع أن يزعزع ثقتهم ويقينهم الجازم فيما عند الله .

الزكاة تربى المسلم على حب الخير ، وعلى حب الغير ، وعلى الإيثار، ونكران الذات ، والبعد عن الأنانية ، والجود بأفضل الموجود .

والمسلم المزكى دائما يتذكر قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد " . (١)

هذا نداء عام للذين آمنوا – فى كل وقت وفى كل جيل – يشمل جميع الأموال التى تصل إلى أيدهم ، تشمل ما كسبته أيديهم من حلال طيب ، وما أخرجه الله لهم من الأرض من زرع وغير زرع مما يخرج من الأرض ، ويشمل المعادن والبترول ومن ثم يستوعب النص القرآنى جميع أنواع المال . (٢)

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة ، فهى " الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة ، وذكرت بعد الصلاة لاقترانها بها فى اثنين وثمانين آية " (٣) .

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٧ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(٣) الإمام محمود محمد خطاب السبكى : مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

تطلب الزكاة لمستحقيها باسم الله تعالى ، وهى صورة عملية " للتعبير عن تلك الاستطاعة التى تزودت بها طبيعة المصلى الصائم ، فطالما يكتسب المصلى استعداداً ضد الانحدار عن مستواه الإنسانى ، بلقائه مع الله فى صلاته ، وطالما يكتسب الصائم بأدائه فريضة الصوم طاقة يتحكم بها فى فعل ما يجب أن يفعل ، وترك ما يجب أن يترك ؛ فمن السهل عليه أن يعطى لغيره ما يجب إعطاؤه من مال عن رضا " (١) طاعة لله واستجابة لأوامره.

والزكاة كما أوجبها الشرع " حق واجب فى المال لله تعالى " وهى بعبارة أخرى " تمليك جزء من مال عينه الشارع لمستحقه مع قطع المنفعة عن المملك من كل وجه " . (٢)

إن المال الذى منحه الله تعالى لعبده الذى اختاره الله لنفسه ، ينبغى ألا يكون فتنة له ، أو أن يصل فى حياته إلى درجة الهيمنة عليه ، والتحكم فيه ، الأمر الذى يجعله غاية فى ذاته وليس وسيلة ، فيحصله بأى طريقة كانت ، حتى ولو كانت بالتفريط من كرامته الشخصية .

قال تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون " . (٣)

هنا يظهر المنهج الإسلامى ، وهذه هى أدواته وتلك وسائله ، وهذه هى العدة متمثلة فى الاتصال بالله تعالى خالق الكون ، ومن ثم تقويم قلب

---

(١) دكتور محمد البهى : الدين والحضارة الإنسانية ، كتاب الهلال ، القاهرة ، دار الهلال، العدد ١٥٧ ، ١٣٨٣ هـ . ١٩٦٤م ، ص ١٩٥ .

(٢)الإمام محمود محمد خطاب السبكى : مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة النور ، الآية ٥٦ .

المسلم . وذلك عن طريق هذه الأساليب " إقامة الصلاة ، والاستعلاء على الشح ، وتطهير النفس ، والجماعة بإيتاء الزكاة ، وطاعة الرسول (ﷺ) والرضا بحكمه ، وتنفيذ شريعة الله فى الصغيرة والكبيرة ، وتحقيق المنهج الذى أراده للحياة " . (١)

إن الاستقامة على المنهج الذى حدده الله لعباده ، والذى أراده لهم وشرعه ليسيروا على هديه فى الأرض ، لهو كفيل بأن يوصلهم إلى رحمته تعالى ، فى حياتهم الدنيوية ، وينجيهم من الانحدار والفساد والقلق والقلاقل النفسية ، والاضطرابات والضلال ، وهو نفس المنهج الذى يوصلهم وينجيهم فى الآخرة من عذاب الله وغضبه ونكاله ، إنه هو المنهج الوحيد ، بل الأوحد الذى اختاره الله لعباده المسلمين وهو صالح للحياتين (الدنيوية والأخروية)، إذ ليس هناك إلا منهج واحد يصلح لهما معاً .

إن فريضة الزكاة مرتبطة أشد الارتباط بالعبادات الأخرى ، وهى فى نفس الوقت منهج حياة تحقق التكافل الاجتماعى فى الإسلام ، وكونها فريضة دينية ، فهى " تطلب لمستحقيها باسم الله ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة فى الله ، وفى أنه استخلف أصحاب المال فى ماله ، فحق عليهم أن ينفقوا بأمره وبإذنه من هذا المال " . (٢)

ولا شك أن السر فى العبادات فى الإسلام يكمن فى أنها كلها ترتبط بمعنى واحد ، الذى وحد نوازع الإنسان كلها ، وهو الذى ألف بين جميع أفراد

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٥٣٠ .

(٢) سيد قطب : نحو مجتمع إسلامى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص ١٤٨ .

المجتمع المسلم ، إنه العبودية لله وحده ، وتلقى التعاليم والأوامر من الله وحده ، فى أمر الدنيا والآخرة . (١)

● لقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإقامة الصلاة إقامة تامة يجنى المؤمن ثمرتها خشوعاً لله وخوفاً منه ، وانتهاء عن الفحشاء والمنكر والبغى والظلم بكل أنواعه وأشكاله وصوره وحجمه ، إنها إذا أديت على الوجه الذى يحبه الله ويرضاه ، أوصلت صاحبها إلى الفلاح فى الدنيا وكانت سبيلاً للنجاح والفوز برضاء الله تعالى وجنته فى الآخرة .

● إن إيتاءها رحمة وصدقة ، وبر ، وصلة بين الغنى والفقير ، من شأنه أن يعود على المجتمع الإسلامى بالخير والفلاح والرشاد وعز الدنيا وسعادة الآخرة . (٢)

لقد أوجب الله تعالى الزكاة على القادرين من المسلمين ، فقال تعالى :

" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين " (٣)

وقال تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون " (٤)

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٢) الدكتور عبد الله محمود شحاته : تفسير سورة النور ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ص ٢٢٧ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٤٣ .

(٤) قرآن كريم : سورة النور ، الآية ٥٦.

وقال تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عن الله إن الله بصير بما تعملون " . (١)

وقال تعالى : " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " . (٢)

إن دين " القيمة " عقيدة خالصة ، وعبادة مطلقة لله رب العالمين ، خالية من الشرك ، إنها " عبادة الله وحده ، وإخلاص الدين له ، والميل عن الشرك وأهله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة " وذلك دين القيمة " .... عقيدة خالصة فى الضمير ، وعبادة لله تترجم هذه العقيدة ، وإنفاق للمال فى سبيل الله ، وهو الزكاة . فمن حقق هذه القواعد ، فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب ، وكما هو فى دين الله على الإطلاق ، دين واحد " . (٣)

لقد تفضل الله على الأغنياء بأن منحهم المال ، واستخلفهم عليه ، الأمر الذى جعلهم ينفقوه فى مصارفه ، وأبواب الخير ، والبر عامة ، فقال تعالى : " آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه .. " (٤)

يأتى الإنفاق – الذى يشمل الزكاة والصدقة – بعد الإيمان بالله تعالى ، لارتباطه به ، ولكون الإنفاق هو الذى يبين حقيقة الإيمان من عدمها ، والمسلمون لا ينفقون من عند أنفسهم ، إنما ينفقون مما استخلفهم الله تعالى فيه ، من ملكه ، جيلاً بعد جيل ، وهذا مستقر فى وجدانهم ، إنه سبحانه وتعالى هو المالك على الحقيقة ، وهو الذى استخلفهم وأعطاهم ، إنه هو

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ١١٠ .

(٢) قرآن كريم : سورة البينة ، الآية ٥ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٩٥٢ .

(٤) قرآن كريم : سورة الحديد ، جزء من الآية ٧ .

المعطى ، ولا نفاد لما عنده فما يمنعهم عن البذل والعطاء ، وكل ما فى أيدهم رهن بعطاء الله لهم . (١) قال تعـــالى : " وآتوهم من مـــال الله الـــذى آتاكم " . (٢)

شرع الله فريضة الزكاة ، باعتبارها ركناً من أركان الإسلام الخمسة، تربية للمسلمين ، وتعويداً لهم على البذل والسخاء ، والإنفاق ، من مـــال الله الذى وهبهم إياه ، وتوصيله إلى مستحقيه من عباده الفقراء ، والمحتاجين ، وفى ذلك تربية للمسلم على التحلى بصفة العطاء والسخاء والكرم ، والإحسان إلى عباد الله ، بقدر ما أعطاه الله وأحسن إليه ، قال تعالى : " وأحســن كمــا أحسن الله إليك " . (٣) وهكذا فإن عظمة التشريع الإسلامى تظهر من خلال فريضة الزكاة باعتبارها علاجاً لخلل المجتمع ، وعلاجاً لمشــكلاته ، وذلــك لكونها منهج حياة يمنع أن يكون المال " دولة " بين الأغنياء فقط .

وقد جاء فى الحديث النبوى الشريف فى بيان فريضة الزكاة ، فـــى كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن معـــاذاً قـــال : بعثنى رسول الله (ﷺ) فقال : " إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلـــى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوا ذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلـــة ، فـــإن أطـــاعوا لـــذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقـــرائهم ،

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٤٨٢ .

(٢) قرآن كريم : سورة النور ، جزء من الآية ٣٣ .

(٣) قرآن كريم : سورة القصص ، جزء من الآية ٧٧ .

فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " . (١)

ارتبطت الصلاة بالزكاة فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم ، وكذلك فى السنة النبوية المطهرة ، فقد جاء عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : " حدثنى أبو سفيان (رضي الله عنه) فذكر حديث النبى (ﷺ) ، فقال : " يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف ... وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) " أن أعرابياً أتى النبى (ﷺ) . فقال : دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال تعبد الله لا تشرك به شيئا. وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : والذى نفسى بيده لا أريد على هذا ، فلما ولى قال النبى (ﷺ) من سره ان ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا "(٢)

عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال : لما توفى رسول الله (ﷺ) واستخلف أبو بكر بعده ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأبى بكر (رضي الله عنه) كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله " فقال أبو بكر (رضي الله عنه) والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالاً كانوا

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم . تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجع سابق ، حديث رقم ٥٠١ ، ص ١٣٦ .

(٢) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، كتاب الزكاة ، ٣٢٨ .

منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق ". (١)

وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن النبى (ﷺ) ، سئل عن الإسلام ، فقال : " الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ". (٢) الحديث (أخرجه الشيخان) .

وقد جاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)الذى سأل فيه - جبريل (عليه السلام) الرسول (ﷺ) ، سأله عن الإسلام فأجاب ، ثم سأله عن الإيمان فأجاب ثم سأله عن الإحسان ، قال : " فأخبرنى عن الإحسان ، قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراته فإنه يراك ". (٣)

يشير قول رسول الله (ﷺ) إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة ، وهى استحضار قربه ، وأنه بين يديه تعالى كانه يراه ، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم لله تعالى ... كما يوجب النصح فى العبادة وبذل الجهد ، فى تحسينها وإتمامها وإكمالها " . (٤)

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجع سابق ، الحديث رقم ٤ ، ص ٨ .

(٢) الإمام محمود محمد خطاب السبكى : مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

(٣) الحافظ ابن رجب : جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

وفى وجوب الزكاة ، جاء عن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .
أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة، ويأتوا الزكاة ، فإذا فعلوا عصموا دمائهم وأموالهم ، إلا بحقها وحسابهم على الله " . (١)

عن طريق الزكاة المفروضة ، يتعود المسلم ، ويتدرب أن يكون صاحب اليد العليا ، الذى يعطى ، وقد جاء الإسلام " بالزكاة ليسعى المزكى عن طريق زكاته كعبادة فيها قربى إلى الله نحو إتجاه واحد فى سلوكه ، وهو اتجاه المعطى المانح ، وبذلك يكبت الاتجاه الآخر فى الإنسان ، وهو اتجاه الاستيلاء ، والطمع والجشع ، وهنا تكون الزكاة أسلوباً من أساليب التربية العقدية ، وعبادة لتحصيل وحدة الإنسان بدلاً من توزيعه وتردده ، أو بدلاً من أن يتردى فى ذلك الاتجاه الذى يبعده عن السمو والتشبه بالله تعالى فى منحه وعطائه وجوده . (٢)

ويعد الإنفاق فى سبيل الله سبباً من أسباب رقى الحياة الإسلامية ، كما يعد الإمساك عن الإنفاق فى سبيل الله باباً من أبواب تهلكه النفس بالشح ، وتهلكه للجماعة بالعجز والضعف ، وحين تصل النفس البشرية إلى مرتبة الإحسان بان تعبد الله كما لو أنها تراه ، فإن لم تكن هذه النفس البشرية ترى الله ، فإن الله تعالى يراها ، إنها تفعل الطاعات كلها ، وتنتهى عن المعاصى كلها ، قدر الاستطاعة ، وتراقب الله فى الصغيرة والكبيرة ، فى السر والعلانية على حد سواء . (٣)

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجع سابق ، الحديث رقم ٥ ، ص ص ٨ ، ٩ .
(٢) الدكتور محمد البهى : مرجع سابق ، ص ٩٤ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ١٩٢ .

قال تعالى : " وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين " . (١)

عن طريق الزكاة يتربى المسلم التربية العقدية ، التى تعوده " إطاعة الأوامر الإلهية ، ومخافة الأنانية ، والإفراط فى النزعة المادية الفردية " (٢) وبهذا المعنى تكون الزكاة جزءاً من منهج القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة فى ميدان التربية العقدية .

" الزكاة مرتبطة بالتربية العقدية ، لكونها إعطاء القادر من المسلمين لغير القادر منهم من مال الله الذى تفضل به عليه ، وقد بشر الله تعالى المحسنين المزكيين بالجنات ووصفهم بالتقوى ، فى قوله تعالى :" إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم " . (٣)

إن جزاء التقوى المتمثلة فى حساسية الرقابة لله ، والرقابة للنفس، هى الجنات والعيون التى أعدها الله لهم من فضله وإنعامه . وذلك جزاء ما قدموا ، وأسلفوا فى حياتهم الدنيا ، من عبادتهم لله تعالى . وإحساتهم له وقيامهم الليل ، هذه حالتهم مع ربهم ، أما حالهم مع الناس " فهم يجعلون نصيب السائل الذى يسأل فيعطى ونصيب المحروم الذى يسكت فيحرم ، يجعلون نصيب هذا حقاً مفروضاً فى أموالهم ، وهم متطوعون ، بفرض هذا الحق غير المحدود " . (٤)

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ١٩٥ .

(٢) دكتور محمد فاضل الجمالى : مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

(٣) قرآن كريم : سورة الذاريات ، الآيات ١٥ : ١٩ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٣٧٧ .

لقد جعل الله تعالى أخص صفات هؤلاء الأبرار ، الإحسان ، وهى عبادة الله ، العبادة الحقة ، المخلصة ، هذا من جانب ومن جانب آخر السخاء لعباد الله ، والإحسان لهم بالعطاء ، الذى جعلوه فرضاً عليهم ، ليس نفلاً لقد تجلت هذه الصفات " فى قيامهم الليل ، والاستغفار فى وقت السحر ، تعبداً لله تعالى وتقرباً إليه ، كما تتجلى فى إعطاء الفقير حقه ، رحمه وحنواً عليه " . (١)

ثانياً : الزكاة والقيم العقدية :-

ترتبط الزكاة بالقيم العقدية الإسلامية ، والتى تعد بحق " مهاد كافة القيم ، وتضفى على كافة القيم معانى خاصة ، وهدفها هو استثارة الإحساس برقابة الله ومعيته ، والالتزام بتقواه ، والخضوع والخشية الدائمة له ، وحبه ومحاولة كسب رضاه دائماً " . (٢)

ومن هذه القيم العقدية ما يلى :

(١) قيمة " معية الله تعالى ":-

إن معية الله تعالى هى الحصن الحصين ، وهى الفوز الكبير ومن كان الله معه ، فلا شيئ ضده ، ومن يكن ضده من شيئ فهو هباء لا وجود له ولا أثر .... ومن كان الله معه فلن يضل طريقه ... إن معية الله سبحانه وتعالى تهديه كما أنها تكفيه ، ومن كان الله معه فلن يقلق ولن يشقى ... إن قربه من الله يطمئنه ويسعده . (٣)

---

(١) الشيخ سيد سابق : فقه السنة ، المجلد الأول (العبادات) ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م ، ص ٣٩٨ .

(١) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : القيم الإسلامية والتربية ، دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها ، ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها ، المدينة المنورة ، مكتبة إبراهيم حلبى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٢١٠ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثانى ، ص ٨٥٧ .

إن قيمة " معية الله " تعالى تشعر المسلم بالطمائنية والسكينة ، والسعادة فى الحياة الدنيا وفى الحياة الأخروية ... إن من يكون الله معه ، فقد ضمن الوصول ، وماله زياده يستزيدها ..

لم يجعل الله تعالى معيته لأحد من خلقه جزافاً ولم يجعلها محاباة ، ولكنها مشروطة بشروطها ، ومن شروطها إقامة الأركان " الخمسة ومن هذه الأركان " إقامة الصلاة " إقامة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، إقامة تجعل منها صلة حقيقية ، حميمة بين العبد وربه ، إقامة تجعل الصلاة عنصراً تهذيبياً وتربوياً ، وفق المنهج الإسلامى .

ومن شروط المعية " إيتاء الزكاة " ، اعترافاً بنعم الله تعالى الوفيرة ، والكثيرة اعترافاً من العبد بملكية الله تعالى للمال ، وطاعة لله فى التصرف فى هذا المال ، وفق شروطه تحقيقاً للتكافل الاجتماعى الذى يقوم المجتمع الإسلامى على أساسه .

قال تعالى : " وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتمهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئآتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار " . (١)

الزكاة كما فرضها الله تعالى ، هى عبادة الميسورين من المسلمين ، وإيتآؤها ، وفق المنهج الإسلامى يضمن إقامة لأسس الحياة الاقتصادية على المنهج الذى يكفل ألا يكون المال دولة بين الأغنياء ، وألا يكون تكدس المال فى أيد قليلة سبباً فى الكساد العام يعجز الكثرة عن الشراء والاستهلاك ، مما ينتهى إلى وقف دولاب الإنتاج أو تبطيئه ؛ كما يفضى إلى الترف فى جانب والشطف فى جانب آخر ، وإلى الفساد والاختلال فى المجتمع بشتى ألوانه . (٢)

---

(١) قرآن كريم : سورة المائدة ، جزء من الآية ١٢ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثانى ، ص ٨٥٨ .

(٢) قيمة الولاء :-

إن ولاء المسلم لا يكون إلا الله تعالى ، وقد حدد الله جهة الولاء الوحيدة وهى التى تتفق مع صفة الإيمان ، وذلك فى قوله تعالى : " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ".(١)

الولاء لله كاملاً ، والثقة بالله مطلقة ، إن المسألة مسألة عقيدة ، ولا ينبغى أن يكون الولاء – على الحقيقة – لغير الله سبحانه وتعالى ، ولا يكون الولاء لغير قيادة واحدة ، وراية واحدة ، ولا يكون التناصر إلا بين العصبة المؤمنة لأنه تناصر فى المنهج المستمد من العقيدة فى الله . (٢)

ومن صفات العصبة المؤمنة التى لا يكون ولاؤها إلا لله تعالى ، وحده ومن سماتهم الرئيسية أنهم " يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " فمن صفاتهم الغالبة عليهم أنهم يقيمون الصلاة ، لا مجرد أداء لحركات ، وتلفظ بهمهمات وتمتمات ؛ وإنما المقصود بالأداء أنهم يؤدونها كاملة ، بشروطها ، وعلى ما ينبغى أن يكون الأداء ، كما يحب ربنا ويرضى، إن آداءهم ينشأ عنه إنهم انتهوا عن الفحشاء والمنكر ..

ومن صفات العصبة المؤمنة ، ومن سماتهم المميزة لهم ، والمتميزة " إيتاء الزكاة " إنهم يؤدونها " أداء حق المال طاعة لله وقربى ، عن رضى نفسى ورغبة " (٣) ولا يؤدونها مجرد ضريبة مالية ، و إنما يؤدونها " عبادة مالية " يؤدونها طاعة لله " وطلباً ورغبة فيما عنده إنهم يؤدونها كما أمروا أن يؤدونها .

---

(١) قرآن كريم : سورة المائدة ، الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثانى ، ص ٩٢٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٩٢١ .

إن الولاية كسبية ، وليست وهبية ، إنها تحصل بالإيمان والتقـوى ، فالناس جميعا مكلفون بالإيمان ، والناس جميعاً مطالبون بالتقوى ، وإمـا أن يكون الإنسان تقياً ، وإما أن يكون فاسقاً ، فإنه حر مختار .

والولاية ليست ريادة ، وليست تظاهر بالضعف والمسـكنة ، وإنمـا أساسها التوحيد المتمثل فى الإيمان والتقوى . (١)

الزكاة فريضة تستوجب أن يكون ولاء المسلم لله رب العالمين ، وهى عبادة لله وحده باسمها ومدلولها ، وهى طهارة للمسلم ، ونماء لماله ، يرجو فاعلها قبولها ، وحسن الجزاء عليها من الله تعالى فى الدنيا والآخرة .

يشعر الفقراء أن الزكاة التى فرضها الله لهم وقررها هى حقهم فـى أموال الأغنياء وليست منة أو هبة منهم ، وإذا ما شعروا هذا الشعور ؛ فإنهم لا يحقدون ولا يتشفون ولا يحسدون إخوانهم الأغنياء ، بل تزيـد العلاقـات الإنسانية بينهم قوة ومتانة ، ويتمنى الفقراء للأغنياء الزيادة والنماء لأموالهم لثقتهم فى أن حقهم سيصل إليهم ، وبذلك تسود الألفة ويقوى بنيان المجتمع الإسلامى .

إن ولاء المؤمنين بعضهم لبعض مستمد من ولائهم لله تعالى – وهذا هو مقتضى الأخوة الإسلامية ، أن يعطى المسلم ولاءه لإخوانه المسـلمين ، المؤمنين بالله تعالى ورسوله (ﷺ) ومرجع ذلك " أن من صفات المؤمنين أن بعضهم أولياء بعض بمعنى أن بعضهم ينصر بعضاً ويعينه على الحق والهدى وإقامة شرع الله " . (٢)

---

(١) حسين حسن سلامة : من هدى القرآن ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب ، ١٩٩٣م ، ص ٦٠

(٢) موسى بن عبده بن محمد العسيرى : الرياض ، مكتبـة الرشـد للنشـر والتوزيـع ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ص ٢٦٩ .

فولاية المؤمنين بعضهم لبعض تكون أول ما تكون فى دين الله القويم، لكنها لا تقف عند هذا الحد فقط ، فالدين هو دستور الحياة ، ومنهاجها ، وبالتالى تكون ولاية المؤمن للمؤمن فى أمور الدنيا كذلك المرتبطة بالدين ، والنتظمة فى سلكه والسائرة على هديه ونوره ، إن المؤمن قريب دائماً من أخيه المؤمن ، يواسيه ويقف بجانبه فى السراء فيفرح لفرحه ، وفى الضراء فيواسيه فى شدته وظرفه " حتى أصبحت الولاية بين المؤمنين بمنزلة الأخوة فى النسب ، أو أشد رابطة ، وتعاطفاً ومودة منها ، وعلى هذا فلا يصح بحال أن يعطى المسلم ولاءه ومودته لغير المسلمين ، لأن هذا ينفى عنه صفة الإيمان " . [١]

قال رسول الله (ﷺ) : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " وشبك بين أصابعه " . [٢] متفق عليه .

وقال (ﷺ) : " المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " . [٣] متفق عليه .

إن الأخوة فى الدين ثابتة راسخة فى الدنيا والآخرة ، تنفع الإنسان فى حياته وبعد مماته ، هذه الأخوة لا يترتب عليها ما يترتب على إخوة النسب من التوريث ووجوب النفقة وما أشبه ذلك .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٦٩ .

(٢) الحافظ النووى : رياض الصالحين ، من كلام سيد المرسلين ،مرجع سابق ، الحديث رقم ٢٢٣ ، ص ١٤٧ .

(٣) المرجع السابق : الحديث رقم ٢٣٤ ، ص ١٤٩ .

الموالاة والأخوة فى الدين تجعل المسلم لا يظلم أخاه المسلم لا فى ماله ، ولا فى بدنه ولا فى عرضه ، ولا فى أهله ، أى لا يظلمه من أى نوع من الظلم كل ذلك وأكثر ، إن المسلم يدافع عن أخيه المسلم ويحميه . (١)

عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله تعالى قال : من عادى لى ولياً ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىَّ عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه " (٢) رواه البخارى .

إن المعاناة هى المباعدة ، وهى ضد الموالاة . ولقد بين الله تعالى من هو الولى فى قوله تعالى : " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون " . (٣) لقد وصف الله تعالى أولياءه بأنهم " الذين آمنوا " أى انهم حققوا الإيمان فى قلوبهم بكل ما يجب الإيمان " ومن أوصافهم أيضاً بعد ما آمنوا " كانوا يتقون " . أى بعد أن حققوا الإيمان حققوا العمل الصالح بجوارحهم ، هذا العمل المطابق لإيمانهم القلبى ، وبذلك يكونوا قد اتقوا جميع المحارم من ترك الواجبات أو فعل المحرمات ، فقد جمعوا بين صلاح الباطن بالإيمان وصلاح الظاهر بالتقوى والعمل . (٤)

---

(١) الشيخ محمد بن صالح العثيمين : مرجع سابق ، ص ٨١٠

(٢) الإمام النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، باب المجاهدة ، الحديث رقم ٩٥ ، ص ٦٧ .

(٣) قرآن كريم : سورة يونس ، الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) الشيخ محمد بن صالح العثيمين : مرجع سابق ، ص ٤٥١ .

يقول الله تعالى فى الحديث القدسى : " وما تقرب إلىَّ عبدى بشئ أحب إلىَّ مما افترضت عليه " ، معنى هذا أن الله تعالى يقول : ما تقرب إلىَّ الإنسان بشئ أحب إلىَّ من الفرائض التى افترضها عليه ومنها الزكاة " وهذا دليل على شدة محبته لها عز وجل ، فلما كان يحبها شديداً ألزم بها العباد " (١) .

إن الفرائض أحب إلى الله وأوكد . ويأتى بعدها فى الدرجة النوافل ، وفيها الاختيار . فمن شاء أن يتنفل وزاد خيراً وإن شاء لم يتنفل ، ولم يرتكب وزرا .

إن التكافل المالى يعد من صور الولاء بين المؤمنين بعضهم بعض ، ويتمثل هذا الولاء فى " الزكاة فقد جعلها الله حقاً معلوماً فى أموال الأغنياء للفقراء لسد حاجة الفقير ، وتجلب المودة والألفة بين الأغنياء والفقراء ، فالزكاة من أعظم الروابط بين المؤمنين ، لأنها تشعر الفقير بأن الغنى مهتم به ، وأنه غير متعال عليه ، وكذلك الغنى تحرك فيه الزكاة عواطف الشفقة والرحمة والعطف والمودة على إخوانه الفقراء " . (٢)

إن أداء الزكاة ، سمة من سمات المؤمنين بالله ، الذين تقرر أنهم يتبعون شريعة الله ودستوره فى شئون حياتهم صغيرها وكبيرها ، وما آداؤهم للزكاة إلا إقرار منهم بسلطان الله تعالى فى كل أمورهم ، وفى أموالهم على وجه الخصوص .

وإذا كانت ولاية المسلم لله تعالى ، وثقته بالله تعالى ، ولجوءه إلى الله تعالى وللرسول والمؤمنين بالتبعية : فإن الله غالب على أمره ، وإن الله

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٥٢ .

(٢) موسى بن عبده بن محمد العسيرى : مرجع سابق ، ص ٢٧١ .

يعد عباده بالنصر المبين ، والغلبة ، لقوله تعـالى : " ومـن يتـولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون " . (١)

إن حزب الله هم الغالبون دائماً لا محالة ، وإن وعد الله لقاطع أصدق ظواهر الأمور ، وهو وعد لا يتخلف ، وإن تأخر ، لكنه لا محالـة آت ، وإن الولاء لله وللرسول وللمؤمنين هو الطريق المؤدى لتحقيق وعـد الله تعـالى لعباده الذين أخلصوا دينهم وولاءهم وموالاتهم لله ، فأحبوا لله وأبغضوا لله ، وعاشوا لله وانتصروا لله .

إن ولاء المؤمنين لإخوانهم فى الله يظهر من خلال إيتائهم الزكاة على وجه التخصيص والصدقات المعلومة القدر ، " وهى حق فى أموال المؤمنين " وفى هذه الزكاة " تخلص من الشح واستعلاء على الحرص ، كمـا أن فيهـا شعوراً بواجب الواجـد تجـاه المحـروم ، فـى هـذه الأمـة المتضـامنة المتكاملة " . (٢)

ويظهر الولاء بين المؤمنين من خلال شـعور الأغنيـاء بـإخوانهم الفقراء المحتاجين المحرومين ، هذا الشعور بفضل الله من جهة ، وبعلاقـة وآصرة الإنسانية من جهة أخرى ، ولاء يضمن تكافل الآمة الإسلامية كلها ، وتعاونها ، وكأنها جسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسـد بالسهر والحمى .

لقد مدح الله تعالى عباده المؤمنين الذين يوالون إخـوانهم . والـذين اتصفوا بصفة البذل ، والعطاء ، من خلال الزكاة التى أوجبها الله تعالى ، فقال فى حقهم :" والذين فى أموالهم حق معلوم نلسائل والمحروم " . (٣)

---

(١) قرآن كريم : سورة المائدة ، الآية ٥٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٧٠٠ .

(٣) قرآن كريم : سورة المعارج ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

الولاء لله تعالى يعد سبب التمكين فى الأرض ، وهو سبب الغلبة والنصر على كل عدو يعتدى على النفس المسلمة ، الولاء سبب الثواب الجزيل والرزق والخير العميم والولاء سبب اطمئنان النفوس المؤمنة ، فى كل زمان ومكان وهو سبب الصلاح ، والإصلاح ، والنجاح ، والفلاح ، والتنمية ، والإنتاج ، والتقدم نحو المستقبل الأفضل .

من صفات المؤمنين الذين والوا إخوانهم ، وكتب لهم الفلاح فى الدنيا والسعادة فى الآخرة أنهم " للزكاة فاعلون "، قال تعالى : " قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون " . (١)

إن قرار الله تعالى أكيد لهؤلاء المؤمنين الذين وعدهم بالفلاح فى الحياة الآخرة ، فلاح الفرد ، وفلاح الجماعة المؤمنة على حد سواء ، الذين والى بعضهم بعضاً ، فى الله وفق منهج الله ، وعلى هدى رسول الله (ﷺ) إنهم " فى صلاتهم خاشعون " كما أنهم وفى الوقت نفسه " عن اللغو معرضون " وفى نفس الوقت وفى نفس اللحظة " للزكاة فاعلون . فبعد إقبالهم على الله تعالى وانصرافهم عن اللغو من القول فى الحياة الدنيا ، أدوا حق الله فى أموالهم ، أدوا زكاتهم ، والتى هى بمثابة طهارة للقلب والمال ، طهارة من الشح ، واستعلاء على حب الذات ، وانتصار على وسوسة الشيطان ووعده بالفقر ، وتخويفه عباد الله ، إنها الزكاة – تأمين اجتماعى للأفراد جميعاً ، وضمان اجتماعى للعاجزين ، ووقاية للجماعة المسلمة كلها من التفكك والانحلال (٢) ومن هنا كانت الزكاة رمزاً لموالاة المؤمنين بعضهم البعض فى كل أحوالهم ، وفى كل زمان ومكان .

---

(١) قرآن كريم : سورة المؤمنون ، الآيات ١ : ٤ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٥٤ .

(٣)قيمة " تقوى الله وخشيته ":-

ميزة التقوى وخشية الله تعد من القيم الإسلامية ، وترتبط كل منهـا بالقيم العقدية الإسلامية ، وتصنف ضمنها (١) وتعد التقوى قيمة مـن قـيم القرآن الكريم ، أراد بها الله تعالى إحكام العلاقة بين الإنسان والخلق ، وإحكام العلاقة بين الإنسان وخالقه ، ويراد بها أن يتقى الإنسان كل مـا يغضـب الله تعالى ، وكل ما فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره . (٢)

التقوى هى جعل النفس فى وقاية ، ولا تجعل النفس كذلك إلا بالنسبة لما يخاف ، فخوف الله أصلها ، والخوف يستدعى العلم بالمخوف ، ومن هنا كان الذى يعلم الله هو الذى يخشاه ، وكان الذى يخشاه هو الذى يتقيه . (٣)

والخشية قيمة من القيم الإسلامية ، وهى قيمة مرتبطة بمراقبة العبد لله تعالى ، وأيضاً ترتبط بقيمة الإحسان ، ففى قـول رسـول الله (ﷺ) فـى تفسير الإحسان : " أن تعبد الله كأنك تراه ..... " يشير إلى أن العبد المسلم ، يعبد الله تعالى حق العبادة ، عبادة يستحضر قربه من الله تعالى ، وأنه بـين يديه كأنه يراه ، وذلك يوجب الخشية لله ، والخوف منه والهيبة والتعظـيم ، كما جاء فى رواية أبى هريرة " أن تخشى الله كأنك تراه " . (٤)

إنه لولا الخشية من الله لاسترسل الإنسان فى شروره وغروره وانكب على شهواته غير مقيم لمصلحة الغير اعتبار أو قـدراً ، ولمـا نفعـت كـل

---

(١) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

(٢) ، (٣) عفيف عبد الفتاح طّبارة : مرجع سابق ، ص ٢١١ .

(٤) الحافظ ابن رجب : جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامـع الكلـم ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

القوانين والدساتير الوضعية التى شرعت للمحافظة على الإنسان من الإنسان، ومن هنا كانت خشية الله من الدعائم التى جاء بها الإسلام ، وقامت عليها الحياة الروحية ، من خلال التصور الإسلامى لكونها تسمو بالإنسان وترتفع به إلى كل خير . (١)

قال تعالى : " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين " . (٢)

لاشك أن خشية المؤمن لله تعالى واجبة فى السر والعلانية ، هذه الخشية مرتبطة بالإيمان الباطن والظاهر ، وهى - الخشية - لا تأتى نافلة ، إذ لابد من التجرد لله تعالى ، والتخلص من كل ظل للشرك فى الشعور الداخلى، الذى يترجم فيظهر من خلال السلوك الخارجى ، فيتطابق القول مع العمل ، إن الخشية الحقيقية لا تكون إلا لله وحده أما الخشية لغير الله فهى لون من ألوان الشرك الخفى . (٣)

عُمار المساجد هم المؤمنون حقاً ، لقول رسول الله (ﷺ) : " إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان " (٤) ومن صفات هؤلاء أنهم " أقاموا الصلاة " وهى التى من أكبر عبادات البدن " وآتوا الزكاة " وهذه الزكاة هى أفضل العمال التعبدية المتعدية إلى بر الخلائق ، هؤلاء لا تكون

---

(١) عفيف عبد الفتاح طَبارة : مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ١٨ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثالث ، ص ١٦١٤ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ٣٥٤ .

خشيتهم إلا لله ، فلا يخافون إلا منه ولا يخشون سواه ... وإذا توفرت في هؤلاء هذه الصفات ، فأولئك هم المفلحون وهم المهتدون " (١)

إن أولياء الله تعالى – الذين والوا الله تعالى – بالطاعة ، فوالاهم بالرعاية والعناية والعطاء ، هؤلاء هم الذين نظروا إلى باطن الأمور وحقيقة الدنيا ، حين نظر الناس إلى ظاهرها وخداعها وزخارفها ، ولما كانت هذه هى نظرتهم ، فقد عرفوا الحقيقة ، واشتغلوا بآجلها حين اشتغل الناس بعاجلها ، فأقاموا ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم ، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً وتركهم لها فوتاً ...... (٢) إنهم خشوا الله تعالى إجلالاً وتقوى ، فهدأت نفوسهم بأنس الله ، واطمأنت قلوبهم بالقرب من ربهم ، لأنهم ساروا على منهجه وشرعه ولم يخشوا إلا الله تعالى .

قال تعالى :" والذين يصلون ما أمر الله ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار " (٣)

ومن صفات المؤمنين أنهم يصلون ما أمر الله أن يُوصل ، أى أن كل ما أمر الله به أن يُوصل يصلونه ، أنها الطاعة الكاملة والاستقامة الواصلة ، والسير على السنة ، وفق الناموس ، بلا انحراف ولا إلتواء ، ... إنهم في

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٥٤ .

(٢) حسين حسن سلامة : من هدى القرآن ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٣) قرآن كريم : سورة الرعد ، الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

هذه الأعمال " يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب " . إنها خشية الله ومخافة العقاب .... هم أولوا الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب ... ومن صفاتهم أنهم " صبروا ابتغاء وجه ربهم " وأنهم أيضاً " أقاموا الصلاة " وأنهم " أنفقوا مما رزقناهم " هذه الصفة داخلة فى وصل ما أمر الله به أن يُوصل .... إنها صلة الله تعالى متمثلة فى صلة عباد الله " هذه الصلة التى تجمعهم فى الله ، وهى التى تزكى نفس معطيها من البخل وتزكى نفس آخذها من الغل ، وتجعل الحياة فى المجتمع المسلم لائقة بالبشر المتعاونين المتضامنين الكرام على الله ... " (١) إن هؤلاء المؤمنين ينفقون مما رزقهم الله تعالى فى كل حالاتهم " سراً وعلانية " حيث تصان الكرامة وتطلب المروءة ، وتتحرج النفوس المؤمنة من الإعلان ، أما العلانية فتكون حيث تطلب الأسوة والإتباع والإقتداء ، وتنفيذ الشريعة .

قال تعالى : " إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير " . (٢)

إن الله تعالى لا يحاسب الفرد بكسب غيره ، ولا يتخلص هو من كسبه .. إن قيمة الخشية تولد الاطمئنان لدى المؤمن ، فلا يقلق الفرد مخافة أن يؤخذ بذنب غيره .... الحساب يكون على قدر العمل ، فى حدود الواجب .... إن الله تعالى أوحى إلى رسوله (ﷺ) أن انذر الناس ، ووجههم وعلمهم أن الله تعالى يحاسب الناس على أعمالهم ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ، ويستجيب للإنذار من يستجيب ويرفض من يرفض ، فالمستجيبون هم " الذين يخشون ربهم " أى يخافون وعيده ولم يشاهدوه ، تصديقاً منهم ، وإيماناً

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . المجلد الرابع ، ص ٢٠٥٨ .

(٢) قرآن كريم : سورة فاطر ، جزء من الآية ١٨ .

ويقيناً ، وهم كذلك " يقيمون الصلاة " ليتصلوا بربهم ويعبدوه كما شرع ، وفق ما جاء به الرسول المعلم (ﷺ) هؤلاء المؤمنون هم الذين ينتفعون بالدعوة ، ويستجيبون للمنهج أما الذين لا يتبعونك ، الذين لا يخشون الله ، ولا يقيمون الصلاة ، فلا عليك منهم فإن أمرهم متروك لله تعالى إن شاء عذبهم فبحكمته وعدله ، وإن شاء عفا عنهم فبمنته وفضله .

" ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه " إن مردود التزكية والطهارة ، يكون للمزكى قبل أن تكون لغيره ، إنما يطهر لنفسه ، ولينتفع بطهره أولاً ثم يتعدى طهره غيره ، " التطهر معنى لطيف شفاف ، يشمل القلب وخوالجه ، ومشاعره ، ويشمل السلوك واتجاهاته وأثاره " . (١)

إن طهارة المؤمن عن طريق العبادات ، ومنها الزكاة ، وكل عمل صالح يعمله إنما يعود نفعه على نفسه قبل أن يعود إلى غيره .

قال تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء " . (٢) إنما خشية الله على الحقيقة تكون من الذين يعلمون أن الله على كل شيئ قدير .... هؤلاء هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وحفظوا وصيته وأيقنوا أنهم محاسبون بأعمالهم ، وبما قدمت أيدهم ... فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : " ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية " . (٣) وفى هذا المعنى يقال العلماء ثلاثة : عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ؛ فالعالم بالله وبأمر الله الذى يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، الذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل . (٤)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٢٩٣٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة فاطر ، جزء من الآية ٢٨ .

(٣) ، (٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثالث ، ص ٥٦١ .

قال تعالى :" إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور " . (١)

تأتى هذه الآية الكريمة بعد الآية التى ذكرت صفة العلماء الحقيقين ، وهم الذى " يخشون ربهم " ويخبر الله تعالى فى هذه الآية عن عباده المؤمنين الذى يتلون كتابه – حق تلاوته – ويؤمنون به – حق الإيمان – ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله تعالى فى الأوقات المشرعة ، ليلاً ونهاراً ، سراً وعلانية ، إنهم يرجون تجارة مع الله تعالى والتجارة مع الله لن تبور . (٢)

إن تلاوة كتاب الله تعنى شيئاً آخر غير المرور بكلماته بصوت أو بغير صوت ، تعنى تلاوته بتدبر ، ينتهى إلى إدراك وتأثر ، وإلى عمل وسلوك ، وفعل ومن ثم يتبعها بإقامة الصلاة – وهى الترجمة الحقيقية للإيمان – والإنفاق سراً وعلانية من رزق الله الذى أعطاه إياه ... راجين من الله – تجارة لن تبور – إنهم يعرفون أن ما عند الله خير مما ينفقون ، ويتاجرون تجارة مضمون الربح . (٣)

يقول تعالى لرسوله الكريم : " فذكر إن نفعت الذكرى " (٤) أى ذكر حيثما وجدت فرصة للتذكير ، ومنفذاً للقلوب ووسيلة للبلاغ .... والذكرى تنفع دائماً ، ولن تعدم من ينتفع بها كثيراً كان أو قليلاً ، ولن يخلو جيل ولن تخلو أرض ممن يستمع وينتفع مهما فسد الناس وقست القلوب . (٥)

---

(١) قرآن كريم : سورة فاطر ، الآية ٢٩ .

(٢)الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثالث ، ص ٥٦١ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٢٩٤٣ .

(٤) قرآن كريم : سورة الأعلى ، الآية ٩ .

(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٨٩٣ .

قال تعالى : " سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى " (١) أى سينتفع بالذكرى " من يخشى " ذلك الذى يستشعر قلبه المؤمن التقوى ، فيخشى غضب الله ، ويخاف عقابه وعذابه ، .

إن القلب المؤمن الحى بالعقيدة الصحيحة يتوجس دائماً ويخشى ، قد يعلم أن للوجود إلهاً " خلق فسوى وقدر فهدى " فلن يترك الناس سدى ، ولن يدعهم هملاً ، ولابد من المحاسبة عن الخير خيراً وإحساناً ، وعن الشر ، عذاباً ونيراناً... إن الله مجازيهم بالعدل ومن ثم فهو يخشى ، فإذا ذكر ذكر ، وإذا بصر بصر ، وإذا وعظ اعتبر ؛ أما الأشقى ، فلا يسمع للذكرى ... إنه أشقى بروحه الخاوية الميتة ، التى لا تحس ولا تستشعر حقيقة الوجود ، ولا يتأثر بموجباتها العميقة ، والتى يعيش صاحبها قلقا . (٢)

أما من تزكى وتطهر من كل رجس وكل دنس ، وتزكى بالعبادات – ومنها الزكاة – وتطهر قلبه وماله .... وذكر اسم ربه ، فاستحضر فى قلبه جلال الله تعالى " فصلى " بمعنى خشع وقنت ، أو بمعنى أقام الصلاة بمعناها الاصطلاحى ... هذا الذى تطهر وذكر وصلى " قد أفلح يقينا فى دنياه ، فعاش موصولاً ، حى قلبه ، شاعراً بحلاوة الذكر وإيناسه ، وأفلح فى أخراه ، فنجا من النار الكبرى ، وفاز بالنعيم والرضى . (٣)

إن قيمة الخشية لله تعالى ترتبط بالقيم الإسلامية جميعاً برباط واحد ، هو الرباط فى العقيدة الإسلامية – مصدر كل القيم الإسلامية النبيلة – وفى هذا المقام ترتبط قيمة الخشية بقيمة الإيثار ..... فإذا كانت النجاة والفلاح

---

(١) قرآن كريم : سورة الأعلى ، الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٨٩٣ .

(٣) المرجع السابق: ص ٣٨٩٤ .

والسيادة لا تتم إلا لمن تزكى ، فإن معنى هذا أن شقاء العالم كله يعود إلـــى حب الدنيا التى تسبب فى غفلتهم وصرفهم عن التـذكر والتطهـر والنجـــاح والفلاح .[١]

قال الله تعالى : " بـل تـؤثرون الحيـاة الـدنيا . والآخـرة خيـر وأبقى " .[٢]

إن إيثار الدنيا – أى حبها – على ما سواها ، شغلت الذين لـم تنفـع معهم الذكرى ، هذا الإيثار ملأ عليهم حياتهم حتى صار أساس كـل بلـوى ، فعن هذا الإيثار نشأ الإعراض عن الذكرى ، ولم يعملوا للآخرة ، ولم يقدموا لها من الطاعات ، العبادات ، الصلوات ، والزكوات ...... وبالتـالى أثـروا الحياة الدنيا ... وفى هذا تتبدى حماقاتهم بأنهم فضلوا وآثروا الفانية – وهى الحياة الدنيا – على الباقية – وهى الحياة الأخروية ، الأمر الـذى دل علـى جهلهم بحقيقة الحياتين .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٨٩٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الأعلى ، الآيتين ١٦ ، ١٧ .

الفصل الرابع

الزكاة بين الترغيب والترهيب

الزكاة بين الترغيب والترهيب

تستخدم التربية الإسلامية أساليباً كثيرة ومتنوعة ، من هذه الأساليب، أسلوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو أسلوب الثواب والعقاب ، أو أسلوب الترغيب والترهيب ، وهى أساليب لا يستغنى عنها المربى المسلم ، فى أى زمان ومكان ، وجد فيه ، بحسب الموقف التعليمى والتربوى . فالترغيب يستثير " ما فطر عليه الإنسان من الرغبة فى اللذة ، والنعيم والرفاهية ، وحسن البقاء ، والرهبة من الألم والشفاء وسوء المصير ".(١)

وإذا كان الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو بمتعة مؤجلة مؤكدة ، خيرة ، خالصة من الشوائب ، فإن الوعد لا يكون إلا خيرا ، كما أن الترهيب يعد وعيداً ، وتهديدا بعقوبة مؤكدة تترتب على القيام بسلوك غير مرغوب فيه مما نهى الله عنه ، أو على التهاون فى أداء فريضة مما أمر الله به أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده ، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب المعاصى(٢) أى أن الترهيب لا يكون إلا شراً ، بعكس الترغيب .

وفى فريضة الزكاة – شأنها شأن كل العبادات الإسلامية – تستخدم التربية الإسلامية كلا من الترغيب والترهيب ، على اعتبار أن الزكاة فريضة إسلامية واجبة على القادرين من المسلمين تجاه إخوانهم المحتاجين ، وهى أحد الأركان الخمسة للدين الإسلامى ، وكذلك أحد الأساليب التربوية الإسلامية

---

(١) دكتور محروس أحمد إبراهيم غبان : خصائص التربية الإسلامية ووسائلها ، فصل من كتاب : (أ.د محمد شحات الخطيب وآخرون : أصول التربية الإسلامية) ، الرياض، دار الخريجى للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥ م ، ص ١١٩ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

التى يربى بها الله تعالى الأغنياء والفقراء على حد سـواء ، فـيربى الفـرد ويربى المجتمع ، ويستفيد من هذا الأسلوب الفـرد والمجتمـع فـى الوقـت نفسه .. وقد أوضحت الشريعة الإسلامية أن إيتاء الزكاة يعد صفة لازمة مـن صفات المؤمنين المحسنين ، الأبرار ، كما أن مانعيها يعدوا مـن المشـركين المنافقين .

هذه الزكاة التى شرعها الإسلام " ينفرد الإسلام من بين الديانات بهذه العبادة " [(١)] فالصلاة مثلاً والصيام والحج .. كلها من أركان الإسلام ، وتوجـد فى كثير من ديانات البشر ، " إلا الزكاة بمعناها ومغزاهـا الإسـلاميين " إن المسلم حين يزكى أو تتصدق بصفة لا يعطى – فى الحقيقة – أخاه المسـلم ، ولا يضع الزكاة أو الصدقة فى يده ، وإنما يضعها فى يد الله تعـالى قبـل أن يضعها فى يد السائل ..

تعد الزكاة فى الإسلام فيصل التفرقة بين المسلم والكـافر ، أو بيـن الإسلام والكفر وبين التقى وغير التقى ، أو بين التقـوى والفجـور ، وبيـن الإسلام الحق ، والنفاق إذ بغير الزكاة ، وبدون إخراجها أو إيتائها لا ينتظـم الإنسان فى عداد المؤمنين ، الذين كتب الله لهم الفلاح والنجـاح والسـعادة الدنيوية والأخرويـة ، وضمـن لـهم مـيراث الفـردوس ، وجعلـهم مـن المهتدين .

قال تعالى مرغباً المؤمنين فى إيتاء الزكاة : " قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون و الذين هـم للزكـاة فاعلون .. " [(٢)]

---

(١) دكتور حسين مؤنس: الإسلام فى عشرين آية ، (مكتبة الأسرة ، مـهرجان القـراءة للجميع) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م ، ص١٠٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة المؤمنون ، الآيات ١ : ٤ .

لقد كتب الله تعالى الفلاح للمؤمنين ، وذكر صفاتهم ، ترغيباً في التشبه بهم والسير على منوالهم، وانتهاج منهجهم ومن بين هذه الصفات التى استحقوا بها الفلاح أنهم " للزكاة فاعلون " ، فلقد طهروا قلوبهم وأفئدتهم من مرض الشح ، وانتصروا على أهوائهم ونزواتهم ، فبعد إقبالهم على الله تعالى ، وانصرافهم عن اللغو فى الحياة ، أدوا زكاة أموالهم تطهيراً لأموالهم وأنفسهم ، واستعلاءً على حب الذات ، وانتصاراً على وسوسة الشيطان الذى يعدهم الفقر ، لقد أدوا زكاة أموالهم ، ثقة منهم بما عند الله تعالى من العوض والجزاء والمثوبة ، لقد أدوا زكاتهم وهم يعلمون أن هذه الزكاة صيانة للمجتمع الإسلامى من الخلل الذى ينشئه العوز فى جانب الترف فى جانب آخر .. (١)

قال تعالى : " هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون " . (٢)

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه ، وعمل بما فيه ، وأقام الصلاة المكتوبة ، وآتى الزكاة المفروضة ، وأيقن بالدار الآخرة ، والبعث بعد الموت ، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها ، والجنة والنار . (٣)

إن من صفات المؤمنين أنهم يقيمون الصلاة ، فيؤدونها حق أدائها ، يقظة قلوبهم لموقفهم بين يدى الله ، شاعرة أرواحهم بأنهم فى حضرة ذى الجلال والإكرام مرتفعة مشاعرهم إلى ذلك الأفق الوضئ مشغولة خواطرهم بنجاء الله ودعائه والتوجه إليه فى محضره العظيم ، " ويؤتون الزكاة "

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٥٥ .

(٢) قرآن كريم : سورة النحل ، الآيتان ٢ ، ٣ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٨ .

فيطهرون نفوسهم من رذيلة الشح ، ويستعلون بأرواحهم عن فتنة المـــال ، ويصلون إخوانهم فى الله ببعض ما رزقهم الله ، ويقومون بحـــق الجماعــة المسلمة التى هم فيها أعضاء . (١)

" هدى وبشرى للمؤمنين " إن الترغيب بشـــارة ، ولا يحصـل هــذا الترغيب أو البشارة أو الهداية من القرآن الكريم لعباد الله المؤمنين إلا بأنــهم تحلو بصفات لم يتحلى بها غيرهم ، ومن هذه الصفات أنهم " يقيمون الصلاة " وكذلك " يؤتون الزكاة " .

إن المسلم بإيتائه الزكاة المفروضة ، يدخل فى زمـــرة المؤمنيـــن ــ المحسنين ، الذين كتب الله لهم الفوز والنجاح والنجاة من عذاب الله .. وفـــى حالة عدم آدائهم هذه الزكاة المفروضة ، لا يكون الفرد فى هذه الحالـــة مـــن الأبرار الصادقين ، المتقين بل إن من لم يؤد الزكاة المفروضة عليه فى ماله، يدخل بسبب ذلك فى زمرة المشركين ، ولا يفارقهم ، وقد توعـــد الله تعـــالى هؤلاء بالويل والعذاب فى قوله تعالى : " وويل للمشركين الذيـــن لا يؤتـــون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون " . (٢)

هكذا يتوعد الله تعالى من لم يؤد زكاة ماله التى فرضها عليه ، فـــى حالة استطاعته – وهو بهذا لا يستحق رحمة ربه التى كتبها لعباده المؤمنين، المخلصين ، الذين عرفوا حق الله تعالى فى أموالـــهم فـــأخرجوه لإخوانـــهم الفقراء والمحتاجين ، وفى هذا تهديد ووعيد لمانعى الزكاة ، وفى مقابل هـــذا النوع من البشر هناك نوع آخر أدوا الزكاة فاستحقوا رحمـــة ربـــهم ، قـــال تعالى : " ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة وهـــم بآياتنا يؤمنون " . (٣)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ص ٢٦٢٦ ، ٢٦٢٧ .
(٢) قرآن كريم : سورة فصلت ، الآيتان ٦ ، ٧ .
(٣) قرآن كريم : سورة الأعراف ، جزء من الآية ١٥٦ .

لقد وسعت رحمة الله تعالى كل مخلوقاته ، وسيكتبها سبحانه وتعالى للذين اتقوه ، وأدوا ما عليهم من حقوق مالية ، وهى الزكاة ، وكان ذلك ترجمة حقيقية لإيمانهم بالله تعالى ، واتقاء لغضبه وعذابه .

توعد الله تعالى الذين لا يؤدون الزكاة بالدمار والهلاك ، والمراد هنا بالزكاة " طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك ، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام ، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه ، وتوفيقا إلى استعماله فى الطاعات " . (١)

إن رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ ، حتى أنها أوسع من الكون كله الذى خلقه تعالى ، لأنها استغرقته ، هذه الرحمة ينالها من يستحقها بحقها ، وهى تجرى بمشيئة الله تعالى وقدره ، ولا تجرى مشيئته سبحانه وتعالى بالرحمة جزافا أو مصادفة ، إنما تجرى بقدر وحكمة يجليها ويعلمها باريها ، ولا ينالها إلا من يستحقها الذين وهبوا التقوى ، وتربت نفوسهم التربية الإسلامية الحقة بآدائهم الزكاة ، إيمانا بالله تعالى ، ورغبة فى إرضائه عنهم .

ترغب السنة النبوية المطهرة فى آداء الزكاة وتأكيد وجوبها ، فقد جاء عن جابر رضى الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله أرأيت إن أدى الرجل زكاة ماله ؟ فقال الرسول (ﷺ) : من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره (٢) رواه الطبرانى .

وقال ﷺ: " حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع " . (٣)

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ٩٩ .

(٢) ، (٣) الحافظ ابن حجر العسقلانى ، مختصر الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، للحافظ المنذرى ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول (صلى الله عليه وسلم) " من تصدق بعـــدل تمرة من كسب حلال ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، يربيها لصاحبها ، كما يربى أحدكن فلوه حتى يكون مثل الجبل " (١) متفق عليه .

يرغب الله تعالى فى العبادات ن ومنها على سبيل المثال الزكاة ، فيعد بالنصر من ينصره ، ونصر الله بأن ينصر دينه فى الأرض ، ولاشك أن نصــو الله قريب من المحسنين ، هؤلاء المحسنون لهم من الصفات ما تميزهم عـــن غيرهم من البشر ولهم علاقات دالة عليهم ، وإرادات تتفق مع مــرادات الله ، قال تعالى : " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكنـــاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكـــر ولله عاقبة الأمور " . (٢)

إن نصر الله تعالى مرهون بنصر دينه وشرعه ، فمن نصر دينه كـــان حقا على الله أن ينصره ومن لم ينصر دين الله فى الأرض فقد كتب الله عليـــه الذلة والهوان والضياع ، إذ من صفات الذين وعدهم الله بالنصر والتمكين فى الأرض وتثبيتهم وتقوية أركانهم ، أنهم " أقاموا الصلاة " و " آتـــوا الزكـــاة " وانطلقوا من قضية الدين الإسلامى الكبرى وهم أنـــهم " أمـــروا بـــالمعروف ونهوا عن المنكر " .

إن المرء الذى لا يؤدى الزكاة لا يستحق نصر الله المؤزر كما وعد ، والذى لا يؤدى الزكاة لا يتم له التمكين فى الأرض ، وبدون إيتاء الزكاة يختل ميزان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع الإســـلامى ، وبـــدون الزكاة لا يكون المجتمع الإسلامى أمن على يومه وغده .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الحج ، الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

لقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين " الذين أقاموا الصلاة " وآتوا الزكاة " وعدهم بالتمكين فى الأرض ، وإن وعد الله المؤكد الوثيق المحقق الذى لا يتخلف أنه سبحانه وتعالى ينصر من ينصره ، فمن هؤلاء الذين ينصرون الله ، وبالتالى يستحقون نصره تعالى ، نصر القوى الذى لا يغلب ، العزيز الذى لا يقهر ، إنهم هؤلاء " الذين إن مكناهم فى الأرض " فحققنا لهم النصر ، وردنا لهم الكرامة ، وثبتنا لهم أمورهم ، وبالتالى " أقاموا الصلاة " تعبيرا عن عبوديتهم وولائهم لله تعالى " وآتوا الزكاة " تعبيرا عن عميق إيمانهم ، ويقينهم فيما عند الله من جزاء إنهم أدوا حق المال ، وانتصروا على شح نفوسهم ، وتطهروا من الحرص ، وكفلوا الضعفاء والمحتاجين[١] ، وحققوا للجماعة الإسلامية صفة الجسم الواحد الحى ، كما قال رسول الله (ﷺ) " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . [٢]

لاشك أن نصر الله تعالى لعباده آتٍ لا محالة ، إنه وعد لا يتخلف ، وإن تأخر ببعض الشئ ، لكنه لا محالة محقق ، وهو لا يعطى جزافا ، أو اعتباطا ، إنما يعطى بحقه وشروطه ، إنه نصر مسبب ، معلول بعلته ومشروط بشروطه .

إذا كان الإسلام الحنيف قد رغب المسلمين فى إخراج زكواتهم ، وحببهم فيما عند الله تعالى ، وما أعده لعباده الذين استجابوا له ، وأدوا زكاة أموالهم رغبة وطواعية ، عن طيب نفس ، وقناعة تامة ، ففى الجانب الآخر نجد أن التشريع الإسلامى ندد الممتنعين عن إخراج هذه الزكاة وهم قادرون وهددهم ، وتوعدهم بالعذاب الأليم فى نار جهنم ..

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٢٧ .

(٢) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح مسلم ، الطبعة الثانية ، مرجع سابق ، الحديث رقم ١٧٧٤ ، ص ص ٤٦٧ : ٤٦٨ .

قال تعالى : " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون " . (١)

يتوعد الله تعالى الذين منحهم المال ، وجعله فى أيديهم يتصرفون فيه كيف شاءوا ثم يبخلون عن الإنفاق فى سبيل الله ، هؤلاء هم " الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله " أى لا ينفقونها طاعة لله ؛ توعدهم بالعذاب الأليم " وها هى ذى الجباه تكوى .. لقد انتهت عملية الكى فى الحياة ، فليداروا على الجنوب ، ها هى ذى الجنوب تكوى .. لقد انتهت هذه ، فليداروا على الظهور .. ها هى ذى الظهور تكوى .. " (٢)

لاشك أن هذا المشهد مروع ، ومفرغ ، حين يعرض عذاب الذين يكنزون الذهب والفضة ، فى تطويل وأناة ، وعلى مهل .. إذ يصور مصائر الكانزين ، وقد احتفظوا بالذهب والفضة وبخلوا بها ، ولم ينفقونها فى طاعة الله ومرضاته ، وفى سبيله .. لاشك أن هذا المشهد يرعب ويرهب المسلم .

إن المنهج الإسلامى يدفع المسلم ويحفزه نحو الزكاة ، والصدقة ، والبذل فى سبيل الله ، وينهى عن كنز المال ، وحرمان المجتمع المسلم وأفراد من خيره ، فيتوعد الله تعالى هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة بالعذاب ، وفى ذلك حث على العطاء والانفاق فى سبيل الله وترغيب فى الإنفاق فى سبيل الله .. وفى نفس الوقت ترهيب ووعيد من الله .. " وفى

---

(١) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثالث ، ص ١٦٤٦ .

" هذا يصور القرآن العظيم لكل عمل إغراء ، ولكل بلاء جزاء ويربط ربطا وثيقا ما بين جزئيات السلوك وبين العائد فيه سلبا وإيجابا " [1]

لقد توعد الله تعالى مانعى الزكاة بالعذاب الأليم ، كما توعدتهم السنة النبوية المطهرة كذلك ، فعن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) " من أتاه الله مالاً ، فلم يؤد زكاته ، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع ، له ذبيتان ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه ، يعنى شدقيه ، ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، [2] ثم تلا : " ولا تحسبن الذين يبخلون " الآية .

وفى طريق : يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع ، يفر منه صاحبه ، فيطلبه ، ويقول : أنا كنزك ، قال: والله لن يزال يطلبه حتى يبسط يده، فيلقمها فاه ، وقال رسول الله (ﷺ) إذا ما ربّ النعم لم يعط حقها ، تسلط عليه يوم القيامة ، تخبط وجهه بأخفافها ". [3]

وعنه (رضي الله عنه) قال : قال النبى (ﷺ) : " تأتى الإبل على صاحبها على خير ما كانت ، إذا هو لم يعط فيها حقها ، تطأه بأخفافها ، وتأتى الغنم على صاحبها على خير ما كانت ، إذا لم يعط فيها حقها ، تطأه بأظلافها ، وتنطحه بقرونها ، قال : ومن حقها أن تحلب على الماء ، قال : ولا يأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار فيقول : يا محمد ! فأقول : لا أملك

---

(١) دكتور عبد العزيز محمد النغيمشى : علم النفس الدعوى (دراسات نفسية تربوية للآباء والدعاة المربين) الرياض ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ص ١٧٠ .

(٢) انظر : سنن النسائى ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، ص ٣٩ .

(٣) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، الحديث رقم ٧٠١ ، ص ٣٣٠ .

لك شيئا ، قد بلغت ، ولا يأتى ببعير يحمله على رقبته له رغاء ، فيقول : يـــا محمد ! ، فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد بلغت " [١]

وعن أبى ذر (رضي الله عنه) قال : انتهيت إلى النبى (ﷺ) قال : والذى نفسى بيده، أو والذى لا إله غيره ، أو كما حلف، ما من رجل تكون له إبل ، أو بقر ، أو غنم ، لا يؤدى حقها ، إلا أتى بها يوم القيامة ، أعظم ما تكون وأسمنه ، تطؤه بأخفافها ، وتنطحه بقرونها ، كما جازت أخراها ، ردت عليه أولاهـــا ، حتى يقضى بين الناس " . [٢]

– يقول رسول الله (ﷺ) : " ما منع قـــوم الزكـــاة إلا ابتلاهـــم الله بالسنين " [٣] يعنى : القحط والمجاعة .

يأتى يوم القيامة " يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهـــهم وجنوبهم وظهورهم " هذا اليوم يحمى على الذهب والفضــــة التـــى كنزوهـــا وتكون سببا لعذابهم ، وأداه لكيهم بها ، ثم يقال لهم " هذا ما كنزتم " فبســـبب هذا الكنز " فذوقوا ما كنتم تكنزون " أى هذا بذاك وهذا الذى كنتـــم تكـــنزون لأنفسكم .. وكما أن هذه الأموال كانت أعز الأموال على أربابـــها وأصحابـــها وكانزيها ، كانت أضر الأشياء عليهم فى الدار الآخرة إذ يحمى عليها فى نـــار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . [٤]

إن الإنفاق فى سبيل الله زكاة مفروضة أو صدقة – وابتغاء مرضاته ، دليل الإيمان ، إذ يصدر عن قلب عامر بالإيمان ، فينفق المسلم من ماله مـــن

---

(١) المرجع السابق ، الحديث رقم ٧٠٠ ، ص ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، الحديث رقم ٧٢٣ ، ص ٣٤٤ .

أنظر : سنن النسائى : المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، ص ٢٩ .

(٣) جمع الفوائد : الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ٣٦٥ .

منطلق الثقة الثابتة والإيمان العميق ، والتصور الإسلامى الأصيل ، الضارب بجذوره العميقة ، فى أعماق النفس المؤمنة .

ينفق المنفقون من أموالهم ، ابتغاء مرضاة الله تعالى عنهم ، وهم متحققون ، ومتثبتون من وعد الله لهم بالجزاء الحسن ، وبأنه تعالى سيجزيهم عن ذلك الإنفاق أفضل الجزاء ، ويضرب لهم الله تعالى الأمثال الحسنية ليقرب لهم الصورة المعنوية إلى صورة حسية ملموسة ، مدركة فى الواقع العملى ويشبه المؤمن المنفق ، كمثل بستان بربوة عالية ، مرتفعة عن الأرض ، أصابها مطر شديد ، فتأثرت به وارتوت وأثمرت ضعفين ، أى بزيادة عن الأرض الأخرى غير المرتفعة ، وكونها مرتفعة فإنه يكفيها من المال القليل حتى تثمر وتؤتى أكلها بإذن ربها ، فإن لم يصب الربوة المطر الشديد ، أصابها " طل " وهو عبارة عن رذاذ لين من المطر ، فبسببه أثمرت وأينعت ، إن هذه الأرض الطيبة ، لا تبور أبدا ولا تجدب أبداً إنها كالمؤمن المنفق فى سبيل الله دائماً يانعة ، ودائماً وارفة ، ودائماً معطاءة .

قال تعالى : " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير " . (١)

إن المطر الغزير يحيى البستان ، فيخرج من الثمرات ضعف البساتين الأخرى التى فى السفح ، وكما تحى الصدقة قلب المؤمن فيزكو وتزداد صلته بالله تعالى ويتطهر ماله ، ويضاعف له أضعافا مضاعفة ، وكما تزكو حياة الجماعة المسلمة بالإنفاق وتزيد وتنمو وتصلح ، فإن لم يصب هذا البستان

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .

المطر الغزير الذى يكون سبب النماء والإثمار والوفرة والتنمية ، فيكفيها النذر القليل من الماء لتؤتى ثمرها ويزداد عطاؤها ونماؤها بإذن ربها .

هكذا وعد الله تعالى المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاته ، بأنه سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ، ويزيدهم من فضله وعطائه ، ويضاعف لهم هذا العطاء ، كرماً منه وتفضلا ، كما تتضاعف ثمار البستان فى المكان المرتفع من الأرض ، المرتفع عن المياة الجوفية ، هذه الجنة (البستان) على هذه الصورة (بربوة)، لا تبور أبداً ولا يصيبها الجدب والعطب والقحط أبداً ، وذلك لأن قليل الماء يكفيها ، إذا لم يتوفر المطر الغزير (الوابل) يكفيها القليل من الرذاذ وهو (الطل) وهى فى الحالتين تأخذ حاجتها وكفايتها . [1]

هكذا يشبه الله تعالى عمل المؤمن ، ومضاعفته عن طريق العطاء والإنفاق وأنه لا يبور بحال من الأحوال ، ولا ينتهى ، إنه لا يضيع ، إن الله تعالى يربيه ، ويضاعفه أضعافاً كثيرة . إنه تعالى يتقبل عمله ، ويباركه ويكثره لأنه فى الحقيقة مصدره ومفيضه .

إن الله يرغب عباده فى الإنفاق ، ويرهبهم من التقتير والشح والأثرة، والنداء الإلهى للمؤمنين فى كل زمان ومكان ، يبين لهم ويرشدهم أن يكون الإنفاق لوجه الله تعالى ، وإذا كان الله هو الذى يتقبلها ، فمن باب الأدب مع الله أن يكون هذا الإنفاق من أطيب ما يكون ..

قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد " . [2]

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٦ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٧ .

إن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بالإنفاق – والمراد هنا الصدقة ، على أن تكون من طيبات ما رزقهم الله من الأموال التى اكتسبوها .. لقد أمرهم الله بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ، ونهاهم عن التصدق بدنئ المال وخبيثه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا ما كان طيبا .

نزلت هذه الآية فى الأنصار ، إذ كانوا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتى الرجل بالقنو فيعلقه فى المسجد ، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فسقط منه البسر والتمر فيأكل ، وكان أناس ممن لا يرغبون فى الخير يأتى بالقنو الحشف والشيص ، فيأتى بالقنو قد انكسر فيعلقه [1] فنزلت " ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه " . [2]

إن النداء الإلهى ، قانون سماوى صالح لكل زمان ولكل مكان . يربى المسلم التربية الإسلامية الصحيحة ، ويؤدبه الأدب الإسلامى الرفيع ، ويبين لهم أن الإنفاق لله تعالى لا يكون من مال ردئ أو مزيف أو مما لا يقبله صاحبه ولا يرضاه ، وإن الله تعالى أغنى من أن يتقبل الردئ ، الخبيث ، ويشمل الإنفاق جميع الأموال التى تقع فى يد المؤمن ، كما يشمل كل ما كسبته يداه من مال حلال ومن رزق طيب ، وكل ما أخرجه الله تعالى من الأرض ، من زروع وغير زروع ، كالمعادن والبترول .. وما شابه ذلك ، ولابد أن يعى المؤمن أن الله تعالى " غنى عن عطاء الناس إطلاقا ، فإذا بذلوه فإنما يبذلونه لأنفسهم فليبذلوه طيباً ، وليبذلوه طيبة به نفوسهم كذلك ، لأن الله تعالى " حميد " يتقبل الطيبات ويحمدها ، ويجزى عليها بالحسنى ، وإن الله " غنى عن الخبيث الذى تقصدون إليه فتخرجون منه صدقاتكم . [3]

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٨ .
(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٧ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣١١ .

الكف عن الإنفاق فى سبيل الله تعالى ، أو الإنفاق الردئ أو الخبيث ، إنما ينشأ عن دوافع السوء فى النفس البشرية ، التى تزعزع فيها اليقين ولم تثق فيما عند الله تعالى ، هذا الكف أو الامتناع ، ليس من صفات المؤمنين الذين تربوا التربية الإسلامية الحقة ، وهم يعرفون حق المعرفة أن المال مال الله ، وأن الإنسان مستخلف على هذا المال ، وليس مالكه على الحقيقة ، ويعرفون حق المعرفة أن الله تعالى فرض فى هذا المال حقا معلوما للسائل والمحروم ، قدره وحدده فى أموال الأغنياء الميسورين ولم يتركه للهوى ، أو الرغبات الشخصية .

لقد رغبت السنة النبوية فى الصدقة وحضت عليها ، لتربى الشخصية الإسلامية على العطاء والبذل ، فعن حارثة بين وهب (ﷺ) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " **تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته ، فيقول الذى أعطيها : لو جئتنا بها الأمس قبلتها ، فأما الآن فلا حاجة لى بها ، فلا يجد من يقبلها** " . (١)

وتدعوا السنة النبوية إلى إخفاء الصدقة ، وترغب فى عدم إظهارها ، مخافة الرياء على صاحبها ، وحرصا على شعور الفقير ، فقد جاء عن أبى هريرة (ﷺ) عن النبى (ﷺ) قال : " **سبعة يظلهم الله فى ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة**

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ؛ الطبعة الثانية ، مرجع سابق ، باب فى الحث على النفقة ، الحديث رقم ٥٢٦ ، ص ١٤٣ .

فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه " . (١)

وعنه (ﷺ) عن النبى (ﷺ) : " ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه(٢) ، وقوله : " إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤدوها الفقراء فهو خير لكم " . (٣)

إن الصدقة التى يتصدق بها المسلم حين تكون تطوعاً يكون إخفاؤها أحب إلى الله وأجدر أن تبرأ من الرياء وحب الظهور والشهرة ، وأما حين تكون أداءً للفريضة ، فإن إظهارها فيه معنى الطاعة ، ويكون إنشاؤها وإعطاؤها علانية خير ، وذلك لأن هذه الطريقة تستجيش التقوى فى قلوب المؤمنين ، فتدفعهم إلى البذل والعطاء ، وإيتاء الزكاة .

يستخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب لأغراض تربوية ، مؤداها :-

(١) التبصير بطبيعة النفس الإنسانية ، وما يخالجها من الشح بالمال والبخل وحاجتها إلى الاستثارة المستمرة ، والتحريك الدائم ، بغرض تنشيطها وسموها عن البخل والحرص الملازم لها ، والارتفاع بها إلى المستوى الذى يحبه الناس ، ويرضى عنه الله .

(٢) تغيير العادات البيئية ، فقد اشتهرت البيئة العربية بالكرم والسخاء ، لكن هذا السخاء وهذا الكرم لم يكن مقصده رضا الله وطاعته عنه سبحانه ، بل كان هدفه السمعة والشهرة وحب الثناء ، ولما كانت التربية الإسلامية

---

(١) المرجع السابق ، الحديث رقم ٥٣٧ ، ص ١٤٧ .

(٢) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، الحديث رقم ٢٢٥ ، ص ٣٣٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٧١ .

الحقة تعمل من أجل تغيير سلوك الأفراد إلى الأفضل ، فإن هذا التغيير فى حاجة إلى تربية طويلة ، ومتابعة مستمرة ، وتجرد وتسامى ، وهذا يحتاج إلى وقت طويل وجهد دائم ومتواصل ، حتى يتم الإقلاع عن هذه العادات ، وتغييرها إلى الأفضل ، وبالتالى يتعلم الفرد التجرد لله تعالى فى بذله وعطائه ، وأن يكون هدفه رضا الله ، لا حب الشهرة والظهور .[١]

ويرغب الرسول (ﷺ) فى النفقة والتصدق ، والجودة من الموجود الذى أعطاه الله عباده ، فيرغب فى التصدق ويحض على التعفف فى السؤال ، فيبين أن المعطى هو صاحب اليد العليا ، بينما السائل هو صاحب اليد السفلى . فقال (ﷺ) " اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا هى المنفقة ، والسفلى هى السائلة " . [٢]

إن التصدق مرغوب فيه ، ويفضل أن يكون حلالاً ، وأن يكون مخرجا عن طيب نفس وكرم حقيقى ، ومن كسب حلال ، ولا يشترط أن يكون المتصدق به كثيراً أو قليلاً من المال أو المتاع ، فقد قال رسول الله (ﷺ) " اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ".[٣]

وترغب السنة النبوية فى اختيار أفضل أوقات الصدقات ، إذ العبرة ليست بكم لصدقها أو نوعها ، ولكن العبرة فى الكيفية التى يكون عليها المتصدق ، فعن أبى هريرة (ﷺ) ، قال : جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال : يا رسول الله ، أى الصدقة أعظم أجراً ؛ قال : " أن تصدق

---

(١) أنظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣١٤ .

(٢) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، الطبعة الثانية ، الحديث رقم ٥٦٠ ، ص ١٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، الحديث ٥٣٤ ، ص ١٤٦ .

وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان " [1] . متفق عليه

فى هذا الحديث يدعو الرسول (ﷺ) ، إلى المبادرة إلى فعل الخيرات ، وعدم التردد فى فعلها إذا أقبل عليها ، ففى سؤال الرجل لرسول الله (ﷺ) : أى الصدقة أفضل ؟ لا يريد السؤال عن نوع الصدقة أو عن كميتها ، وإنما كان يريد عن أفضل الأوقات الذى تكون الصدقة فيه أفضل ، فقال له وأن تصدق وأنت صحيح شحيح ، أى وأنت صحيح البدن شحيح النفس ، لأن الإنسان إذا كان صحيحا كان شحيحا بالمال، لأنه يأمل البقاء ، ويخشى الفقر ، أما إذا كان مريضا ، فإن الدنيا ترخص عنده لا تساوى شيئا فتهون عليه الصدقة . [2]

فى هذا الحديث النبوى ترغيب للمسلم أن يبادر بالصدقة قبل أن يأتيه الموت وأنه إذا تصدق فى حال حضور الأجل ، كان ذلك أقل فضلا مما لو تصدق وهو صحيح شحيح .

ترغب السنة النبوية فى الصدقة .. وأن الله تعالى يكافئ صاحبها عليها ، ويزيده من فضله ، وعن طريق التصدق ، يتربى المسلم على العطاء، وعلى البر ، وعمل الخير ، إذ يمد يد العون والمساعدة لإخوانه الفقراء والمحتاجين ، على أن يتوفر فى هذه الصدقات أن تكون من كسب حلال ومن عرق نظيف حتى تتقبلها الله وينميها له ، مصداقا لقول رسول الله (ﷺ) " لا يتصدق أحد بتمره من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه ،

(١) ، (٢) الشيخ محمد بن صالح العثيمين : مرجع سابق ، ص ٤٢٩ .

فيربيها، كما يربى أحدكم فلــوة أو قلوصـــة ، حتـــى تكــن مثــل الجبــل أو أعظم " . [١]

وفى رواية ، قال رسول الله (ﷺ): " من تصدق بعدل تمــرة مــن كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينـــه ، ثــم يربيـــها لصاحبها ، كما يربى أحدكم فلوة ، حتى تكون مثل الجبل " . [٢]

إن الله طيب لا يقبل إلا ما كان طيبا ، ولذلك يدعو المؤمنين ويوجههم إلى الكسب الحلال ، والتصدق من المال الطيب حتى يتقبله وينميه . يدعو الله المتصدقين أن تكون صدقاتهم وعطاءاتهم من طيبات ما رزقهم الله وأن يأكلوا من الطيبات .. فإن ذلك شرط قبول الدعاء ، واستجابة الله تعالى لهم .. قـــال رسول الله (ﷺ): " أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : " يا أيها الرسل كلوا مـــن الطيبـــات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم " . [٣]

قال : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم " [٤] ثـــم ذكـــر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يده إلى السماء ، يـــا رب ، يـــا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغـــذى بـــالحرام ، فـــأنى يستجاب لذلك " . [٥]

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجـــع سابق ، الحديث رقم ٥٣٩ ، ص ١٤٧ .
(٢) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجـــزء الأول ، مرجـــع سابق ، الحديث رقم ٧٠٥ ، ص ٣٣٢ .
(٣) قرآن كريم : سورة المؤمنون ، الآية ٥١ .
(٤) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ١٧٢ .
(٥) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ،(مرجع سابق) ، باب قبول الصدقـــة مـــن الكسب الطيب وتربيتها الحديث رقم ٥٤٠ ، ص ١٤٧ .

قال تعالى : " وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار . " (١)

إن الله تعالى يعلم ما يفعله عباده المؤمنون من الخيرات وإنفاق النفقات ، ونذر المنذورات طاعة له ، وليس للظالمين الذين ينفقون لكن هذا الإنفاق ليس لله تعالى ، إنه إنفاق الرياء والمن والأذى ، لقد ظلموا أنفسهم بإنفاقهم لغير الله ، وما كان ينبغى أن يفعلوا هذا . ، شعور المؤمن الحق بأن عين الله تعالى على نيته وضميره ، وعلى حركته وعمله ، ونشاطه ، يثير فى حسه مشاعر حية متنوعة ، شعور التقوى والتحرج أن يهجس فى خاطره هاجس رياء أو سمعة أو حب شهرة ، وهاجس شح أو بخل ، وهاجس خوف من الفقر أو الغبن ، وشعور الاطمئنان على الجزاء والثقة والوفاء ، وشعور الرضا والراحة ، بما وفى لله ، وقام بشكر نعمته عليه ، بهذا الإنفاق " . (٢)

وأما الذين لا يقومون بحق النعمة التى أنعم الله عليهم بها ، ولا يؤدون الحق لله ولا لعباده الفقراء والمحتاجين ، والذين يمنعون الخير بعد ما أعطاهم الله تعالى هذا الخير، إنهم لاشك ظالمون لأنفسهم وظالمون للناس، وليس لهم من نصير ينصرهم من دون الله .

انفاق المؤمن راجع إليه ثوابه ، وثمرته لصالحه ، إنه بنفقته يحمى نفسه ، لأنه هو المستفيد من نفقته ، قبل أن يستفيد الآخذ .

قال تعالى : " وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون " . (٣)

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٧٠ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣١٣ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٧٢ .

ما ينفقه المسلم من خير ومن صدقات يبتغى بها وجـــه الله ، يعــود ثوابه عليه ، وذلك كقوله تعالى: " من عمل صالحا فلنفسه " وأما قوله تعالى: " وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله " فمعناها أن نفقة المؤمن لنفسه ثوابها ، ولا يكون المؤمن منفقا إلا إذا كان إنفاقه لوجه الله تعالى . فإذا أعطيت الصدقـــة لوجه الله فلا عليك ما كان عمله ، إن المتصدق إذا تصدق ابتغاء مرضــاة الله تعالى فقد وقع أجره على الله تعالى . (١)

وليس على المؤمن فى نفس الأمر لمن أصـــاب الـــبر أو فـــاجر، أو مستحق أو غير مستحق إن المؤمن مثاب على قصده .

وهنا فى هذه الآية الكريمة يظهر الترغيب فـــى الصدقـــات والحـــض عليها ، الإنفاق لوجه الله تعالى ، وليس على المؤمن من إدراك النتائج أوقعت الصدقة فى يد من يستحقها بالفعل ، أو فى يد من لا يســـتحقها ، فلقـــد أدى المؤمن ما عليه ابتغاء مرضاة الله ، وقد تحرى قدر إمكانه ، والله سبحانه هو المكافئ وهو المجازى على العطاء والعمل الخير ، ولعل من أدركته الصدقة ، وهو غير مستحق لها ، تكون هذه الصدقة سببا فى هدايتـــه إلـــى الطريـــق المستقيم .

يرغب الله تعالى عباده فى الإنفاق ، ويمدحهم ، ويطمئـــن قلوبـــهم ، فيقول تعالى : " الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . (٢)

الله يعلم ما أنفق المنفقون ، يعرف نواياهم ومقـــاصدهم ، وعلـــى أى وضع كانوا يتصدقون وفى أى وقت بالليل أم النهار ، سراً أو علانية ، ففـــى كل الأحوال هو معهم ، وفى كل الأوقات يراقبهم ويلاحظهم .. ليـــس هنـــاك

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٣١ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٧٤ .

وقت للصدقة ووقت ليس للصدقة .. إن من يتصدق لوجه الله تعالى مـــأجور من الله .. ويكفيه أنه لا يحزن إذا حزن الناس ، ولا يخاف إذا خافوا أنهم فـى حماية الله وفى كنفه تعالى . [1]

قال تعالى : " فأما من أعطى واتقـى وصـدق بالحسـنى فسنيسـره لليسرى * وأما مـن بخـل واسـتغنى * وكـذب بالحسـنى * فسنيسـره للعسرى . " [2]

يرغب الله تعالى فى الإنفاق ، ويبين نتيجة هذا الإنفاق ، وأنها لصالح المنفق كما يرهب من البخل والشح ، إذ أن نتيجة هذا كله غضب الله وسخطه .. فإن من أعطى من نفسه وماله ، فقد اتقى غضـب الله تعـالى وسـخطه وعذابه ، ولا يكون هذا العطاء إلا بتصديقه بهذه العقيدة السمحة الواضحـة .. أما من بخل ، بنفسه وماله ، واستغنى عن الله ، ولم يطلب هداه ومساعدته ، فقد كذب بهذه العقيدة .

إن عون الله له أسبابه ، وهو نتيجة للعطاء الذى يعطيه المؤمن فـى حياته الدنيوية ، تصديقا بالحسنى – العقيدة الواضحة السمحة – وطمعا فيمـا عند الله من النعيم المقيم .. وإن من يعطى ويصدق بالحسنى يكون قـد بـذل أقصى ما فى وسعه ليزكى نفسه ويطهرها ويهديـها طريـق الله ، وعندئـذ يستحق عون الله الذى وعد ، وتوفيقه الذى أعده لعباده المؤمنين .

ولاشك أن تيسير الله هو التيسر الحقيقى ، ونصر الله لعبده هو النصر المؤزر ، ومن يسره الله تعالى لليسرى فقد حقق مراده ووصل إلـى مبتغـاه وحقق أهدافه . فى الدنيا والآخرة .. إنه فى الدنيا يعيش فى يسـر ، يفيـض

---

(١) انظر : الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٣٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة الليل : الآيات ٥ : ١٠ .

اليسر من نفسه على كل ما حوله، ومن حوله .. اليسر فى خطوة فى طريقه، فى كل أموره صغيرها وكبيرها .. إنه الموفق المطمئن . (١)

وعلى الجانب الآخر نرى " من بخل واستغنى وكذب بالحسنى " . فإن هذا الصنف من البشر الذى يبخل بماله ونفسه ، ويستغنى عن ربه ولا يطلب هداه ، ويكذب بدينه ، ودعوته ، فإنه يعرض نفسه لأقصى ما يعرضه إنسان للفساد ، ويكون بذلك مستحقا لأن يعسر الله عليه ، فى كل أموره ، وكل شئونه وحالاته ، فلا يوفقه إلى خير ، بل يوفقه إلى كل شقاء وتعب .. وتكون نتيجة هذا المتعسر التردى والسقوط فى نهاية العثرات ، والانحرافات ، ولن يغن ماله عنه ، الذى بخل به واستغنى به عن الله ، وظن أنه ملازمه وأنه خالد ، وأنه يغنيه عن ربه .." وما يغنى عنه ماله إذا تردى". وهذه هى النتيجة المحتومة . (٢)

قال تعالى : " وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين " . (٣)

لقد كثرت التوجيهات القرآنية إلى الإنفاق فى سبيل الله ، فالإنفاق فى سبيل الله مرغوب بينما الإمساك عن الإنفاق فى سبيل الله تهلكة للنفس بشحها وبخلها وحرصها على المال .

يوجه القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى أن المال الذى بين أيديهم هو فى الحقيقة مال الله ، وهو ملك لله ، وأن الإنسان الذى يملك هذا المال هو مستخلف عن الله تعالى فى إنفاق هذا المال والتصرف فيه ، فلا ينبغى أن يعصى ربه فيما استودعه إياه .

---

(١) ، (٢) انظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٩٢٢ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ١٩٥ .

قال تعالى : " ولله ملك السموات والأرض ". [1]

والله سبحانه وتعالى يرزق الناس جميعا ، قال تعالى : " هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض " . [2]

الله تعالى هو الرزاق ، والناس مكلفون بالإنفاق مما رزقهم الله تعالى من هذه الأموال التى جعلهم خلفاء فى التصرف فيها .. إن الإنسان ما هو إلا مستخلف على مال الله تعالى .. إن هو إلا بمنزلة الوكيل على هذا المال .

قال تعالى : " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " [3]

وقال تعالى : " وآتوهم من مال الله الذى أتاكم " [4]

كل هذه الآيات ترغب الناس جميعا فى ألا يتأخروا عن تنفيذ أوامر الله تعالى فى المال الذى استودعهم إياه .. إذا أمروا أن يؤتوا منه فئات من الناس محتاجة فعليهم أن يبادروا إلى ذلك كما علمهم الله وشرع . [5]

يرغب القرآن الكريم المسلم فى الزكاة والصدقة عن رغبة حقيقية فى إرضاء الله تعالى ، وما يفتح الله له من أبواب جزاءاته الكبرى للمسلم المزكى عن ماله ، والمتصدق به ، فى قوله تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " [6]

---

(١) قرآن كريم : سورة آل عمران ، الآية ١٨٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة فاطر ، الآية ٣ .

(٣) قرآن كريم : سورة الحديد ، الآية ٧ .

(٤) قرآن كريم : سورة النور ، الآية ٣٣ .

(٥) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٣٤٠ .

(٦) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

إنه وعد ربانى عظيم يصور الله تعالى ثواب ما يعطيه لمزكـــى عـن ماله، والمتصدق بجزء منه ، كأنه حبة زرعت فى أرض طيبة فأنبتت " سـبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبـة " وهـذا يعنـى مضاعفـة جـزاء المزكـى والمتصدق . [1]

فما حال المسلم الذى تمر به هذه الآية الكريمة ، إن أى مسلم يسـمع هذا الوعد ، وهذا الترغيب الربانى للزكاة والصدقة يبادر على الفور فى أدائها راضيا ابتغاء وجه الله وانتظار ثوابه الدنيوى والأخروى .

---

(١) دكتور شوقى ضيف : مرجع سابق ، ص ٨٤ .

الفصل الخامس

الزكاة والمجتمع الإسلامى

أولاً : الزكاة والتربية الاجتماعية .

ثانياً : الزكاة والقيم الاجتماعية

أولا : الزكاة والتربية الاجتماعية

للمجتمع الإسلامى سماته وخصائصه التى تميزه عن بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى ، تبلورت هذه الخصائص فى ضوء التصور الإسلامى ، الذى يسعى إلى تنمية العلاقات الاجتماعية للفرد ، وبناء المجتمع الإسلامى ، فى ضوء منهجه وتوجهاته الخاصة به .

يرى الإسلام أن المجتمع القوى البنيان ، هو مجتمع الترابط والتآخى والتعاون ، والتكافل ، هذا المجتمع هو الذى تسود بين أفراده علاقات إنسانية واجتماعية متآزرة ، بعيدة عن الصراعات ، والتناقضات ، كل فرد من أفراد هذا المجتمع الذى يتصف بهذه الصفات النبيلة يعرف أدواره ومسئولياته الملقاة على عاتقه ، ويعمل من أجل تحقيقها على أفضل ما يكون التحقيق .

هذا المجتمع هو مجتمع الولاء لله ، والانتماء إلى شريعته السماوية السمحة ، التى تقوم على العدل ، والمساواة ، والتكافل بين جميع أفراده ، إذ لا فرق بين فقير وغنى ولا بين أبيض وأسود فى المجتمع الإسلامى ، إلا بالتقوى والعمل الصالح . إنه مجتمع الإيثار ، وحب الخير للجميع ، وتفضيل الغير على الذات ، وذلك وفق منهج الله وتعليمات شريعته الغراء .. إنه مجتمع يجد كل فرد فيه ذاته ، لأنه مجتمع يحترم الصغير فيه الكبير ، ويعطف الكبير فيه على الصغير ، إنه مجتمع الأخوة فى ذلك .

هذا المجتمع الإسلامى – الذى نقصده – هو مجتمع الفضيلة ، والكرامة الإنسانية ، مجتمع الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، إنه مجتمع الأمن والأمان ، والسلم والسلام ، مجتمع العدل والعدالة بكل صورها وبجميع أشكالها وتفصيلاتها ، إنه مجتمع العدالة الاجتماعية ، التى تقتضى أن

يعيش كل فرد وكل عضو فيه عيشة كريمة إنسانية ، لائقة به " غير محروم ، ولا ممنوع " وأن " يمكن من استغلال مواهبه ، بما يفيد شخصه، وبما يفيد الجماعة ، ويكثر إنتاجها " [1]

إن الإسلام نظام متكامل ، تعمل نصوصه ، وتوجيهاته ، وشرائعه ، فى ديناميكية متفاعلة ، ووحدة واحدة ، ولا يؤخذ أجزاء متفرقة أو منفصلة ، إذ أن نظم الإسلام تعمل كلها معاً وفى آن واحد ، متكاملة ، متناسقة ، متناغمة ، من أجل هذا أنشأ الإسلام " مجتمعه الفريد الذى لم تعرف البشرية نظيرا له فى مجتمعات الأرض جميعاً . [2] وما ذلك إلا لأن مقوماته وأسسه ومبادئه ، تختلف تماما عن مبادئ ومقومات وأسس المجتمعات الإنسانية جميعا ، وبلا أدنى استثناء .

فى المجتمع الإسلامى لا يستعلى غنى على فقير لغناه ، ولا يستذل غنى أو فقير لفقره وحاجته ، إذ الفضل كل الفضل بيد الله تعالى ، وهو من عند الله .. وأن الرفعة والمكانة والمنزلة العالية بين الأفراد وبعضهم ، إنما سببها العمل الصالح الذى يسبب التقوى والخشية من الله فى السر والعلانية ، لهذا قال رسول الله (ﷺ) : " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " . [3]

فى المجتمع الإسلامى يتحقق الهدف الاجتماعى للتربية الإسلامية ، وذلك من خلال " تقوية الروابط بين المسلمين وجمع شملهم، واتحاد أفكارهم، واتجاهاتهم ، وإدراك الأفراد مدى ارتباط حياتهم تأثيرا وتأثرا بالخير والشر

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣١٧ .

(٣) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، الحديث رقم ١٧٧٦ ، ص ٤٦٨ .

معا . كى تصبح الأمة الإسلامية بحق خير أمة أخرجت للنـــــاس " [1] تحقيقــا لقوله تعالى: " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عــن المنكر وتؤمنون بالله " . [2]

من خلال الهدف الاجتماعى الذى تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه، يمكن تنمية العلاقات الاجتماعية للفرد ، وبناء المجتمع الإسلامى المنشــود ، وذلك من خلال منظومة القيم الإسلامية ، والمثل العليا التى تســود المجتمــع الإسلامى ، وتسير حركته ، وبالتالى يمكن تنشئة أعضاء هذا المجتمع علــى قيمة المساواة ، باعتبار أن البشر سواسية ولا فضل لعربى على أعجمــى إلا بالتقوى .. وإذا تم غرس قيمة الولاء فى نفوس الناشئة يمكن تنميـــة قيمــة الانتماء لدى الأفراد ، وبذلك تتحقق الكرامة الإنسانية والإسلامية للفرد فــى المجتمع الإسلامى .

هذه العدالة الاجتماعية التى يتميز بها المجتمع الإسلامى ، عدالـــة لا توجب " إلغاء الفقر فى هذا الوجود ، بل هى عدالــة توجــب تخفيــف حــدة وويلات الفقر النفسية والمادية ، تكون نتيجته ألا يحقد غنى فيكون الخــواب ، ولا يحرم من القوت والكساء والإيواء فقير فتصنيع قوى عاملة ، كان يمكــن أن تعمل ، وتدر على الجماعة الإسلامية بعملها خيراً ، وتدفع عنـــها وعــن نفسها شرا .. [3]

لقد تمت العدالة الاجتماعية فى المجتمع الإسلامى عن طريق العبادات، وعلى وجه الخصوص عن طريق الزكاة ، بهذه الزكاة التى أوجبها الإســلام ،

---

(١) دكتور مصطفى محمد متولى : أهداف التربية الإسلامية ، فصل من كتاب :(أ.د. محمد شحات الخطيب ، وآخرون : أصول التربية الإسلامية) ، الريـــاض ، دار الخريجــى للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـــ ، ١٩٩٥ م ، ص ٩٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة آل عمران ، جزء من الآية ١١٠ .

(٣) الإمام محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

لم يعد العدل الاجتماعى مثلا أعلى يتمناه الإنسان ويتحرق شوقا إلى تحقيقه ، بل أصبح فى الإسلام حقيقة واقعة كبرى ، إذ فرض على الأغنياء من المسلمين حق معلوم فى أموالهم للفقراء ، وأصبحوا بذلك كالشركاء لهم فى أموالهم .. ينتظرون سويا من حين إلى حين ما يؤدونه لهم من أموال زكاتهم [١] هذه الزكاة التى جعلها الإسلام حقا للفقراء والمحرومين ، ولم يجعلها منحة ، ولا عطية ، ولا هبة لهم .. لقد جعلها الإسلام حقا معلوما ، محدداً للفقراء فى أموال الأغنياء .

إن العبادات فى الإسلام – ومنها الزكاة – تربى النفس المسلمة على العزة والكرامة وإباء الضيم ، والاعتزاز بالله تعالى ربا ، لأنه سبحانه أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم .. وإذا استيقظت هذه المعانى وأمثالها ، وعاشت فى نفوس أفراد المجتمع الإسلامى ، وترجمت سلوكماً من خلال تعاملاتهم ، وعلاقاتهم .. وجميع حركات حياتهم وسكناتها ؛ حينئذ يكون استقام كل إنسان ولزم حدوده ، ولم يعد فى المجتمع الإسلامى ظلم ولا شبهة ظلم ، ولا استعلاء ، ولا ذل واستعباد ، ولعاش كل الأفراد دون تفريق أو طبقات ، ولنعم الكل براية التوحيد ، ولعاش الكل تحت لواء الله ، والله هو العدل ، ولا يرضى لعباده الظلم ، حينئذ يعم السلام على جميع بقاع الأرض . [٢]

لا توجد طبقات فى المجتمع الإسلامى ، كما توجد فى المجتمعات الأخرى ، غير الإسلامية ، فقد عمل الإسلام الحنيف جاهداً على " محو نظام الطبقات فى النفوس بالعبادات الإسلامية " . " ففى الصلاة يقف الفقير بجوار

---

(١) دكتور شوقى ضيف : مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

الغنى . يجمعهما الخضوع للديان ، ويقولان معا : " الله أكبر " . ليشعروا جميعا بالتضامن وقوة الله ، وجبروته ، وفى الحج تمحى كل الفروق الاجتماعية بين الأجناس والألوان ، والفقراء والأغنياء " . [١]

لا يقر الإسلام أن تكون الفوارق بين أفراد الأمة الإسلامية الواحدة ، بحيث تعيش منها جماعة فى مستوى الترف ، بينما تعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف ، وربما تتجاوز ذلك إلى الحرمان والجوع والعرى .. لا يقر الإسلام هذه الفوارق لما تجلبه من أحقاد وأضغان ، تحطم بنيان المجتمع الإسلامى ، وذلك لما فيها أثرة وأنانية وجشع ، وقسوة ، تنعكس على النفس البشرية آثارها فتؤذيها بل ربما تدمرها .. بل ربما تدفع المحتاجين دفعاً إلى السرقة والسلب والنهب ، وارتكاب الجرائم المؤثرة على أمن المجتمع الإسلامى وسلامته ، وإما أن تنعكس على الفرد نفسه فيؤدى به إلى الذل والمهانة . [٢]

الناس فى المجتمع الإسلامى منهم الغنى ، ومنهم الفقير ، وقد اعترف الإسلام بذلك وعالج قضية الفقر ، ومنعه أن يكون سبباً فى إذلال النفس المؤمنة ، فتتكون الطبقات التى تقطع الصلات الاجتماعية والعلاقات الانسانية ، " وتلقى بالحقد فى نفس الفقير ، ووراء الحقد التمرد على النظام بالسرقات والاختلاس والاغتصاب ، وقطع الطرق ، وقد يمتد الأمر إلى قلب النظام الاجتماعى كله رأساً على عقب " . [٣]

قال الله تعالى : " والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق " . [٤]

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) انظر : سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٣) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٤) قرآن كريم : سورة النحل ، جزء من الآية ٧١ .

إن التفاوت فى الرزق ملحوظ بين العباد ، ولهذا التفاوت والتفضيل أسبابه وعوامله الخاضعة لسنة الله تعالى وقوانينه فى خلقه ، إن التفاوت فى الرزق ظاهرة ملحوظة تابعة لاختلاف المواهب .. والناس مواهب وطاقات .. وقد تكون بسطة الرزق ابتلاء من الله ، كما قد يكون التضييق فى الرزق لحكمة ويحققها الابتلاء .. لكن هذا التفاوت لا يعنى الأفضلية ، ولا يعنى الخصوصية أو التميز . (١)

من أجل ذلك حث الإسلام على العمل وهيأ له الفرص ليمكن " كل ذى موهبة من الانتفاع بموهبته ، على قدر طاقته " (٢) انطلاقا من مفهوم إسلامى، فحواه أن الإسلام دين يحض على العمل ، ويرفض الكسل ، ويبغض الكسالى، ولا يقيم أهله على العطاء والهبات ، لأنه نظام يقوم على تيسير العمل والرزق لكل راغب فيه ، وقادر عليه ، وآخذ بأسبابه ، وبالتالى فإنه نظام يقوم على حسن توزيع الثروة بين أهله العاملين ، وذلك بإقامة هذا التوزيع على أسس من قيم الحق ، والعدل بين الجهد والجزاء .

إن من صور علاج الفقر فى المجتمع الإسلامى تسهيل أسباب الحياة الكريمة الراقية ، للعاجزين عن الكسب ، وإنه إذا كان قد مكن العامل من أجل أن يعمل ، ومكن كل ذى موهبة من أن تنكشف موهبته ، وتستثمر فإن هناك كبارا شيوخاً وعجائز أقعدهم ثقل المرض ، أو ثقل السنين من أن يعملوا .. وأن هناك نساءاً أضعفتهن أنوثتهن عن أن يخرجن إلى الحياة العملية عاملات ، كادحات ، وهناك يتامى فقدوا العائل الوحيد .. فكان حقا على

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٨٣ .

(٢) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٣٩ .

الإسلام – دين الرحمة والإنسانية الحقة – أن يرتب لهؤلاء أسباب الحياة الكريمة .. وقد فعل الإسلام هذا ولم يقصر . (١)

لقد دعا الإسلام كل قادر على العمل أن يعمل ، ويكد ويجتهد ، ولم يجعل هناك عزلة بين ممارسة العبادات ، والحياة الدنيا التى يحياها الإنسان ، أو بين العمل الشريف والاعتقاد الصحيح ، أو بين العقيدة السمحة والاجتماع البشرى ، إذ أن العمل الذى يرضى عنه الإسلام هو العمل الحلال ، " المباح، فإذا كان العمل منهياً عنه شرعاً ، فهو غير مشروع ولا مقبول " . (٢)

حث الإسلام على العمل ، ورغب فيه ، وإن الناظر المتعمق فى نصوص القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية المطهرة . يجد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، الكثيرة ، المرغبة فى العمل . والحاثة عليه . وفى الجانب الآخر ، يجد النهى عن البطالة ، والقعود دون عمل ، والسلبية فى المجتمع الإسلامى ، قال الله تعالى : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله " . (٣)

وقال رسول الله (ﷺ) : " ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده " " رواه البخارى " .

وقال (ﷺ): " لأن يغذوا أحدكم فيحتطب على ظهره، فيتصدق منه ، ويستغنى عن الناس ، خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه " . " متفق

---

(١) انظر :

(أ) الإمام محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(ب) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣١٦.

(٢) الدكتور عمر سليمان الأشقر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، الطبعة الثالثة ، الأردن ، عمان ، دار النفائس ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ص ٣٠٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة الجمعة . الآية ١٠ .

عليه " بل إن الرسول (ﷺ) ليبشر الذين يعملون ، ويجدون فى عملهم ، من أجل الاستغناء عن الناس ، وعدم التعرض للسؤال ، بشرهم بأن سعيهم هذا واسترزاقهم يعد جهاداً فى سبيل الله ، فقد مر رسول الله (ﷺ) برجل فرأى الصحابة من قوته ونشاطه، فقالوا : لو أن هذا فى سبيل الله ، فقال الرسول (ﷺ) : " إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان " .

التربية الإسلامية تربية واقعية، أى أنها تتعامل مع الإنسان ، كما هو، بتكوينه ، وصفاته ، وطموحاته وتطلعاته وأشواقه ، وماديـاته ، وهذه التربية، وإن كانت تهدف إلى إعداد الفرد ليكون عبداً لله تعالى وحده ، ليعمر الأرض، ويكون خليفة على منهج الله وشرعه ، إلا أن هذه التربية " لم تغفل الواقع فى كل ما أحلت وكل ما حرمت ، ولم تهمل هذا الواقع فى كل ما وضعت من أنظمة وقوانين للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والإنسانية". [1]

وللعبادات فى الإسلام دورها المهم فى مجال التربية الإسلامية ، إذ يحظى الجانب الاجتماعى بنصيب كبير ، وذلك لكون العبادات فى الإسلام – ومنها الزكاة – تربى الشخصية الإسلامية تربية اجتماعية صحيحة ، منطلقة من التصور الإسلامى ، للإنسان وعلاقاته الحميمة بالآخرين ، فى المجتمع ، وعلاقاته بنفسه وذويه ، وعلاقاته بالله تعالى – وهى محور ارتكاز الدائرة ، التى تنتظم حياة الإنسان جميعا بانتظامها ، وتفسد حياته بفسادها .

---

(١) دكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

ومعنى ذلك أن العبادات بصورة عامة والزكاة على وجه الخصـوص ، لا يعدها الإسلام ، " مجرد إقامة الشعائر ، وإنما هى الحياة كلــها ، خاضعـة لشريعة الله ، متوجهة بكل نشاط فيها إلى الله ، ومن ثـم يعد كـل خدمـة اجتماعية ، وكل عمل من أعمال الخير فيه ، عبادة " . (١)

تعرضت سورة البقرة لإقامة قواعد النظام الاقتصادى ، والاجتمـاعى ، الذى يقوم عليه المجتمع الإسلامى ، وتنتظم بها حياة الجماعـة المسـلمة ، وهذا النظام هو نظام التكافل والتعاون ، الممثـل فـى الزكـاة المفروضـة ، والصدقات المتروكة للتطوع بحسب كرم الكرماء وجود الجيديـن ، وسـخاء نفس المتصدقين . (٢)

قال تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم فى سـبيل الله كمثـل حبـة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " . (٣)

يبدأ دستور الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى التصور الإسـلامى ، " بالحض والتأليف ، لا بالفرض والتكليف ، فيعرض القرآن الكريم صورة مـن صور الحياة الإسلامية النابضة المعطية ، إنها هبة الله تعالى ، المتمثـل فـى الزرع ، ذلك المظهر الذى يدل على عظمة الله وعطائه ، وذلك المنظر الـذى يدل على حب الله لعباده ، إن العود الواحد يحمل سبع سنابل ، فى كل سـنبلة من السنبلات السبع مائة حبة ، إن الله يضاعفها ويزيدها بقدرتـه الطليقـة ، ولحكمته البليغة ، كما يضاعف الحسنات والثواب للمنفقين طاعة له ، فتكـون المحصلة أكثر من سبعمائة حسنة للثواب الواحد .. وفى هذه الصورة الجميلة

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣٠٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية رقم ٢١٦ .

الخلابة ، وهذا المثال القرآنى الجميل استثارة للمشاعر الإنسانية الفياضة ، كى تنبعث عن رغبة ورضا ونقاء ، فتتجه إلى الله راغبة ، طيعة ، فتكون النتيجة سلوك خير متمثل فى العطاء فى سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وطمعا فيما أعده للمنفقين المحسنين .

إن المجتمع الإسلامى مجتمع متراحم ، موثوق الصلة إلى شريعة سماوية محكمة الأصول والفروع ، من شأنها أن تضبط تصورات وسلوكيات المسلم ، ولاشك أن صفة التراحم ، فى المجتمع الإسلامى – " تصنيع التلاحم الشديد بين أفراد المجتمع الربانى ، وتوجد فى قلوبهم الحب والبذل والتعاون، يحرصون جميعا على توفير المناخ الملائم ليجنوا ثمارها الطيبة دائماً بلا انقطاع " . (١)

هكذا يستثير القرآن الكريم النفوس المؤمنة للبذل والعطاء ، ثقة فيما عند الله تعالى ، ولاشك أن المثل القرآنى المضروب يمثل واقعا ملموساً بين الناس ، ومشاهداً بالتجربة الحية ، حبة تنبت سبع سنابل ، فى كل سنبلة من السنابل السبع ، مائة حبة ، فأى عطاء هذا الذى يعطيه رب العباد للعباد ، وأى كرم يمن به الكريم الجواد على عباده ، إن الله " واسع عليم " لا يضيق عطاؤه ، ولا يكف ولا يجف ولا يغيض ولا ينضب .. إنه عليم يعلم النوايا الحسنة ويثيب عليها ، ولا تخفى عليه خافية ، ولكن أى انفاق هذا الذى ينمو ويربو بهذه الصورة ؟ وأى عطاء هذا الذى يضاعفه الله فى الدنيا والآخرة لمن يشاء من عباده .. إنه الإنفاق الدال على سماحة النفس وجودها وكرمها، الذى يرفع المشاعر الإنسانية ولا يشوبها ، هذا الإنفاق الذى لا يؤذى كرامة ،

---

(١) محمد إبراهيم شقرة : المجتمع الربانى ، الطبعة الثانية ، عمان ، الأردن ، المكتبة الإسلامية ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٢٢ .

ولا يخدش حياء ، ولا يخرج شعورا ، الإنفاق الذى ينبعث عن أريحية ، ونقاء ويتجه إلى الله وحده ابتغاء مرضاته . [١]

قال تعالى : " الذين ينفقون أموالهم فـــى ســبيل الله ثـــم لا يتبعــون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عنـــد ربـــهم ولا خــوف عليــهم ولا هــم يحزنون ."[٢]

إن المتأمل فى عبادات الإسلام – والزكاة على وجـــه الخصــوص – يجدها كلها " إلى جانب فضائلها الإيمانية ، جماعية ، اجتماعية ، فـــى نفــس الوقت ، فهى جماعية لأن بركتها لا تتم على أحســـن صورهـــا إلا إذا أديــت جماعة " . [٣]

ونلاحظ فى الآية السابقة أن الإسلام لم يرد بالإنفاق سد خلة أو قضاء حاجة ، وإنما أراد بالإنفاق تربية النفوس المؤمنة (فقيرها وغنيها) وتهذيبها وتطهيرها وتزكيتها فأراد لنفس المزكى (المنفق) أن يربيه التربية الاجتماعية (الإسلامية) كى ترتبط بالفقير (الآخذ) وأراد أن يربى المنفق على تذكر نعـــم الله عليه ، فيعطى من مال الله الذى استخلفه عليه ، يعطى لإخوانه الفقـــراء المحتاجين ، دون (من أو أذى) يعطى عن طيب خاطر ، يعطى بحب وســخاء نفس . لقد أراد الإسلام بالإنفاق ترضيه نفس المتلقى فيقول له إن ما تـــأخذه من مال أخيك الغنى ، لا يعد (منة) أو هبة ، أو تفضلا منه عليك ، ولكنه حقك المعلوم فى ماله ، الذى حدده الله لك ، وفرضه الله عليه ، وينبغى أن يؤديـــه إليك ، فلا منة للغنى ولا ذلة للفقير ، وهنا يكون الدرس التربوى أن المســـلم

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثانى ، ص ٣٠٦ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٢ .

(٣) دكتور حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ١١١ .

أخو المسلم . وأن المؤمنين أخوة .. ولقد أراد الله بالإنفاق توثيق الصلة بين طرفى الفريضة (المزكى والآخذ) أو (الغنى والفقير) وذلك تطيباً للنفوس وعلاجاً لها .. كى يعيشوا معاً متحابين فى مجتمع الحب والسلام .

ولقد تكررت الدعوة إلى الإنفاق فى سورة البقرة فى غير آية ، ومن خلال السياق القرآنى يستشف الدستور الأخلاقى الإسلامى الذى وضع القرآن الكريم ، من خلال الإنفاق (سواء زكاة مفروضة ، أو صدقة) إذ يبين آدابها النفسية والاجتماعية ، هذه الآداب ، وتلك القواعد الأخلاقية التى تحول الإنفاق إلى عمل تربوى وسلوك تهذيبى لنفس المتصدق ، وفى نفس الوقت إلى عمل نافع ومربح لآخذها ، وكيف يتحول المجتمع الإسلامى عن طريق هذا الإنفاق إلى أسرة واحدة يسودها التعاون ويرفرف على سمائها التراحم والمودة ، فترتفع الإنسانية إلى المستوى الأعلى يصير فيه المعطى والآخذ شركاء فى القدر ، لأنهم أخوة فى الدين وقد جعلهم هذا الدين على درجة سواء . (١)

المال فى التصور الإسلامى مال الله ، والإنسان مستخلف على هذا المال ، والمالك لهذا المال على الحقيقة هو الله ، وكل الناس فقراء إليه سبحانه وتعالى .. وإذا كان المال هو مال الله ، فإن الغنى من البشر مستخلف عليه وأمين على ما وهبه الله ، ينفقه بحقه ، وكما علمه صاحب المال ومليكه .

إذا كان للمسلم ملكية خاصة ، منحها الله إياه ، فلا يجوز الاعتداء عليها . " إلا أن الشارع يجعل مال الأفراد وجزءاً من مال الأمة ، لا يسمح لهم بالتصرف فيه ، تصرفا يضرهم ويضر الأمة معهم ، وإذا كان الإسلام " أباح الملكية الخاصة للأفراد " فقد أوجب حقوقا على الذين يملكون فلأبنائهم

(١) انظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣٠٤ .

وآبائهم وأزواجهن عليهم حق ، وللفقراء والمساكين عليهم حق ، وقد شرع الإسلام فى سبيل ذلك الزكاة " . (١)

إن الكلمة الطيبة التى تلى صدقة المتصدقين والتى لا يتبعها أذى ، أو منا ، هى كلمة تعالج النفس الإنسانية ، فتضمد جراحها ، وتملؤها بشاشة ورضا وتغسل أدرانها ، وصدأها ، لأن هذه الكلمة الطيبة صدقة .. والصدقة ليست منحة من المعطى (المتصدق) وليست تفضلا من المانحين على الآخذين .. وإذا كانت الزكاة فريضة محددة ، قدرها الله تعالى ، فقد ترك الصدقات دون أن يحددها ، ليترك ساحة وفرصة لتنافس أصحاب النفوس المؤمنة فى عمل الخيرات وفى المسارعة إلى البر والصدقات .

يمتدح الله تعالى المؤمنين الذين ينفقون فى سبيله من ماله الذى أعطاهم إياه ، ثم لا يتبعون هذا العطاء ، بالمن والأذى ، إن لسان حالهم أنهم منفذون لأوامر الله وتشريعاته فيما وهبهم من أموال، فلا يمنون على أحد ، بالقول أو بالفعل ، إنهم لا يفعلون مع من أحسنوا إليهم مكروها ، يحيطون به ما سلف من الإحسان ، وهؤلاء المؤمنون المنفقون ، يحسنون الظن بالله ، وهم متيقنون أن ثوابهم على الله ولا وحده ، سواء فى الدنيا ، أو فى الآخرة، ولذلك " لا خوف عليهم " أى فيما يستقبلونه من أهوال القيامة ، " ولا هم يحزنون " أى أن هؤلاء لا يحزنون على ما خلفوه من الأولاد ولا يحزنون على ما فاتهم من الحياة الدنيا ، ومتاعها ، وزهرتها ، وزخرفها وزينتها ، إنهم لا يأسفون عليها ، ولا على شئ من متاعها الزائل ، لأنهم صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك كله . (٢)

إن الباحث المدقق فى مقارنة الأديان يخرج من خلال دراسته وبحثه بنتيجة مؤداها أن الإسلام هو الدين السماوى الوحيد من بين الأديان السماوية

---

(١) دكتور عمر سليمان الأشقر: مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٥ .

جميعا الذى انفرد بعبادة الزكاة " ، وإذا كانت الصلاة والصيام والحج ، باعتبارها عبادات ، توجد فى كثير من ديانات البشر ، فإن الزكاة بمعناها ، ومغزاها لا توجد إلا فى الديانة الإسلامية .. إن المسلم حين يزكى أو يتصدق، إنه فى الظاهر يعطى أخاه ، لكنه فى الحقيقة يعطى الله ، أى أن عطيته تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل ، والله تعالى بفضله وكرمه يرد هذا الإنفاق على جماعة المسلمين .. وفى ذلك من التكريم والرفعة للمسلم المنفق ولجماعة المسلمين فوق ما يستحق البشر (١)

يقول الله تعالى : " فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . إن تقرضوا الله قرضا حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حكيم " . (٢)

إن الله تعالى يهيب بعباده أن ينفقوا خيراً ، فهم ينفقون لأنفسهم ، وهو سبحانه يأمرهم أن ينفقوا الخير لأنفسهم ، فيجعل ما ينفقونه كأنه نفقة مباشرة لزكاتهم ويعدها الخير لهم حين يفعلون .. إن شح النفس البشرية بلاء ملازم للإنسان ، وإن السعيد حقا هو من يتخلص من هذا الشح ويوقاه ، وإن الوقاية منه فضل من الله على الإنسان . (٣)

يعلم الله – بعلمه القديم – أن الإنسان شحيح بماله مع أن المال ليس ماله على الحقيقة وإنما هو مال الله ، وهو سبحانه يستخلف بعض عباده فيه ، ولما كانت غريزة حب التملك فى الإنسان تجعله شحيحا بما يملك ضنينا به على الآخرين ، فقد شرع الله تعالى فريضة الزكاة ليربى بها عباده على الطاعة لله ، والبذل لله ، والانفاق لله ، والعطاء لله إنه سبحانه وتعالى " يأمرنا بعد ذلك بأن ننفق من مالنا فى سبيل الخير ، ويقول إن هذا الإنفاق

---

(١) دكتور حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ١٠٣ .
(٢) قرآن كريم : سورة التغابن ، الآيتان ١٦ ، ١٧ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٥٩١ .

ليس إحسانا على الآخرين ، بل هو إحسان لأنفسنا ، لأننا فى الحقيقة لا نعطى الآخرين ، بل نقرض الله جل جلاله، لأن المال الذى سنعطيه ليس مالا ضائعاً، بل هو قرض يرده الله علينا بأحسن مما أعطينا ، فهو يضاعفه لنا ويتفضل علينا بمعرفته ، والمغفرة فى ذاتها خير لا يقدر ، ولا يكتفى الله بمضاعفة القرض والمغفرة ، بل هو يشكرنا على ذلك ، لأن الله رفيع قدره شكور حليم " [1] والله سبحانه وتعالى عندما يشكر عباده المحسنين ، فإنه يربيهم على قيمة الشكر ، وهو الاعتراف بالنعم لصاحبها ورد الفضل لمستحقه ، وهذا الشكر هو من أعظم القيم الإسلامية والفضائل العليا .

إن العدالة الاجتماعية فى المجتمع الإسلامى لابد أن تنبثق من تصور اعتقادى شامل ، يرد الأمر كله لله ، ويقبل عن رضى وعن طواعية ما يقضى الله به من عدالة التوزيع ، ومن تكافل الجميع ، ويستقر معه فى قلب الآخذ (الفقير* والمأخوذ منه (الغنى) سواء أنه ينفذ نظاما قويا ، لم يشرعه بشر ، وإنما شرعه الله خالق البشر ، وإن المؤمن ليرجو من الله تعالى على الطاعة فيه الخير والحسنى فى الدنيا والآخرة على السواء ، إذ أن منهج الدنيا ، هو نفسه منهج الآخرة – فى التصور الإسلامى – فلا تمتلئ قلوب بالطمع ، ولا تمتلئ قلوب أخرى بالحقد ، ولا تسير الأمور كلها بالسيف والعصا وبالتخويف والتهديد والرعب والإرهاب ، ولا تفسد القلوب كلها وتختنق الأرواح ، كما يقع فى الأوضاع التى تقوم على غير " لا إله إلا الله " [2]

إن الزكاة فى الإسلام تربى المؤمن التربية الإسلامية الصحيحة ، حيث لا يكون عطاء إلا لله تعالى ، وإذا كان العطاء والنفقة والبذل والزكاة لله ، فلا ينبغى أن يصاحبها (مَنٌ) ولا (أذى) لأن الصدقة تبطل بما يتبعها من

---

(١) دكتور حسين مؤنس : مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

(٢) سيد قطب : معالم فى الطريق ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(المن) و (الأذى) كما تبطل الصدقة بالرياء وطلب السمعة ، ومدح النـــاس للمنفق ، وطلب الشهرة بالصفات الجميلة والأخلاق النبيلـــة ، ولذلــك فــإن الإسلام يربى المؤمن على الالتزام بمنهجه القويم الذى يؤكــد أن العطــاء لا يكون إلا لله لأنه صاحب الفضل والعطاء – على الحقيقة – ولذلك فإن الــذى ينفق رئاء الناس ، وطلباً للسمعة أو الشهرة والمــدح ، لا يستشــعر نــداوة الإيمان وبشاشته ، لأنه صاحب قلب مغشى بالرياء ، قلب صلد ، وكأنما هــو حجر ، لا خصب فيه ، ولا ليونة ، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادتـــه عــن العيون ، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالى من الإيمان . [1]

قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقـــاتكم بـــالمن والأذى كالذى ينفق رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يــهدى القوم الكافرين " [2]

يخبرنا الله تعالى أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المــن والأذى .. أى أن هذا النداء القرآنى الموجه للمحسنين من المؤمنيـــن ، يربيــهم التربيـــة الإسلامية الخيرة ، التربية القرآنية ، فيقول لهم : لا تبطلوا صدقاتكم بـــالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريــد وجــه الله بصدقته ، وفى الحقيقة أنه يريد غير ذلك ، إنه يريد المدح والثناء والإطــراء وأن يصفه الناس بالصفات الجميلة ، ليشكر بين الناس ، أو يقال إنه كريــم ، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغـــاء مرضاته وجزيل ثوابه . [3]

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣٠٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٦ .

ثانيا : الزكاة والقيم الاجتماعية

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية قيمه ومبادئه ، وعاداته وتقاليده، وثقافته ، وهى لا شك تمثل جزءا مهما من تراثه ، بل وتصير حركة المجتمع متأثرة بها سلبا وإيجابا ، وما من شك أن قيم كل مجتمع هى بمثابة معاييره ، وضوابطه ، التى يربى عليها صغاره وينشئهم وفقها .

وللمجتمع الإسلامى قيمه الخاصة به والمعبرة عنه ، والنابعة من أصوله الإسلامية الموصولة بالشريعة الإسلامية المحكمة الأصول والفروع ، والتى تهدف إلى ضبط سلوك الشخصية المسلمة ، وتحدد تصوراتها عن فكرة الألوهية والكون ، والمجتمع والإنسان .

المجتمع الإسلامى مجتمع قيم نبيلة . ومثل عليا ، هذه القيم تمثل منظومة مترابطة ، بأيها تقتدى تهتدى . لا تشذ قيمة واحدة عن بقية المنظومة ، ولا تقل قيمة عن القيم الأخرى . وإن جميع هذه القيم من تراحم وتعاطف ، وتواد وإحسان وإيثار وبر وتعاون وانتماء ، وغيرها تنبع من معين واحد هو معين " لا إله إلا الله " وتلتقى كلها حول قيمة التوحيد .

هذا المجتمع الإسلامى المتراحم ، المتحاب ، يمثل الجسد الواحد ، الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وهذه القيم الإسلامية تظهر من خلال العبادات الإسلامية التى افترضها الله على عباده . ومنها فريضة الزكاة التى تتضمن مجموعة من القيم الاجتماعية ، " تلك القيم التى تساعد الإنسان على وعى وإدراك وضبط وجوده الاجتماعى ، بحيث يكون أكثر فاعلية ،وهى تضبط حاجة الإنسان للارتباط بغيره من الأفراد، ليستطيع أداء دوره الاجتماعى بحيوية وفاعلية [1]

---

(١) الدكتور أحمد الشرباصى : موسوعة أخلاق القرآن ، المجلد الأول ، الجزء الأول والثانى) ، بيروت ، لبنان ، دار الرائد العربى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨١م ، ص ١٢٦ .

ويمكن تناول بعض هذه القيم الاجتماعية المرتبطة بالزكاة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيما يلى كالآتى :-

(١) قيمة الرحمة :-

الرحمة صفة من صفات الله عز وجل ، فهو الرحمن الرحيم ، وقد اختص الله سبحانه وتعالى أهل الإحسان بقرب الرحمة منهم ، لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين ، وإحسانه تعالى يكون لأهل الإحسان ، لأن الجزاء من جنس العمل ، فكما أنهم أحسنوا أعمالهم ، وأحسنوا بأعمالهم ، فكذلك أحسن الله إليهم برحمته بهم . [١]

لقد وسعت رحمة الله تعالى كل مخلوقاته ، قال تعالى : " ورحمتى وسعت كل شئ فاكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون " .[٢] هذه رحمة ينالها من يستحقها وبذلك تجرى مشيئة الله ، وهذه المشيئة تجرى بقدر وبحكمة ، ولا تجرى مصادفة أو جزافاً .. إنها رحمة بالمتقين الذين استجابوا لله فأدوا زكاتهم عن رضا وقناعة وطيب خاطر ، ليس كرها أو تكلفا ، إن هؤلاء هم المؤمنون بآيات الله .

لقد أوجب الله تعالى رحمته الواسعة الدالة على طلاقة قدرته - للمؤمنين الذين يتقونه ، أوجبها لهم إحسانا منه إليهم ، وجعلها لكل من يتصف بهذه الصفات وهم أمة محمد (ﷺ) ، وأتباعه ، الذين اتقوا الشرك وعظائم الذنوب ، وآتوا زكاة أموالهم بغية تطهير هذا المال وتنقيته وتزكيته وتحصينه ونمائه .. [٣]

---

(١) الدكتور أحمد الشرباصى : مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

(٢) قرآن كريم : سورة الأعراف ، جزء من الآية ١٥٦ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ٢٦١ .

الرحمة قيمة من القيم الإسلامية الأصيلة ، وهى " نفحة تـــهب مـــن أعماق النفس (الربانية) فتشع حولها بردا وسلاما ، والتراحم نفخـــة ربانيـــة أخرى ، تشع من كل مكان فى المجتمع المهتدى ، لتنشر فى كل مكان حولـــها البرد والسلام ولتغمر – بالبرد والسلام أيضا – كل إنسان يعيـــش فـــى هـــذا المجتمع " . (١)

تنبع الرحمة من ذات المسلم ، ولا تأتيه من خارجه ، فلا يكون رحيما بغيره إلا إذا كان رحيما بنفسه أولا ، ولا يعنى هذا " أن يكون أنانيا ، يـــدور نشاطه حول ذاته ، فليس هذا رحمة بالنفس ، بقدر ما هو قســـوة عليـــها ، تماما كما أن الرحمة بالآخرين لا تعنى العطف عليهم ، وتوفير سبل الرحمـــة بهم ، وإنما هى قد تعنى زجرهم وكف أيديهم " . (٢)

فحين يعطى الغنى الفقير ، فإنما يعطيه اتقاء شره ، واتقاء حســـده ، والحسد نار تحرق ما حولها ، إنه حين يعطى ، لا يعطيه رحمة بهذا الفقـــير فحسب ، بل يعطيه رحمة بنفسه فى الوقت ذاته ، " إنه بإعطائه إنما يضمـــن أمنه لأن هذا الفقير ، إن لم يأكل فقد يتجه إلى " الجريمة " لسد حاجات بطنـــه وسيكون الغنى هو المهدد فى هذه الحالة ، لأنه هو الذى يملك " وسيلة " ســـد هذه الحاجات " . (٣)

إن المجتمع الإسلامى ، هو المجتمع الربانى ،المتراحم ، هو مجتمـــع التكافل والتعاطف لأن منهجه هو المنهج الأقوم الذى جاء به خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين – محمد – (ﷺ) الذى قال فى هذا الصدد :" مثل المؤمنين فـــى

---

(١) ، (٢) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى ، مرجع ســـابق ، ص١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . [١]

إن من رحمة الله بعباده المؤمنين أن شرع لهم الزكاة ، وجعلها ركنا من أركان الدين ، كما رغب فى الصدقات ، وجعل الانفاق علاجاً نفسياً يتطهر به الغنى من البخل ، والشح ، والاستعلاء والأنانية ، كما يتطهر به الفقير أيضا من الحقد والحسد ، وشرور النفس وأمراضها .

لقد جعل الله الزكاة وسيلة للتعاطف والتراحم بين المسلمين ، لأنهم جميعا إخوة فى الدين ، قال تعالى : " إنما المؤمنون إخوة " . [٢] فقد حث القرآن الكريم المسلمين على التآخى والمناصرة ، والتعاون بالنفس والمال ، فإذا شعر المؤمن بأخيه المؤمن ، وأن الرباط الذى يربط بينهما هو رباط العقيدة الإسلامية السمحة ، الذى هو أقوى رباط ، انتهى الأمر بهم إلى أن يصيروا بنيانا واحداً وجسداً واحداً ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء ، ومن هنا صار المجتمع الإسلامى قوة وصار كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

إن ما أراده الرسول (ﷺ) هو أن " تتغلغل الرحمة فى الكيان الإنسانى كله حتى تصبح وكأنها من فطرته ، وطبيعته ، فيكون الإنسان ، وكأنه قبس من الرحمة الإلهية ينثرها إذا سار ، ويثيرها أينما كان، وينثرها حينما حل ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإنه يكون قد حقق الطابع العام للرسالة الإسلامية ، واستحق أن يغمره الله تعالى برحمته " . [٣]

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، مرجع سابق ، الحديث رقم ١٧٧٤ ، ص ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) قرآن كريم : سورة الحجرات ، جزء من الآية ١٠ .

(٣) دكتور عبد الحليم محمود : منهج الإصلاح الإسلامى فى المجتمع ، القاهرة ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م ، ص ١٦٢ .

لقد كان الإخاء بين المسلمين – المهاجرين والأنصار – يمثل تجربة فريدة رائدة وسط الأجواء المادية آنذاك ، وقد اتخذ رسول الله (ﷺ) هذه القيم الإسلامية النبيلة وسلة لتأليف النفوس المؤمنة ، من أجل هدف أسمى وأنبل وهو تأسيس المجتمع الإسلامى المثالى – الذى تحقق بالفعل على أرض الواقع – الذى ساده الحب ورفرف على سمائه أجنحة السلام .

التراحم سمة المجتمع الإسلامى ، هذا التراحم من الرحمة الموجودة بين أفراد هذا المجتمع ؛ هذا التراحم هو " الثمرة الطبيعية لربانية هذا المجتمع ، ولإنسانيته ، ونظافته ، وفرق كبير بين هذا التراحم ، وبين ذلك الذى نراه فى المجتمعات الأخرى ، رحمة فى ظاهرها ، ولكنها فى حقيقتها قسوة ظاهرة ، بما تزرعه فى نفس الآخذ من إحساس بالاحتقار والمهانة ، ومن ثم لا يكون نتيجة العطاء شكرا ، بل حقدا " . (١)

وما يمكن أن نراه ، ونلاحظه، أو نقرأ عنه ، أو نسمع به من سرقات منظمة، ومن عنف مخطط له ، ومن قسوة وغلظة وارهاب ، وعنف ، يمارسه الأغنياء ضد الفقراء أو العكس ، أو الأقوياء ضد الضعفاء ، لهو أكبر دليل على أن الرحمة المزعومة بينهم والتى يدعونها ، ويتشدقون بها هى رحمة فى ظاهرها ، أما بطانها ففيه العذاب .

إن التراحم الذى يوجد فى المجتمع الإسلامى ، تراحم ينطلق من قاعدة إيمانية ، ومن تصورات إسلامية صحيحة ، تتفق مع الفطرة الإنسانية النقية ، هو تراحم يسلك المسلك الطبيعى ، المسلك المنطقى المتسلسل " فيبدأ رحمة بالنفس ، ثم ينمو متجها إلى الغير ، والأقرب ، فالأبعد ، حتى يشمل الإنسانية كلها " أما التراحم فى النظم الأخرى غير الإسلامية – إن وجد – فإنه " يبدأ

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى ، مرجع سابق، ص ١٢٧.

رحمة بالنفس ، ولكن الرحمة بالنفس فى الإسلام تنمو تراحما وحبا ، بينما - الرحمة - فى النظم الأخرى - تتحول إلى أنانية وإلى جشع وحقد أسود".[١]

اعتبر الإسلام أن قيمة الرحمة بين المسلمين ، والمودة بينهم ، والإخاء ، والتعاطف والتعاون بينهم هو الأساس الذى تقوم عليه العلاقات الإنسانية فى المجتمع الإسلامى ، ومعنى هذا أن الرحمة فى المجتمع الإسلامى بمثابة " قانون شامل لكل العلاقات ولقد اعتبرها الصلة التى تربط كل من على هذه الأرض من بنى الإنسان " . [٢]

إن رحمة تعالى بعباده التى وعد بها ، ليست عملية جزافية ، ولكنها مقننة بقوانين إلهية ، قال تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون " [٣] هذه شروط الرحمة ، وهذه أسبابها ، وعدتها ، وهذه هى العدة ، الاتصال بالله تعالى دوما وعلى كل حال ، وتقويم القلب بإقامة الصلاة ، وقامة تكون ثمرتها الحقيقية الخشوع والخضوع لله ، والسير على منهاجه وفق شرعه ، فى كل أحوال المسلم ، وإيتاء الزكاة تنفيذا لأمر الله تعالى ، وطلبا لصلاح النفس وتطهيرها ، والاستعلاء بها عن الشح والبخل والتقتير ، ورغبة فيما عند الله من الخير الذى أعده لعباده .

إن إيتاء الزكاة بهدف إصلاح المجتمع الإسلامى ، طاعة الله تعالى ، وتنفيذا لشرعه القويم ، وامتثالا واقتداء برسول الله (ﷺ) ، الذى طبق هذا الشرع تطبيقا عمليا على أرض الواقع الفعلى ، تحقيقا للمنهج الإسلامى الذى أراده الله تعالى لعباده على الأرض .

من أراد الدخول فى رحمة الله تعالى ، فلينفذ ما اشترطه تعالى حتى يكون أهلا للدخول وللانضواء تحت لواء رحمة الله الواسعة التى وعد بها ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٢) الإمام محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٣) قرآن كريم : سورة النور ، الآية ٥٦ .

فإذا استقام المؤمن على منهج الله تعالى ، واتبع سبيله ، كان حقا على الله أن يدخله فى رحمته ، ومن دخل رحمة الله تعالى فلا بأس عليه من قوة أى مخلوق كائنا ما كان . إنه لا تستطيع جميع القوى المخلوقة أن تقف فى وجه قوة الخالق سبحانه وتعالى .

إن المؤمن لا يكون قوياً عزيزاً إلا إذا استمد قوته وعزته من الله تعالى متمثلاً فى إيمانه والتزامه بمنهجه وسيراً على ما سارت عليه الأمة الإسلامية من قبل ، ولا يكون المؤمن قوياً وعزيزاً إلا التزم بمنهج الإسلام وحكمه فى كل أمور حياته ، وإذا فعل هذا كان النصر حليفة والنجاح رفيقه .

إنه ما من مرة سارت الأمة الإسلامية على منهج الله وحكمته دستوراً وقانوناً فى كل حياتها الخاصة والعامة ، إلا وكانت النتيجة النهائية لصالحها، والنصر حليفها ، وتحقق وعد الله لها بالاستخلاف، والتمكين فى الأرض ، والعزة على كل من يريد استذلالها وما من مرة خالفت الأمة منهج الله ، وسارت على منهج غيره ، إلا وتخلفت ، وصارت ذليلة ، بل كانت تابعة لغيرها ، وجاءت فى ذيل القافلة ، وهيمنت عليها أمم غيرها واستبد بها الخوف ، وتخطفها الأعداء . ومن هنا نخرج بالنتيجة الحتمية .. ومؤداها من أراد العزة فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ومن أراد الرحمة ، فليقم شروطها الواجبة . (١)

تمثلت الرحمة فى المجتمع الإسلامى فى الزكاة ، فشملتها من جميع جوانبها ، هكذا :-

(١) تمثلت الرحمة فى المدة التى تجب الزكاة بعدها .

(٢) تمثلت الرحمة فى المال الذى تخرج منه الزكاة .

---

(١) انظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع . ص ٢٥٣٠ .

(٣) تمثلت الرحمة فى القدر المخرج من الزكاة . [١]

فمن رحمة الله تعالى بعباده المسلمين أن شرع الزكاة ، ومن شروط إخراجها أن يحول الحول على المال الذى يجب إخراج الزكاة عنه .. وبذلك لا تعد فريضة ملزمة على صاحب المال قبل أن يحول الحول ، فهى ليست فريضة يومية أو شهرية أو نصف سنوية ، إذ لو كانت الزكاة فريضة يومية كفريضة الصلاة مثلاً ، لكان فى ذلك بعض المشقة والحرج ، خاصة على أصحاب الأموال الكثيرة ، فإن تكليفهم بزكاة أموالهم على هذا النحو يكون مشقة كبيرة ، وهنا تظهر رحمة الله بهم فى المدة المسموح بها حتى تكون الزكاة واجبة الأداء . [٢]

أوجب الله تعالى الزكاة على المسلم القادر ، بشرط أن يحول الحول القمرى على أول يوم تملك الإنسان فيه نصاباً ، وحال الحول ، ولم ينعدم النصاب ، ولم يكن فى نهاية الحول أقل منه ، فإذا ما توفرت شروط الوجوب هذه ، فقد وجب على المسلم الزكاة المفروضة عليه ، والتى قدرها " الشارع الحكيم " إلى المستحقين ، الذين حددهم الشارع فى قوله تعالى : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " . [٣]

لقد عدد الله أصناف المستحقين للزكاة وهم : -

أولاً : الفقراء : وهم من لديهم قليل من المال لا يكفى لكل حاجاتهم ، وقيل : من لا يملكون قوت يوم وليلة .

---

(١) موسى بن عبده بن محمد العسيرى : ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٣) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

ثانيا : المساكين : هم الأشد حاجة من الفقراء .

ثالثا : العاملون عليها : هم الذين يعملون فى جمع الزكاة من أربابها ويوزعونها على مستحقيها .

رابعاً : المؤلفة قلوبهم : هم قوم يعطون من الزكاة تأليفا لقلوبهم أو قلوب دويهم ، أو تمكينا للإسلام فى قلوبهم .

خامساً : وفى الرقاب : الأسرى ، أو الأرقام .

سادساً : الغارمون : هم الذين استغرق الدين ثرواتهم ولا وفاء عندهم .

سابعاً : ابن السبيل : هو المسافر الذى انقطع عن وطنه ولا يجد ما يوصله .

ثامناً : وفى سبيل الله : كل ما يعم مصالح المسلمين . (١)

من صور الرحمة المتمثلة فى الزكاة أنها لا تجب فى الثمار إلا مرة واحدة " وهذا من تشوق الإسلام للرحمة بعباد الله ، والتيسير عليهم ، بعدم فرض الزكاة فى هذه الأموال غير النامية إلا مرة واحدة " . (٢)

من صور الرحمة أيضا أن الزكاة لا تؤخذ من الأموال غير النامية ، فلا تؤخذ من الدور المعدة لسكنى صاحبها ، ولا تؤخذ من أثاث المنازل ، أو الكتب التى يستعملها ، ولا يتجر فيها ، ولا تؤخذ من الأموال المعدة للانتفاع الشخصى لمالكها لأنها لا تعد نامية . (١) لقول رسول الله (ﷺ) : " ليس على المسلم فى عبده ولا فى فرسه صدقة " (٢)

---

(١) أنظر : ١- دكتور يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٥ : ٢٥٣ .

٢- عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ص ٣٥١ : ٣٥٤ .

٣- سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٣ : ١٥٤ .

٤- د. عبد الله شحاته : فقه العبادات ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ : ١٤٨ .

(٢) موسى بن عبده بن محمد العسيرى : مرجع سابق ، ص ٢٠٥ .

أى أن كل ما هو للانتفاع الشخصى لا يكونناميا لا بالقوة ولا بالفعل. ولا تؤخذ عنه زكاة . (٣)

إن الزكاة من الحقوق والعبادات المالية ، " ولا تجب فى المـال إلا إذا كان بالغا نصابا ، والنصاب هو المقدار الشرعى الذى حدده الشارع كحد أدنـى للغنى الذى تجب فيه الزكاة ، وتختلف باختلاف الأموال ، فأدنى نصاب الإبـل خمس ، وأدنى نصاب للغنم أربعون " . (٤)

تتمثل الرحمة باعتبارها قيمة إسلامية فى الأموال التى تجـب فيـها الزكاة ، فى أن من ملك نصابا من هذه الأجناس التى تجب فيها الزكاة ، لكـن عليه ديونا أو نحوها من الالتزامات المالية التى تشغل ذمته ؛ فإنه فى هـذه الحالة لا يكلف بإخراج الزكاة ، بل الواجب عليـه أولا أن يفـى بالتزاماتـه المالية. (٥) ومعنى هذا أنه يجب أن يكون النصاب زائدا عن حوائج المزكـى الأصلية ، من تكاليف وسكن ، ومطعم ومشرب وملبس ومركب ، وكتب علـم يحتاج إليها ، ونحو ذلك ، مع الوضع فى الاعتبار قضاء ما عليه من ديـون ، لقول رسول الله (ﷺ) : " لا صدقة إلا عن ظهر غنى ، ومن تصدق وهـو

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

(٢) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الألبانى (باب لا زكاة على مسلم فى عبده ولا فرسه) الحديث رقم ٥٠٤ ، ص ١٣٧ .
أنظر : محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجـزء الأول – الحديث رقم ٧٢٦ ، ص ٣٤٦ .

(٣) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٤) سعيد حوى : الإسلام (أربعة أجزاء معا) الجزء الثالث ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

(٥) موسى بن عبده بن محمد العسيرى : مرجع سابق ، ص ٢٠٦ .

محتاج أو أهله محتاج ، أو عليه دين ، فالدين أحق أن يقضى من الصدقـــة ، والعتق والهبة ، وهو رد عليه ن ليس له أن يتلف أموال الناس " .(١)

من صور الرحمة أيضا أن الزكاة لا تجـب فـى الأصنـاف الأربعـة (الزروع والثمار ، والمواشى والذهب والفضة ، وعروض التجارة) بمجـرد وجودها فى بيت المزكى ، بل لابد من أن يبلغ الموجود من كل صنف نصاباً ، وذلك لما أخرجه مسلم ، من حديث أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه) ، عن النبـى (ﷺ) قال ، " ليس فيما دون خمسة أوسق* صدقة " ، وفى رواية أخرى : " ليس فى حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق ، ولا فيما دون خمـس ذود* صدقة ولا فيما دون خمس أواق صدقة " (٢)

وفى رواية أخرى ، قال رسول الله (ﷺ) : " ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود صدقة ، وليس فيمـا دون خمـس أوسق صدقة ".(٣)

---

(١) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصـر صحيـح الإمـام البخـارى ، الجـزء الأول ، (كتاب الزكاة) ، ص ٣٣٦ .

* أوسق : جمع وسق وهو ستون صاعاً أو حمل بعير .

** الذود من الإبل : ما بين الثلاثة إلى العشر ، المرد هنا : خمس إبل من الذود لا خمـس أذواد .

(٢) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، الحديث رقم ٥٠٢، ص ١٣٦ .

(٣) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، (كتـاب الزكاة) ، الحديث رقم ٧٠٢ ، ص ٣٠٣ .

وفى رواية ثالثة ، قال رسول الله (ﷺ) : " ليس فيما دون خمس ذود صدقة ، من الإبل ، وليس فيما دون خمس أواق [من الورق] صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوسق [من التمر] صدقة ".(١)

من الجوانب التى تبرز فيها قيمة الرحمة واضحة جداً قدر المال المخرج من الزكاة ، وصفته فلقد نظرت الشريعة الإسلامية إلى مخرج الزكاة، وأيضا إلى مستحقيها بعين الرحمة ، فلم تظلم صاحب المال ، ولم تجحف به ، وأيضا لم تنقص المستحق ، بل كانت وسطا فى التشريع ، وبهذه الوسطية ، يتحقق التآلف ، والتعاطف والتراحم بين الغنى والفقير ، بين من يعطى من مال الله الذى استخلفه عليه ، وبين الضعفاء الفقراء المحتاجين من إخوانهم .

تجلت رحمة التشريع الإسلامى بالمزكى من خلال تحديد قيمة الزكاة التى يخرجها من ماله، إذ جعلت هذا القدر مرتبطا بالمشقة والمجهود والتعب، فى تحصيل هذا المال ، فاشترطت إذا كان المزكى " يتعب ويخسر على هذا المال ؛ فإن فيه مقداراً أقل من المخرج من المال الذى ليس فى تنميته كبير عناء " . (٢) فقد روى عن أنس (ﷺ) أن أبا بكر (ﷺ) لما استخلفه (أرسله إلى البحرين) كتب له هذا الكتاب مبيناً فيه فريضة الصدقة التى فرضها رسول الله (ﷺ) على المسلمين ، والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعط .. بين فيها مقدار الصدقة وما يخرج منها يختلف بحسب الجهد فى تربيتها ، أما السائمة وهى الراعية ولا راعى لها ، فبين أن صدقة الغنم فى سائمتها "إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة ؛ شاة "، وإذا زادت عن

---

(١) المرجع السابق ، الحديث رقم ٧٢١ ، ص ٣٣٩ .

(٢) موسى بن عبده بن محمد العسيرى : مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

عشرين ومائة إلى مائتين ؛ شاتان ، فإذا زادت على مائتين ، إلى ثلاثمائة ففيها ثلاث ، فإذا زادت على ثلاثمائة ففى كل مائة شاة ، إلى أن قال : فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاه واحدة ؛ فليس فيها صدقة ، إلا أن يشاء ربها " . [1]

كما ظهرت رحمة التشريع الإسلامى ، من خلال زكاة الغنم ، على سبيل المثال– وأن قدر هذه الزكاة يقدر بالجهد المبذول ، والتعب والمشقة فى تحصيل هذا المال ففى التى يربيها الإنسان وينميها زكاة ، غير زكاة السائمة.

وكذلك الحال فى زكاة الزروع والثمار " التى تسقى بمؤنة مكلف فيها ربع العشر ، والعشر ، وما يسقى بدون كلفة ، كالذى يسقى بماء الأنهار الجارية ففيه العشر كاملاً " [2] فقد جاء عن جابر (رضي الله عنه) أنه سمع النبى (صلى الله عليه وسلم) قال ، " فيما سقت الأنهار والغيم العشور ، وفيما سقى بالسانية * نصف العشر " [3] وفى رواية أخرى : " فيما سقت السماء والعيون وكان عثريا ** العشر ، وما سقى بالنضح نصف العشر " . [4]

---

(١) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، (كتاب الزكاة باب الغنم) ، الحديث رقم ٧٢٢ ، ص ص ٣٤١ ؛ ٣٤٣ .

(٢) موسى بن عبده بن محمد العسيرى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

*السانية : البعير الذى يسقى به الماء من البئر ، ويقال له : الناضح .

(٣) الحافظ المنذرى ؛ مختصر صحيح مسلم ، الحديث رقم ٥٠٣ ، ص ١٣٦ .

**عثريا : ما سقى بالسيل الجارى .

(٤) محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الحديث رقم ٧٣٧ ، ص ٣٥٢ .

٢- قيمة الإحسان :

كثيرا ما ينصرف معنى الإحسان إلى المعنى المادى الذى جرى به عرف الناس ، وهو الإنعام والتفضل ، أو بذل المال ، أو معاونة الغنى للفقير ، وإن كان معنى الإحسان يتسع ليشمل أكثر من ذلك ، وليس بهذا الضيق .

الإحسان قيمة من القيم الإسلامية ، تتحقق فى سائر العبادات ،ومنها الزكاة ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد " . (١)

لقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق من طيبات ما رزقهم من الأموال التى حصلوا عليها – يعنى التجارة بتيسيره إياها لهم ، أو يعنى الذهب والفضة ، والثمار والزروع التى أنبتها لهم من الأرض ، لقد أمرهم بأن ينفقوا من أجود أموالهم وأنفسه ، وفى نفس الوقت نهاهم أن يتصدقوا برذالة المال ودنيئة – خبيثة – وذلك لأن الله تعالى طيب ولا يقبل من عباده إلا ما كان طيبا . (٢)

ومعنى ذلك أن الله تعالى يأمر عباده بالإحسان فى الإنفاق ، إذ تنبثق قيمة الإحسان– فى التصور الإسلامى – من القاعدة الأصيلة للمجتمع المسلم، وهذه القاعدة هى التوحيد الخالص ، وترتبط هذه القيمة بالتنظيم الاجتماعى من خلال العلاقات الإنسانية فى المجتمع الإسلامى بل إنها تقيم القواعد والمبادئ والموازين للمحسنين الذين يبذلون من أجود أموالهم طاعة الله ورضا له .

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٧ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٧ .

هذا الإحسان الذى يعد شعار المجتمع الإسلامى فى القول والعمل ، ليس مجرد شعار يرفع أو كلمة تقال ، أو تنظيم دنيوى منقطع الصلة عن العقيدة الإسلامية ،والشعائر التعبدية المرتبطة بها ، وإنما الإحسان هو منهج حياة هذا المجتمع ، إذ يستوعب كل نشاط المسلم ، وذلك لأن القيم الإسلامية جميعها تنبثق من أصل واحد ، وهو العقيدة الإسلامية الصحيحة .

وترتكز هذه القيم على التوحيد المطلق الذى هو سمة هذه العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ومن ثم يتصل بعضها ببعض ، ويصعب فصل أى قيمة من القيم الإسلامية عن المنظومة القيمية الإسلامية كلها ، بل إن دراسة أى قيمة إسلامية على حدة ، تكون دراسة ناقصة إذا لم يتم الرجوع إلى الأصل الذى تستمد منه ، وإلى بقية القيم الأخرى التى تكون معها المنظومة المتكاملة للقيم الإسلامية الأصيلة .

قال تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم " . (١)

إن وقفة قصيرة متأنية عند معنى هذه الآية القرآنية الكريمة ، تكشف لنا كيف يدعو القرآن الكريم إلى بناء مجتمع إنسانى مثالى ، متواد ، متراحم ، تسوده قيمة الإحسان إذ توجه المسلم إلى أن يحسن " إلى أقرب الناس إليه ، ثم الإحسان بمن سيكونون قوة فى المجتمع المسلم ، إن ارتبطوا بالمودة ، وألفى المجتمع المسلم إليهم بها ،وهم اليتامى الذين فقدوا كافلهم ، وراعيهم ، ثم يأتى الإحسان بالمجتمع

---

(١) قرآن كريم : سورة النساء ، الآية ٣٦ .

الإنسانى كافة ، ممثلا فى ابن السبيل الذى انقطع به الطريق ولا مأوى له " . [١]

إن الناظر فى القرآن الكريم يجده قد شدد فى الإيصاء باليتامى ، فما من آية فيها الإحسان ، إلا كان لليتيم فيها حظ كبير ، ولقد حث النبى (ﷺ) على إكرام اليتيم ، واعتبر من يكرمه ويكفله فى منزلة النبيين . [٢]

قال رسول الله (ﷺ) : " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا " [٣] وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما ، (رواه البخارى) . وفى رواية أبى هريرة (رضي الله عنه) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة " [٤] وأشار الراوى وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى ، (رواه مسلم) .

لقد بارك رسول الله (ﷺ) كل بيت فيه يتيم يكرم ، فقال (ﷺ) : " خير بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه " .

هكذا نرى أن قيمة الإحسان تتسع حتى تشمل كل خير ، وكل فعل أو قول جميل – يبتغى به وجه الله – وكل سلوك حسن ، بل كل معاملة ترقى بالإنسان ، وتهذب خلقه ، وتقربه إلى رحابه . قال تعالى : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى " [٥]

---

(١) ، (٢) الإمام محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ص ٥٠ .
(٣) الحافظ النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الحديث رقم ٢٦٣ ، ص ١٦٦ .
(٤) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، مرجع سابق ، الحديث رقم ١٧٦٦ ، ص ٤٦٦ .
(٥) قرآن كريم : سورة النحل ، جزء من الآية ٩٠ .

إذا كان العدل فى المجتمع الإسلامى هو الضمان الذى يكفل لكل عضو فيه قاعدة ثابتة للتعامل ، لا تميل مع الهوى ، ولا تتأثر بالحب أو البغض ، وبذلك فهى ثابتة لا تتغير أو تتبدل بسبب مصاهرة أو نسب ، أو غنى أو فقر، أو قرب أو بعد ؛ فإن ذلك من شأنه أن يؤدى إلى سعادة المجتمع الإسلامى واستقامة أفراده ... فماذا يكون الحال لو أن الإحسان اجتمع مع العدل فى المجتمع الإسلامى .. أليس ذلك مدعاة لاستمرار هذا المجتمع ، وبقائه ، ونهضته وأمنه وأمانه ، وتنميته ، وهيمنته .

إن العدل أساس السيادة والملك ، وهو فى المجتمع الإسلامى سبب النهضة والتمكين فى الأرض ، والاستمرار والتنمية ، وإلى جوار هذا العدل الذى أمر به الله تعالى يجيئ الإحسان ،الذى يعد أوسع مدلولاً ، إذ يشمل كل عمل طيب ، بل ويشمل محيط الحياة الإنسانية كلها فى علاقاتها النقية ، فى كل مجالاتها ، الفرد مع أسرته ، وعلاقته بجماعته وأمته ، وعلاقته بالبشرية جمعاء ، ومن صور هذا الإحسان " إيتاء ذى القربى " الذى يؤكد الله عليه ويبرزه ويدل ذلك على عظيم شأنه وخطورة أمره ، إذ أن فيه براً وصلة .

يبرز القرآن الكريم " إيتاء ذى القربى " باعتبار هذا الأمر صورة من صور الإحسان المفضلة والمقبولة لكونها " بر وصلة " وذلك تأكيدا لأهمية هذه القيمة وتعظيما لشأنها ، إذ لا يبنى هذا الإحسان على عصبية الأسرة ، وإنما يبنيه على مبدأ التكامل الذى يتدرج به الإسلام الحنيف من المحيط المحلى إلى المحيط العام ، وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل . (١)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٩٠ .

ورد عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين سأل جبريل (عليه السلام) النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : " فأخبرنى عن الإحسان ، قال : وأن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم يكن تراه ، فإنه يراك " . (١)

يدل هذا الحديث على عظمة قيمة الإحسان ، بل إنها هى قمة الإيمان واليقين ، ومعنى الإحسان أن يشعر المسلم شعوراً صادراً من القلب أن عين الله تعالى تراقبه وتلاحظه وتتابعه ، وتراه فى يقظته ومنامه ، فى حركته وسكوته ، فى عمله وفراغه ، فى صحته ومرضه ، وأن عين الله لا تنام ، إنه سبحانه وتعالى الموصوف بصفات التنزيه والكمال " لا تأخذه سنة ولا نوم " . (٢)

لاشك أن قيمة الإحسان – كما مر بنا –رفيعة الشأن والقدر ، عظيمة المستوى ،وأن القرآن الكريم بأسلوبه المعجز البليغ ، وبيانه الجلى الواضح ، يبين لنا مفهوم هذه القيمة فى أجمل صورة ، وأدق تعبير ،وأرق وأيسر أسلوب ، يعلمنا القرآن الكريم أن الإحسان منهج عمل متكامل ،وأسلوب تربوى عظيم ، من شأنه أن ينشئ الفرد الصحيح الصالح ، ويقيم المجتمع القوى السليم " . (٣)

إن الإحسان قيمة من القيم الإسلامية الدالة على عمق إيمان الشخصية المسلمة ، ولعظم قدر الإحسان ، ورد فى القرآن الكريم لفظ (الإحسان) ما يقرب من مائة وأربع وتسعين مرة ، وكلها تدور حول معنى

---

(١) الحافظ ابن رجب : جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ؛ مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٥٥ .

(٣) حسن حسن سلامة : من مفاهيم القرآن ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ص ٤١ .

" الجمال " والإتقان " و " الإجادة ، وبديع الصنع .. ويلاحظ أن اللفظ يوحي بحالة حسية أو معنوية جميلة تدعو إلى قبول الشئ ، كما يطلق " الإحسان على مقابلة الخير بأفضل منه ، ومقابلة الشر بالعفو والصفح [1] وكل هذه المعانى لا تخرج عن المعنى الذى تدور حوله قيمة الإحسان .

قال تعالى : " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى."[2]، إن من أعطى الفقراء والمحتاجين من ماله ، الذى هو فى الحقيقة مال الله ، استخلفه عليه ، ويسره للانفاق منه فى مجالاته ؛ فقد وصل فى يسر ورفق ، وعاش فى يسر ، يفيض اليسر من نفسه على كل ما حوله ومن حوله ، اليسر فى خطوه ، وفى طريقه ، وفى كل أموره . الصغير منها والكبير ، الظاهر منها وغير الظاهر ، أما من بخل ولم يتصدق ولم ينفق من مال الله الذى أتاه ، وبخل به واستأثر به وحده ، وضن به على إخوانه الفقراء والمحتاجين [3] ولم يراعى فيه حرمة الله ، ولم يوفق لإخراجه وانفاقه كما علمه الله وأرشده ؛ فإنه هو الشقى ، وهو الذى لم يغن عنه ماله الذى بخل به ، والذى استغنى به وكذلك عن الله" وما يغنى عنه ماله إذا تردى " [4]

إن الخاتمة أو النتيجة تستنتج من المقدمات ، فمن أعطى من ماله ، واتقى غضب الله وعذابه ، تصديقا بهذه العقيدة السمحة .. (وهذه هى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة الليل ، الآيات من ٥ : ١٠ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٩٢٢ .

(٤) قرآن كريم : سورة الليل . الآية ١١ .

المقدمات) ، كانت نتيجة وخاتمته الحسنى من الله . وفى الجانب المقابل إن من بخل بماله ، ولم ينفق منه كما علمه الله ، وضن بهذا المال على إخوانه الفقراء والمحتاجين ، واستغنى بهذا المال عن كل شئ ، حتى عن عبادة ربه، بل واستغنى عن الله ، تكذيبا بهذه العقيدة الحسنى ، فإن نتيجته الحتمية أن يعسر الله عليه كل شئ فى حياته وبعد مماته ، وذلك لأنه انحرف عن جادة الطريق واتبع هواه وشيطانه ولم يتبع الحسنى ، وهى العقيدة التى اختارها الله تعالى لخير الأمم ، دنيا وشريعة ، ودستوراً ومنهج حياة .

قال تعالى : " وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين " . (١)

إن التحدث عن الإحسان يرتبط أول ما يرتبط بالإنفاق والمنفقين ، كما يرتبط بالجهاد ، إذ أن الدعوة إلى الجهاد صاحبت الدعوة إلى الإنفاق فى معظم المواضع ، فحين يصل المسلم إلى درجة " أن تعبد الله كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك " حينئذ يكون قد جاهد نفسه ، فترك المعاصى وأقبل على الله تعالى فى سره وعلانيته ، فى صغيره وكبيره ، هنا يتحقق المنهج الإسلامى المتمثل فى القرآن لتربية الفرد وإصلاح المجتمع .

يتحقق الإحسان للفرد والمجتمع بتحقق قيمة الإحسان فى الفرد والمجتمع وذلك بإسلام الوجه والقلب لله تعالى ، فمن أسلم وجهه وقلبه لله خالصا ، فقد حقق قيمة الإحسان ، وبهذا يكون قد استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ١٩٥ .

٣- قيمة الإيثار :

الإيثار من القيم الإسلامية النبيلة ، المتعلقة بالغير ، والإيثار يعني " تقديم الغير على النفس في الخير ، وهو شعار النفوس الكبيرة ، الساعية لخدمة الإنسانية ". [١]

والإيثار عكس الأثرة التي تعني تفضيل النفس على الآخرين ، في حين أن من أهم صفات المؤمنين أنهم يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ، إذ يعد الإيثار على النفس مرتبة عالية من مراتب النفس الكريمة ، ولا تنال هذه الدرجة إلا بالتضحية بشهوات النفس الدنيوية ، ومجاهدتها ، إذ ليس أكرم من نفس تحتاج شيئا من ضروريات الحياة ، ثم تؤثر به غيرها . [٢]

هذه الصورة المشرقة والمشرفة في الوقت ذاته المعبرة عن كرم النفس المؤمنة – ونبلها ، نراها قد تمثلت في الرعيل الأول من أمة الإسلام ، تمثلت في الأنصار الذين استقبلوا إخوانهم المهاجرين ، وقاسموهم جميع ممتلكاتهم ، بما تجاوز إيثارهم ذلك حتى أنهم قاسموهم نساءهم ، وفي هذا امتدح القرآن الكريم هؤلاء الأنصار ، الذين أثروا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم ، حبا في الله ، وطاعة له ورسوله (ﷺ) وقد أنزل الله تعالى فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، قال تعالى : " والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " . [٣]

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) موسى بن عبده بن محمد العسيري : مرجع سابق ، ص ٢٨٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة الحشر ، الآية ٩ .

إن هذه الصورة الرائعة ، المشرقة ، والتى حدثت بين المهاجرين والأنصار فأبرزت ملامح الأنصار ، ومعدنهم ، هؤلاء الأنصار الذين تفردوا بصفات بلغت من صفات الكمال البشرى مبلغا كبيرا ، لم يصل إليه أحد بعدهم، لقد " بلغت إلى الآفاق ، ولولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاما طائرة ، ورؤى مجنحة ، ومثلا عليا ، قد صاغها خيال محلق " . (١)

الإيثار قيمة من قيم الإسلام النبيلة ، والتى ينبغى أن يتحلى بها المسلم ، لما لها من تأثير قوى فى نفوس الناس إذ تجعلهم متعاطفين متحابين الأمر الذى يوثق الصلة بينهم ويزيد عرى العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع الواحد ، وهذا الإيثار عكس الأثرة البغيضة التى تجعل صاحبها مكروها ، منبوذا من المجتمع ، وذلك لأنه لا يرغب أن يؤدى حقه فيه . (٢)

أخذت كلمة إيثار من مادة " أثر " وفيها معنى تقديم الشئ ، تقول : أثر الشئ إيثارا أى اختاره ، وفى القرآن الكريم : (فأما من طغى واثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى " (٣) ويقال : " أثر فلانا بالشئ ، وفى القرآن الكريم على لسان إخوة يوسف عليه السلام : " قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين " .(٤) كما يقال : " استأثر بالشئ ، يعنى خص به نفسه .(٥) وقد أشار القرآن الكريم إلى " خلق الإيثار " فى قول الله تبارك وتعالى : " والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٥٢٦ .

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

(٣) قرآن كريم : سورة النازعات ، الآيات ٣٧ : ٣٩ .

(٤) قرآن كريم : سورة يوسف ، الآية ٩١ .

(٥) مجمع اللغة العربية : المعجم الكبير ، الجزء الأول ، حرف الهمزة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠ ، ص ٨٦ .

فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصـــه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " . (١)

وقال تعالى : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنمـــا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ... " (٢)

جاء فى الصحيح أن " أفضل الصدقـــة أن تصـــدق وأنـــت صحيـــح ، شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر " أى فى حال محبتك للمال وحرصك عليـــه ، وحاجتك إليه " . إن المحسنين الذين قدموا الطعام وهم يشتهونه قائلين بلسان حالهم : " إنما نطعمكم لوجه الله ... " أى لا نريد منكم الجزاء بلسان حالـــهم : " إنما نطعمكم لوجه الله ،أى لا نريد منكم الجزاء إنما الجزاء والثواب من الله، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . " أى لا نطلب المجازاة منكم ، تكافوننا بـــها ، ولا أن تشكرونا عند الناس " . (٣)

كما ثبت فى الصحيح أيضا عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : " أفضـــل الصدقة جهد المقل " ، وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفـــهم الله تعـــالى بقوله : " ويطعمون الطعام على حبه " وقوله تعالى : " وآتى المال على حبه " فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليـــه ولا ضرورة به ، هؤلاء أثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى مـــا أنفقوه . (٤)

إن الإيثار صفة من صفات المحسنين ، الذين أثروا الحياة الباقيـــة ، على الحياة الفانية ، لقد أثروا ما عند الله ، على ما عند البشر ، وفـــى هـــذا

(١) قرآن كريم : سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة الإنسان ، الآيتان ٨ ، ٩ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ٤٨٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .

المعنى روى عن أبى هريرة (ﷺ) ، قال : جاء أعرابى إلـــى رســول الله (ﷺ) فقال : إنى مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه ، فقالت: والذى بعثــك ما عندى إلا ماء ، ثم أرسل إلى الأخرى ، فقالت مثل ذلك، حتى قلــن كلــهن مثل ذلك ، لا والذى بعثك بالحق ما عندك إلا ماء ، فقال : " من يضيف هـــذا الليلــة رحمـــه الله تعـــالى ، فقـــام رجـــل مـــن الأنصـــار ، فقـــال : أنـــا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : هل عندك شئ ؟ قـــالت : لا ، إلا قوت صبيانى ، فقال : فعلليهم بشئ ، فإذا دخـــل ضيفنـــا ، فـــأطفئى السراج ، وأريه أنا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيــه ، قال : فقعدوا وأكل الضيف ، فلما أصبح غدا على النبى (ﷺ) فقال ؛ " قـــد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " . [١]

هكذا نرى أن الإيثار صفة من صفات أصحاب النفـــوس المطمئنـــة ، وهذا الإيثار " فضيلة قرآنية أخلاقية نبيلة ، لا يتحلى بها إلا أصحاب القلـــوب الكبيرة ، والهمم العالية ، والعزائم الثابتة ، لأن الإيثار يحتاج فى تحقيقه إلـــى صبر واحتمال وبذل وكرم " . [٢]

لاشك أن الإيثار وهو تقديم الغير على النفس ، وتفضيل الدين علـــى الدنيا ، وتفضيل ما عند الله ، على ما عند خلق الله ، أنه يحتاج إلـــى صـــبر ومحبة ، وهى ثمرة من ثمرات اليقين ، بل إنها " أسمى مراتـــب البـــذل " [٣]

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد نـــاصر الديـــن الألبـــانى ، مرجع سابق ، الحديث رقم ١٣٠٩ ، ص ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(٢) الدكتور أحمد الشرباصى : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

وأرفع درجات السخاء هو " الإيثار " ، إذ يجود الإنسان بالمال مع الحاجة إليه " والأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء ، وليس بعد الإيثار درجة فى السخاء " . [1]

الإيثار – فى التصور الإسلامى – لا يعنى فقط أن يعطى المسلم أخاه المسلم ويحرم نفسه ؛ لأنه مكلف بأن ينفق ، وأن يبدأ بمن يعول ، فأولى الأرحام الأقرب فالأقرب ، ثم إن المسلم يعطى ما يعطى ابتغاء مرضاة الله ؛ لكن الإيثار يعد لونا من ألوان " الأثرة " أيضا وذلك " لأن الإنسان المسلم حين يؤثر غيره على نفسه تحقيقا لقول الله تعالى فى وصفه الأنصار فى المدينة ، وموقفهم من المهاجرين الذين هاجروا إليهم من مكة ، وشاركوهم حياتهم عن رضا وحب وطواعية ؛ المسلم حين يفعل ذلك إنما يفعل حبا لنفسه بالدرجة الأولى " [2]

قال تعالى : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " .[3] إن الإيثار على النفس مع الحاجة ، يعد قمة عليا من القمم الإسلامية ، وقد بلغ الأنصار هذه القمة السامقة بما لم تشهد البشرية له مثال أو نظير ، وكانوا كذلك فى كل مرة ، وفى كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر وما تعودوا عليه قديماً أو حديثاً .. وإذا كان الخير هو بذل وعطاء ، فإن من صفات المؤمنين البذل والعطاء ، أما الشح فهو المعوق والمانع لفعل الخير ، وما يمكن أن يصنع الخير شحيح ، إذ

---

(١) الإمام الغزالى : مرجع سابق ، ص ٢٧٢ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى ، مرجع سابق ،ص ١٢٩

(٣) قرآن كريم : سورة الحشر ، جزء من الآية ٩ .

الشحيح مشغول بالأخذ وليس بالعطاء . وما يهمه دائماً إلا أن يأخذ ، ولا يهمه مرة أن يعطى ، أما المؤمن الذى وقى نفسه من شحها فقد وقى نفسه من هذا المعوق الذى عاقه أو يعوقه عن فعل الخير ، أو قول الخير ، أو المساهمة فى الخير فانطلق إليه " معطيا ذاكرا ، كريما باذلاً [1] وهذا هو الفلاح الذى كان ثمرة حقيقية للعبادات الإسلامية ، بصفة عامة ، وللزكاة بصفة خاصة .

لقد فرض الله تعالى فى أموال الأغنياء بقدر ما يسع فقراءهم ، ومحتاجيهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا ، إلا بما يصنع أغناؤهم ألا وإن الله تعالى يحاسبهم حسابا شديدا أو يعذبهم عذابا أليما " . [2]

هكذا ربط رسول الله (ﷺ) بين الإيمان وبين قيمة الإيثار ، وشرط لتمام الإيمان أن يكون حب المسلم لأخيه فى الإيمان بالقدر الذى يجعله يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه، ويرضى له ما يرضاه لنفسه [3] وإنه لخير للمؤمنين من أن يرتبطوا برباط المحبة والعطاء والإيثار ، وأن يبذل الواحد منهم لأخيه ما يبذله نفسه ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وإسعاداً للمجتمع الإسلامى بعد ذلك .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثالث ، ص ص ٣٥٢٦ ، ٣٥٢٧ .

(٢) رجائى عطية : من هدى النبوة ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٨٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

٤- قيمة التكافل :

من القيم الإسلامية التى تتعلق بالمجتمع الإسلامى قيمة التكافل ، إذ من خلال هذه القيمة ، وفى ضوئها يتصف أفراد هذا المجتمع بأنهم متعاونون متضامنون ، ويظهر ذلك من خلال الزكاة " التى تؤدى ما تؤديه الضرائب التى عمدت إليها بعض الدول الأوربية منذ القرن الماضى " . [١] إذ تعتبر ألمانيا أول دولة فى الغرب بدأت بتنظيم الضمان الاجتماعى ، بإصدارها أول قانون فى هذا الشأن عام ١٨٣٣ ميلادية ، وقررت ضرائب على رؤوس الأموال وأسمتها " ضريبة الضمان الاجتماعى " [٢]

يتصف المجتمع الإسلامى بأنه مجتمع متضامن أو متكافل ، وهذا التضامن أو التكافل " هو الثمرة الحقيقية الطبيعية لربانية هذا المجتمع ولإنسانيته . [٣] ولاشك أن هناك فرقا كبيرا بين التكافل أو التضامن فى المجتمع الإسلامى ، وشبيهه فى المجتمعات غير الإسلامية ، تلك المجتمعات التى تظهر التكافل والتضامن فى الظاهر ، لكنها فى حقيقة أمرها غير ذلك ، بما تزرعه فى نفوس الضعفاء والمحتاجين من إحساس بالدونية والنقص أوالاحتقار والمهانة . بينما التكافل أو التضامن فى المجتمعات الإسلامية يجيئ نتيجة حتمية لتمسكها وآدائها العبادات الإسلامية ومن هذه العبادات الزكاة التى هى بمثابة " الضمان الاجتماعى " والتى تتحدد أهدافه فى " حفظ التوازن بين طبقات الأمة الإسلامية " . [٤]

إن الإنسان فى العدل الاجتماعى لا يفقد جهده ، ولا تفوقه ، أو رأس ماله وممتلكاته ، بل الأهم من ذلك كله أن العدل الاجتماعى من المنظور

---

(١) ، (٢) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٣٥٥ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٤) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٣٥٥ .

الإسلامى يتميز بأنه عدل ربانى ، وضعه مدبر الكون ، ونفذه رسوله (ﷺ) وهو لذلك عدل سديد فى الشريعة الإسلامية ، وعقيدتها الروحية ، ويعده الإسلام عبادة كعبادة الصلاة والصيام والحج ، عبادة تملأ قلب المسلمين أمنا ورضا وطمأنينة وسعادة . [1]

قال تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم إن الله عزيز حكيم " . [2]

المتدبر لهذه الآية القرآنية الكريمة يستشف منها طبيعة وصفات الشخصية الإسلامية والتى هى نفسها طبيعة وصفات المجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية ، هذا الطابع هو الوحدة والتكافل والتضامن ، الذى يهدف إلى تحقيق الخير الذى أراده الله لها ، وذلك من خلال حفظ التوازن بين طبقات الأمة من الأغنياء والفقراء ، الأمر الذى يصل فى النهاية الأمر إلى دفع الشر المتوقع ، وحيثما وجدت أساليب القوة للأمة الإسلامية ، سادت وقويت عزيمتها ، بل وانتصرت على كل المتربصين بها الدوائر ، والحاقدين عليها .. أما إذا ما دب فيها عامل الضعف والوهن المتمثل فى حب الدنيا ، وكراهية الموت ، والالتفاف حول الذات ، إذا ما وجدت عوامل وأسباب غريبة عن طابع هذه الأمة وطبيعتها ، بعيدة عن عقيدتها ، فإن النتيجة الحتمية هى الفساد ، والفوضى ، وإشاعة الفرقة وانتشار الأوبئة والأمراض ، والانقسامات وبالتالى الضعف الذى يؤدى إلى الهزائم .

لقد حدد القرآن الكريم شروط وحدة الأمة وقوتها ، وموالاة أفرادها وتعاونهم المؤدى إلى هيبتهم واستمرارها ،وهذه العوامل والأسباب تتمثل فى الاتى :-

---

(١) دكتور شوقى ضيف : مرجع سابق ، ص ٨٥ .
(٢) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ٧١ .

(١) الأمر بالمعروف : إن الأمة الإسلامية ، أمة تأمر بالمعروف كما علمها دينها القويم ، وذلك إعلاءً لكلمة الله لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

(٢) النهى عن المنكر : يرتبط الأمر بالمعروف بالنهى عن المنكر ، فهما متلازمان .. ويتمثل النهى عن المنكر فى الانتصار على النفس وهواها وشيطانها ، وإذا ساد هذا المبدأ ؛ فإن النتيجة الحتمية ستكون تحقيق التكافل والتضامن ، والتعاون الإسلامى الذى يريده الله تعالى لأمة الإسلام .

(٣) إقامة الصلاة : إن إقامة الصلاة ، إقامة تامة ، لا أداءً شكلياً روتينياً ، إقامة الصلاة بحقها فى الطهارة الظاهرة الباطنة ، واستحضار القلب ، الممتلئ خوفا من الله وخشية وحباً لله تعالى إذا تمت هذه الشروط للصلاة ، نكون قد أقمنا الصلاة ، ومن علامة إقامة هذه الصلاة أن تثمر خشية الله ، وتنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، والبغى ، وكل الصفات الذميمة .

إذا أقيمت الصلاة على هذا النحو ، هنا فقط تكون عاملاً قوياً من عوامل التضامن والتكافل فى المجتمع الإسلامى .

(٤) إيتاء الزكاة : ترتبط أداء الصلاة ، بإيتاء الزكاة ، وذلك للترابط القوى والتلازم الشديد بين العبادتين ، فإذا أديت الصلاة وأورثت خشية لله تعالى ، لاشك أنها ستؤدى بصاحبها إلى إيتاء الزكاة إذا كان قادرا ميسوراً ، ولن يتهاون فى ذلك .. وإذا أديت هذه الفريضة طواعية لله تعالى وحباً ، بنفس راضية وقلب عامر بالمحبة والإيمان ، من مال طاهر ،

وعرق نظيف ، فإن أداءها سيكون قربى لله وعبادة .
وتكون فى نفس الوقت سبباً فى وحدة الأمة الإسلامية .
وقوتها ، وبها تتحقق الصورة المادية والروحية المثلى
للولاية والتضامن . [1]

لاشك أن من صفات المؤمنين فى المجتمع الإسلامى الوحدة الشعورية، الإيجابية الفعالة ، التى تجمع فى نفوسهم بين الإيمان بالغيب ، والقيام بالفرائض ، والإيمان بالرسل جميعا (صلوات الله وسلامه عليهم) دون تفرقة ، كما نص القرآن الكريم على ذلك بقوله : " لا نفرق بين أحد من رسله " [2] وبعد ذلك اليقين بالحياة الآخرة ، وما فيها من جزاء ، وثواب على فعل الخير ، أو عقاب على فعل الشر ، ونتيجة ذلك من جنة أو نار .. هذا التكافل الذى زرعته العقيدة الإسلامية الصحيحة فى نفوس المؤمنين ، لا توجد إلا فى المجتمعات التى تدين بها فقط .

قال تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " . [3] إن من أهم صفات هؤلاء المؤمنين – الصفوة من الناس – أنهم يؤمنون بالغيب غير المشاهد ، الذى لم يقع تحت حواسهم ، ولم يطلعوا عليه بعد .. وانطلاقا من هذا الإيمان بالغيب فإنهم " يقيمون الصلاة " إقامة تتناسب مع ما جاء بها من مكارم أخلاق ، وقيم ومثل وفضائل عليا .. إنهم يقيمون هذه الصلاة خالصة لله رب العالمين ، ولذلك تكون إقامتهم لها على الوجه الأكمل الأتم ، إنهم يتقربون بهذه الصلاة إلى الله ، وعن طريقها يتصلون به سبحانه وتعالى ، يناجونه ، ويدعونه ، يتوسلون إليه ، ويطلبون منه سبحانه وتعالى العون والسداد والتأييد والرشاد .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الثالث ، ص ١٦٧٥ .
(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٥ .
(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٣ .

إنهم يسارعون فى الخيرات ، ويسارعون بالخيرات ومن صور هـذه الخيرات " ومما رزقناهم ينفقون " . لقد اعترفوا ابتداءً أن المال الـذى بيـن أيديهم وفى حوزتهم ليـس مالـهم ، وإنمـا هـو رزق الله سـاقه إليـهم ، واستخلفهم فيه ، إنه ليس من عند ذواتهم ، ولا من صنع أنفسهم ، ولا فـى مقدورهم أن يكونوا أغنياء أو يكون غيرهم فقراء .. من خلال هـذا الإقـرار والاعتراف بنعمة الرزق من الله ، انبثقت من قلوب هؤلاء النخبـة المؤمنـة " الرحمة " و " التعاطف " و " التكامل " و " التضامن " لإخوانهم المحتـاجين والفقراء من أفراد الأمة الإسلامية شـعورا منـهم بـالأخوة الصادقـة فـى الله تعالى..

ولقد تجلت قيمة الأخوة الصادقة فى الله تعالى ، والتعاطف والتكـافل من خلال آداء هؤلاء المؤمنين لفريضـة الزكـاة ، ومـن خـلال صدقاتـهم وعطاءاتهم ، وبذلهم ، تطهيراً لأنفسهم ، وتزكية لأموالـهم ، وسـخاء مـن نفوسهم ، ومرضاة لربهم ، الذى منحهم هذا المال ، لذا كانت الحياة الإنسانية فى المجتمعات الإسلامية مبنية على قيم الأخوة الصادقـة فـى الله ، وكـانت النتيجة المحتومة ، أنه لا يوجد مجال للخلافات والأحقاد والشحناء والبغضـاء بين أفراد الأمة الإسلامية ، فقرائها وأغنيائها .

لقد كانت مشكلة الأغنياء ، الفقراء هى الشغل الشـاغل للنـاس فـى المجتمعات حتى جاء الإسلام وأوجد الله تعالى لهذه المشـكلة حـلاً حاسـماً يرضى جميع الطبقات ،وكل الأطراف الغنية والفقيرة على حد سواء ، بحيث لا يجوع فى المجتمعات الإسلامية أحد ، ولذلك فرضت الزكاة على الأغنياء ،كمـا دعا القرآن الكريم للصدقة ، وسماها الله تعـالى " تشـريفا " " قرضـا " لـه سبحانه وتعالى ، فقال فى حقها : " من ذا الذى يقـرض الله قرضـا حسـنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة " [(١)] وبذلك لم يجعل الله صدقة الأغنياء تنازلا عـن

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة جزء من الآية ٢٤٥ .

جزء من أموالهم للفقراء فحسب ، بل جعلها " قرضا حسناً " لله تعالى ،فالمتصدق عن ماله كأنما " يقرض الله تعالى قرضا حسناً .

بأداء الزكاة فى المجتمع الإسلامى ، لم يعد العدل الاجتماعى مثلاً أعلى من المُثل التى يتمناها الإنسان ، ويتشوق إلى تحقيقها ، بل أصبح فى الإسلام حقيقة واقعة .. هذا العدل الاجتماعى الذى أقامه الدين الإسلامى ، جعله ركنا أساسياً من أركان الإسلام الخمسة ، إذ أنه عبادة . لقد بنى الله تعالى ورسوله (ﷺ) هذا العدل الاجتماعى فى الأمة الإسلامية ، وأساسه على قيام البر والتعاطف والتعاون بين أفراد الأمة ، وإذا قارنا بين هذا العدل الربانى وما أراده غير المسلمين من إقامة العدل بين الأغنياء والفقراء وجدنا أن العدل الإلهى يحترم إنسانية الإنسان ويحترم حريته .[1]

---

(١) دكتور شوقى ضيف : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

الفصل السادس

الزكاة والصحة النفسية

الزكاة والصحة النفسية

لكى تحدث تغيراً أو تعديلاً فى سلوك إنسان ، فمــن الضــرورى " أن تقوم بتعديل أو تغيير أفكاره واتجاهاته ، إذ أن سلوك الإنسان يتأثر تأثراً كبيراً بأفكاره واتجاهاته " [1] وقد نزل القرآن الكريم لهداية الناس ولدعوتهم إلــى عقيدة التوحيد وتعليمهم قيماً وأساليباً جديدة من التفكير والحياة ، وإرشادهم إلى السلوك السوى الذى فيه صلاح الإنسان ، وخير المجتمع ، ولتــوجيههم إلى الطرق والأساليب الصحيحة لتربية النفس ، وتنشئتها تنشئة سليمة تؤدى إلى بلوغ الكمال الإنسانى الذى تتحقق به سعادة الإنسان فــى الحيــاة الــدنيا والآخرة . [2] ويتوقف هذا على إخلاص الإنسان فى تقربه إلى الله تعــالى . وذلك عن طريق العبادات – ومنها الزكاة – والأعمال الصالحة والتحكم فــى أهوائه وشهواته . بما يحقق التوازن بين مطالبه المادية والروحية ، وهــى المرتبة التى تكون فيها النفس البشرية فى حالة سكينة واطمئنــان وينطبــق عليها صفة النفس المطمئنة . [3] ويتم ذلك عن طريق التعلم ، وتعتبر عملية التعلم هى فى أساسها عملية تعديل وتغيير الأفكار والإتجاهــات ، والعــادات والسلوك . [4]

وفى سبيل الوصول إلى سعادة الفرد والجماعة ، فى الدنيا والآخرة ، شرعت العبادات التى لم تترك عنصراً من عناصر الخير للشخصية المسلمة إلا

---

(١) دكتور محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٥٩ .

(٢) الدكتور سيد عبد الحميد مرسى : ونفس وما سواها (سلسلة دراسات نفسية إسلامية، رقم ٨) القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ص ٢٧٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤١ .

(٤) دكتور محمد عثمان نجاتى : مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

وحثتها عليها ، ولم تترك عنصراً من عناصر الشر أو الفساد ، إلا ونهت عنها وحذرت منها . وهذه العبادات هى أساليب تربوية إسلامية هدفها الترقى بالإنسان ، والوصول به إلى درجة الكمال البشرى إن أمكن ذلك ، إذ هى بمثابة علاج نفسى هذا العلاج النفسى هو فى أساسه عملية تصحيح تعلم سابق غير سليم ، اكتسب فيه الفرد أفكاراً خاطئة أو وهمية عن نفسه وعن غيره من الناس ، وعن الحياة والمشكلات التى تجابهه وتسبب له القلق ، وتعلم أساليباً معينة من السلوك الدفاعى التى يهرب بها عن مواجهة مشكلاته ويخفف بها من حدة قلقه . (١)

كانت العقيدة هى أول شيئ أراد القرآن أن يغيرها فى النفوس ، ولذلك نجد أن آيات القرآن الكريم التى نزلت بمكة فى المرحلة الأولى فى الدعوة الإسلامية كانت تهدف أساساً إلى تأكيد عقيدة التوحيد . (٢) فقد وجه القرآن الكريم الناس إلى ضرورة إفراد الله تعالى بالعبادة والتقديس والدعاء والاستعانة و والاستغاثة .. حتى لا يكون الإنسان عبداً للإنسان ، وحتى لا يذل مخلوق مخلوقاً ، وبذلك يشعر الإنسان بعزة نفسه ، ولا يضل إتخاذ الوسطاء والشفعاء من دون الله ، كما طلب القرآن الكريم من الناس الإيمان بيوم الحساب ، والإيمان بمعرفة طريق الحق الذى ارتضاه الخالق لعباده وربط به سعادتهم فى الدنيا والآخرة . (٣)

لقد نزل القرآن الكريم لتغيير أفكار الناس واتجاهاتهم وسلوكهم ، ولهدايتهم وتغيير ما هم فيه من ضلالة وجهل ، وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم ، ومدهم بأفكار جديدة ، عن طبيعة الإنسان ، ورسالته فى

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٦١ .

(٣) دكتور سيد عبد الحميد مرسى : مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

الحياة ، ويقيم أخلاقاً جديدة ، ومثلاً عليا للحياة ... وقد كان أول شـيئ أراد القرآن الكريم أن يغيره فى نفوس العرب فى الجاهلية هو العقيدة التى كـانوا عليها .... وقد كانت أساليب القرآن الكريم واستدلالاته العقلية مقنعـة فيمـا يعرضه من قضايا وأحكام ، وما استخدمه القرآن الكريم من أساليب الترغيب والترهيب ، وما جاء به من العبادات من أجل تغيير الأفكار وبالتالى التأثير فى الشخصية الأمر الذى ينعكس بدوره على سـلوك المسـلم ، غيـر أن تعلـم السلوكيات الجديدة التى جاءت العبادات الإسلامية من أجلها ، كانت تقتضـى ممارسة هذه السلوكيات مدة طويلة بعد أن يتم التدريب عليها وتثبت .

لقد اتبع القرآن الكريم فى إعداده للشخصية الإسلامية ، وتربيته لها ، وتغيير سلوكها أساليباً عملية ، وممارسات فعلية ، وعادات سلوكية جديـدة يريد أن يغرسها فى نفوس المسلمين " لذلك فرض الله تعالى العبادات المختلفة كالصلاة والصيام والزكاة والحج " . (١)

إن قيام المسلم بالعبادات الإسلامية وآدائها – على وجهها الذى ينبغى أن تؤدى عليه وفى أوقاتها المحددة ، بانتظام – " يعلم المؤمن الطاعـة لله تعالى، والامتثال لأوامره ، والتوجه الدائم إليه فى عبودية تامة ، كما يعلمـه الصبر ، وتحمل المشاق ومجاهدة النفس والتحكم فى أهوائهـا " (٢) وهـذه الأموركلها تؤدى إلى الصحة النفسية للمسلم .

إن العبادات تربى المسلم على حب الناس ، والإحسان إلـيهم ، كمـا تنمى لديه روح التعاون والتكافل الاجتماعى " وكل هذه خصال حميدة تتميـز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة ، ولا شك أن قيـام المـؤمن بهـذه

---

(١)، (٢) دكتور محمد عثمان نجاتى : مرجع سابق ، ص ٢٦٣ .

العبادات – ومنها الزكاة – بإخلاص وانتظام إنما يؤدى إلى اكتسابه هذه الخصال الحميدة التى توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة كما يمده بوقاية من الأمراض النفسية " . (١)

قال تعالى : " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب " . (٢)

إن قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وأطاعوه ، ونفذوا أوامره واجتنبوا نواهيه وأقاموا أركانه ، لاشك أن تطيب قلوبهم وتطمئن إلى جانب الله ، وتسكن ، ترضى بما أعده لها ..... " وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس بالله ، وليس أشقى ممن ينطلق فى هذه الأرض مقطوع الصلة بما حوله فى الكون ، لأنه انفصم عن العروة الوثقى التى تربطه بما حوله فى الله خالق الكون ، ليس أشقى ممن يعيش لا يدرى لما جاء ، ولم يذهب ؛ ولم يعانى ما يعانى فى الحياة ، ليس أشقى ممن يسير فى الأرض يوجس من كل شيئ خيفة لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيئ فى هذا الوجود . (٣)

ليس أشقى فى هذا الوجود ممن لم يتربى بالعبادات ، ويقيم الصلوات، ويؤدى الزكوات ..... ويتقى الله فى سره وعلانيته ، ويطيعه فى كل أمر ، وينتهى عما نهى عنه وزجر .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٦٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الرعد ، الآية ٢٨ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٠٦٠ .

ليس أشقى فى هذا الوجود ممن فرق بين الصلاة والزكاة ، ليس أشقى فى هذا الوجود ممن نقض لا إله إلا الله بواحد من نواقضها ، وهو إنكار معلوم عن الدين بالضرورة ، فعلم تعد تنفعهم ولا تحميهم ولا تعطيهم صفة الإسلام " . (١)

الزكاة هى بذل المال وإنفاقه فى سبيل الله تعالى ، وهى سبيل لتطهير النفس المسلمة من متعلقاتها المادية ، والعمل على تجردها لله وحده ، وفى نفس الوقت هى بمثابة علاج وتطهير للقلوب المؤمنة العامرة باليقين بالله ، وتزكية لها من أمراض القلوب ، إنها تطهير لقلوب الذين يؤدونها ،تطهيرها من الأثرة والأنانية . والشح ، وحب الذات ، وبالتالى تربيتهم على الإحسان والسخاء . والعطاء ، و جود النفس ، كما أنها تربية لمن يستحقها على تطهير قلبه من الحقد والحسد المذموم الذى هو " تمنى زوال النعمة عن المحسود ، وإن لم يصر للحاسد مثلها " . (٢)

الزكاة فى اللغة ، تعنى النماء والزيادة ، والقلب يحتاج إلى أن يتربى، فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح ، كما يحتاج البدن إلى ان يربى ويغذى بالطعام والأغذية المصلحة له ، ولابد – من ذلك – من منع ما يضره ، فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ، ومنع ما يضره ، كذلك القلب ، لا يزكو فينمو ، ولا يتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره .... (٣)

---

(١) محمد قطب : لا إله إلا الله ، عقيدة وشريعة ، ومنهاج حياة ، الرياض ، دار الوطن للنشر، ١٤١٣ هـ ، ص ١٥٣ .

(٢) الإمام ابن تيمية : أمراض القلوب وشفاؤها ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥ .

من أجل هذا كانت الزكاة التى يخرجها المؤمن – طواعية ، رغبة ، لا رهبة ؛ سبباً فى تطهير قلبه من الذنوب ، والأمراض والعلل ، قال تعالى : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها " . (١)

لقد أمر الله تعالى رسوله (ﷺ) أن يأخذ من أموالهم ، صدقة يطهرهم ويزكيهم بها ، وهذا عام ، وإن أعاد بعضهم الضمير فى أموالهم " إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً ، ولهذا اعتقد بعض ما نعى الزكاة من إحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون ، وإنما كان هذا خاصاً بالرسول (ﷺ) .... وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الخاطئ أبو بكر الصديق ، وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة ، كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ﷺ) . (٢)

إن تزكية القلب وتطهيره يعد هدفاً من أهداف التربية الإسلامية ، وإذا كانت التربية تعنى النماء والبركة وزيادة الخير ، فإن الزكاة تعنى نفس الشيئ، الزيادة والنمو ، أو محاولة الوصول إلى كمال الشيئ وتمامه ، وعن طريق الزكاة تتم التزكية .

الزكاة تجعل المزكى واثقاً فى الله ، أكثر من ثقته فيما فى يده ، وأن ما يزرعه فى أرض الخير ينمو ، وأن حاجات المحتاجين والفقراء ، هى الأرض الحقيقية التى ينمو فيها ثواب المؤمن ، وقد دعانا الله تعالى إلى ان نضع فيها البذور الصالحة ، طبقاً لتعاليم الإسلام ، فهى فى حقيقة الأمر نماء، وإن كان الظاهر يقول غير ذلك ، إلا أن الفلاح الواثق من عطاء ربه ، يضع

---

(١) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٠ .

البذور فى الأرض . وهو مطمئن إلى عطاء الله له . وذلك بنمائه لهـا . [١] وأن هذه البذور ستكون ثماراً ، وسينميها الله له أضعافاً مضاعفة ، مصـداقاً لقوله تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائـة حبـة والله يضـاعف لمـن يشـاء والله واسـع عليم " . [٢]

أراد الله تعالى أن يكون إنفاق المؤمن فى سـبيل الله ، طاعـة لـه ، وتهذيباً لنفسه ، وتطهيراً لماله ، ونماءً له ، واستجاشة لمشـاعر الإنسـانية النبيلة ، وارتباطه بأخيه المحتاج والفقير. وتذكيراً لهذا المزكى بنعم الله عليه، وعهده فى هذه النعمة أن يأكل منها فى غير سرف ولا مخيلـة ، وأن ينفـق منها فى سبيل الله فى غير منع ولا من ، كما أراده ، ترضيه وتنديـة لـنفس الآخذ ، وتوثيقاً لصلته بأخيه . [٣]

ترتبط الزكاة بالصحة النفسية للمسلم ، إذ أنهـا تهـذب النفـوس ، وترضى القلوب سواء للمنفق (المزكى) أو للفقير (الآخذ) فتربطهم برباط الحب فى الله ، إذ تغسل أحقاد النفوس ، وما علق بها من تقصير أو من طمع وجشع ، ومن ذنوب ، وتحل محلها الإخاء والصداقة والمحبة ، القائمة علـى الإطمئنان فيما عند الله وفيما فى يد المعطى الذى لا يبخل لأنه مؤتمر بأمر الله تعالى فى العطاء والبذل ، قال تعالى : " الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم

---

(١) على القاضى : أضواء على التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٧٩م ، ص ١٧١ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون " . [1]

إن المن عنصر كريه ، لئيم ، وشعور نفسى خسيس ، وإن نفس المؤمن لا تمن بما أعطت إذ أن المن يعد رغبة فى الاستعلاء الكاذب ، والرغبة فى إذلال الآخذ ،ولفت أنظار الناس إليه بالتوجيه بالعطاء للناس، وهذه كلها مشاعر نفسية لا تجيش فى قلب المؤمن ولا تخطر ، إن المن يحيل العطاء والصدقة إلى أذى للواهب والآخذ على حد سواء ، أذى للواهب بما يثير فى نفسه من كبر وخيلاء ، ورغبة فى إذلال أخيه الفقير [2] وكل هذه الخلال تملأ القلب نفاقاً ورياءً وبعداً عن الله ، وبعداً عن الصحة النفسية التى يتمتع بها المؤمن الذى يعطى لله ، وينفق لله .

تحصل التزكية للنفس بإزالة أسباب الشر منها، فإذا كان الشح مرض، والبخل مرض ، والحسد شر من البخل ، كما جاء فى الحديث النبوى الذى رواه أبو داود ، عن النبى (ﷺ) ، قال : " الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار " وذلك أن البخيل يمنع نفسه ، والحسود يكره الآخرين ، ويكره أن تنالهم نعم الله ، وقد يكون فى الرجل إعطاء لمن يعينه على أغراضه ، وحسد لنظرائه ، وقد يكون فيه بخل بلا حسد لغيره . [3]

---

(١) قرآن كريم سورة البقرة ، الآية ٢٦٢ .

(٢)سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣٠٧ .

(٣) الإمام ابن تيمية : أمراض القلوب وشفاؤها ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

لقد من الله تعالى على المسلمين بأن جعل الزكاة ركنـــا مـــن أركـــان الإسلام الخمسة ، ورغب مع ذلك فى الصدقات ، إضافة إلى الزكاة المفروضة المحدد مقدارها وزمانها وقيمتها ، وجعل هذه الزكاة علاجاً لنفـــس الفتـــى ، وتطهيراً لها من الشح ، والأنانية والأثرة والبخل ، جعل هذه الزكاة وســـيلة لرحمة المحتاجين من الذل والعوز والحقـــد والحســـد ، ووســـيلة للتعـــاطف والمحبة بين الأغنياء والفقراء ، ولقد عبر سبحانه وتعالى عمـــا ينبغـــى أن يكون بين المسلم والمسلم من علاقات حميمة ، بقوله تعالى " إنما المؤمنـــون إخوة " هذه الأخوة هى أعلى أخوة إنها أخوة العقيدة ، التى هى أقـــوى مـــن أخوة الدم والنسب والمصاهرة .

إن الزكاة والصدقات والتعاطف والتعاون بين الأغنياء والفقراء ، يعـــد وسيلة فعالة وعملية لتدعيم الأخوة الصادقة بينهم ، ولاشك أن فلسفة الإسلام تكمن فى حرصه على أن يكون المسلمون جميعاً كالجسد الواحد ، وأن يكـــون المسلم مع أخيه المسلم كالبنيان القوى الذى يشد بعضـــه بعضـــا ويـــؤازره ويقويه ، من أجل ذلك جعل الله تعالى الزكاة أمراً واجباً وحقاً مفروضا ، فأمر بالإنفاق ورغب فيه ، وحذر من البخل ونهى عنه ، فقال رسول الله (ﷺ) : " اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم " (١)

الإنسان – بحكم تكوينه المادى والمعنـــوى – مـــوزع بيـــن أمريـــن متقابلين ، أو اتجاهين متضادين ، أحدهما يصدر عن النفس الأمارة بالسوء ، والثانى يصدر عن النفس المطمئنة ، فأما النفس الأمارة بالسوء فـــهى التـــى تجذب الإنسان نحو التشبث بالشهوات والنزوات ، والتعلق بها ، بينما النفـــس

---

(١) الحافظ المنذرى ؛ مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد نـــاصر الديـــن الألبـــانى ، الطبعة الثانية ، الحديث رقم ١٨٢٩ ، ص ٤٧٨ .

المطمئنة التى نشأت وتربت التربية الإسلامية الحقيقية والتزمت بالشريعة الإسلامية التزاما ظهر آثاره من خلال آداء الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. هذه النفس هى التى تميل بصاحبها نحو التوازن الاعتدال والاستقامة على منهج الله تعالى .

وهكذا يكون فعل الزكاة بالمزكى ، ليسعى عن طريق زكاته ، باعتبارها عبادة مالية – يسعى من خلالها لأن يتربى التربية الحقة لينال شرف القرب من الله ولينال شرف صلاح النفس الإنسانية ، ولينال شرف الاستقامة على المنهج التى اختاره الله تعالى لخاتم الأمم ، وبذلك يكتب الاتجاه الآخر فى الإنسان ، وهو اتجاه الاستعلاء على البشر ، والجشع وحب الذات ، وبذلك تكون الزكاة أسلوبا تربويا يهدف إلى تحصيل وحدة الذات الإنسانية بدلاً من توزيعها وترددها . (١)

ترتبط الزكاة بصحة المسلم النفسية ، إذ تجعله متواضعاً لعظمة الله تعالى امتثالاً لقول رسول الله (ﷺ) ، " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد " [مسلم وأبو داود]

إن الزكاة تطهر القلوب العامرة بالإيمان ، تطهرها من أمراض الأثرة، والبخل والتقتير والشح ، ولم لا وهذه الزكاة " جزء من منهج القرآن فى تربية المجتمع " (٢) وإذا كانت الزكاة تطهر المسلم ، فإن التزكية رفعة وسمو عن تعلق القلب والنفس بالشهوات المادية الحيوانية ، وبذلك يصبح قلب المؤمن مطمئنا لما عند الله تعالى ، غير قلق ، هادئ النفس ، متمتعا بالصحة النفسية .

---

(١) دكتور محمد البهى : مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٢) دكتور عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الخانجى بمصر ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، ص ٢٠٤ .

ترتبط الزكاة بالصحة النفسية ، إذ تجعل المسلم " المنفق " " المعطى " متواضعاً ، غير معجب بنفسه ، غير مغتر بماله ، وبما يملك ، غير ممتن لما أعطاه وأنفقه ، فإن عجب المرء بنفسه هو " المرحلة الأولى من مراحل الكبر " [1] ولاشك أن المسلم الحق " يرد النعم كلها إلى مصدرها وإلى صاحبها وهو الله تعالى . قال تعالى : " ولا تمنن تستكثر " . [2]

أى أن المسلم الذى تربى التربية الإسلامية الحقة إذا ما أعطى عطية، فإنه لا يلتمس أكثر منها ، ولا يمنن بعمله على ربه يستكثره .. فإن من صفات المسلم ألا يستكثر على الله ما قدمه من فعل الخير ، بل من الواجب عليه أن ينكر ذاته ، وينكر جهده ، وينكر ما قدمه للآخرين ، ينبغى بذلك رضا الله ، رغم أنه سيبذل الكثير ، ويقدم الكثير ، وسيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء ، لكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما قدمه أو يستكثره ، ويمتن به ، إن نفس المسلم شاعرة بأن كل ما تقدمه هو من فضل الله ومن عطاياه ، يمنحه الله تعالى ويعطيه لمن اختاره ووفقه لذلك العطاء والكرم والسخاء ، وهذا الاختيار هو اختيار اصطفاه ، وتكريم ، يستحق من المسلم الشكر الجزيل لله ، لا المن والاستكثار . [3]

إن الشخصية المؤمنة السوية وحدة متماسكة ، تصدر سلوكياتها جميعا فى ضوء تمسكها بعقيدتها ، فتهديها إلى سبل السلام والأمن . ولاشك

---

(١) حسن أيوب : السلوك الاجتماعى فى الإسلام ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، دار التراث العربى للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧ ، ص ٧٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة المدثر ، الآية ٦ .

(٣) انظر : – الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ٤٧٠ .
– سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٧٥٥ .

أن العقيدة الإسلامية بالنسبة للشخصية المؤمنة تمثل نقطة ارتكاز تتجمع إليها خيوط حياته ونشاطه وعباداته ، فلا تتمزق شخصيته ولا تتغير ، ولا يدركها القلق والحيرة والاضطراب ، وكلما قويت هذه النقطة واشتدت صلاتها بالعبادات الإسلامية ومنها الزكاة كانت حياة الفرد ونشاطاته أقوى وأفضل .

إن أسباب وعوامل الصحة النفسية ، يكمن فى الأمن والطمأنينة وعدم الخوف أو القلق .. فإذا اطمأن الفرد واطمأنت الأسرة واطمأن المجتمع على حياتهم فى الدنيا وأنهم لا يخافون على أنفسهم أو على أعراضهم ودينهم وعقولهم ونسلهم ، من أن يعتدى عليها أو ينالها ضرر من أى نوع ، فإنهم لاشك سيشعرون بالسعادة ، ويحيون الحياة النفسية الصحيحة .

إن الصحة النفسية نابعة من الأمن النفسى ، وهذا الأمن نابع من لجوء الفرد إلى السند والقوة والحماية ، وتلك أساسيات نفسية ضرورية للإنسان وإذا كانت مصادر الأمن والحماية عديدة ومتنوعة فإن " أعظمها وأهمها الحماية الإلهية والسند والقوة الربانية " [(١)] ويظهر ذلك من خلال تشريعات الله تعالى للمجتمع الإسلامى ومنها فريضة الزكاة .

إن المحافظة على آداء الزكاة فى أوقاتها المحددة ، ومقدارها المحدد، بصورة منتظمة تربى المسلم على الطاعة لله ، امتثالاً لأوامره ، وحبا فى طاعته طلبا لرضاه وفى هذا تربية لنفس المسلم على جهاد نفسه ، وكبح جماحها ، والتحكم فى أهوائها وقمع شهواتها ، الأمر الذى يجعل المسلم قريباً من إخوانه المسلمين ، عن طريق إحسانه إليهم ، الأمر الذى ينمى فى نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعى ، وروح الأخوة الإسلامية الصادقة الدالة على مطابقة القول للعمل ، وهذه جميعا خصال ليست إلا للمسلم ، صاحب

---

(١) دكتور عبد العزيز بن محمد النغيمشى: مرجع سابق، ص ١٤٤ .

الشخصية السوية المتزنة ، الكاملة ، الناضجة ، التى اختارت الباقى على الفانى ، ورضا الله على رضا النفس والشيطان .

العبادات فى الإسلام ، آليات وأساليب اجتماعية ، تعمل على بناء مجتمع إسلامى قوى ، تسوده العلاقات الإنسانية السامية ، وتقوية الروابط الاجتماعية الأخوية ، يتربى من خلالها المسلم " على الارتباط بالمسلمين ، وحينما كان ارتباطا واعياً مبنياً على عاطفة صادقة ، وثقة بالنفس عظيمة ، فهو ارتباط واع لأنه ليس طاعة عمياء للمجتمع ، ولا هياجا جماهيراً عابراً ، يخبط خبط عشواء [1] وإنما هو ارتباط صنعته التصورات الإسلامية الصحيحة للإنسان باعتباره خليفة على شرع الله ، يعيش وسط مجتمع ، لا ينبغى أن ينعزل عنه ، فهو فى حاجة إلى مجتمعه ، كما أن المجتمع فى حاجة إلى كل أفراده .

وإذا كانت الزكاة ترتبط ارتباطا وثيقا بالصحة النفسية ، وأنها تحقق التكافل الاجتماعى فى المجتمع المسلم ، فلا يشعر الفقير بالغربة بين أخوانه الأغنياء ، ولا يشعر الغنى بتعاليه على إخوانه الفقراء ، إلا أن العدالة الاجتماعية التى حض عليها الإسلام، وحققها المسلمون فى المجتمع المسلم، ليس معناها " إلغاء الفقر من هذا الوجود ، بل هى توجب تخفيف ويلاته النفسية والمادية ، فلا يحقد الفقير ، فيكون الخراب ، ولا يحرم من القوت والكساء والإيواء فتصنيع قوى عاملة ، كان يمكن أن تعمل ، وتدر على الجماعة بعملها خيراً ، وتدفع عنها وعن نفسها شراً . [2]

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٢) الإمام محمد أبو زهرة : القاهرة ، دار الفكر العربى . ١٩٧٥م . ص ٣٥ .

ترتبط الزكاة بالصحة النفسية ، فى كونها علاجاً للغنى من جهة وللفقير من جهة أخرى ، فالزكاة تعالج النفس البشرية من مرض البخل ، وكنز المال ، والأثرة لدى الأغنياء وتربيهم على السخاء والعطاء والإنفاق ؛ كما أن الزكاة علاج نفسى للمحتاجين والمعوزين الفقراء من المسلمين ، علاج لهم من داء الحسد ، والحق ، وتمنى زوال نعم الغير ، والحق الذى يسببه الحرمان ، الأمر الذى قد يؤدى إلى الاعتداء على أموال الأغنياء وربما على أعراضهم .

الزكاة بهذا المعنى تعمل على توليف قلوب المسلمين – أغنياء وفقراء – وتعمل على " منع الحسد والحقد ، فالمزكى بزكاته لا يطهر ماله ويزكيه فحسب ، وإنما هو أيضا يطهر قلوب المحتاجين من فقراء المسلمين من الحسد والشرور ، ويقارب بين قلوب المؤمنين ، فيحل التحاب محل البغضاء ، والشكر محل الحسد ، والتعاون محل التنافر والتناحر "[1] وهذه أمور تدل على الشخصية الناضجة التى تربت على مائدة الإسلام ، وتحلت بالصحة النفسية .

تعمل الزكاة عملها فى مجال الصحة النفسية للشخصية الإسلامية ، وذلك من خلال كونها الركن الاجتماعى البارز من أركان الإسلام الحنيف ، هذا الركن هو العبادة المالية ، وهو فى نفس الوقت واجب تعبدى ، اجتماعى ، أخلاقى ، ويظهر آثاره جلية من خلال ارتباطه بالصحة النفسية ، فى كونها سلوكا يدل على عمق اليقين ، وعلى نقاء النفس ، وهى نماء وفى نفس الوقت " طهارة للضمير والذمة بأداء الحق المفروض ، وهى طهارة للنفس

---

(١) محمد بهائى سليم : القرآن الكريم والسلوك الإنسانى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ص ٦٨ .

والقلب – المؤمن – من صفة الشح ، وغريزة حب الذات – التى تتميز به النفس غير المؤمنة ، غير الواثقة فيما عند الله – فالمال عزيز على النفس ، والملك حبيب ، فحين تجود النفس به للآخرين ، فإنها تتطهر وترتفع وتشرق " [١] وفى هذه الحالة تكون الصحة النفسية الحقيقية ، ويكون العلاج النفسى قد أتى أكله وتحققت نتائجه .

الصحة النفسية التى ينبغى أن تتحلى بها الشخصية المسلمة عن طريق الزكاة ، والتى تظهر آثارها فى حب الغير ، وفعل الخير ، وفى العطاء، والسخاء .. تتمثل فى حديث رسول الله (ﷺ) : " إن السخى قريب من الله تعالى ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، وإن البخيل بعيد عن الله ، بعيد عن الناس ، بعيد عن الجنة ؛ قريب من النار ، وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل " .

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بإيتاء الزكاة ، وذلك فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم ، ولم ترد آية دعوة إلى إقامة الصلاة إلا وجاءت مقترنة بالدعوة إلى إيتاء الزكاة .. وما ذكره الله تعالى من تطهير الزكاة للمؤمنين يشمل أفرادهم ، وأيضا جماعاتهم فى تطهير نفوس الأفراد من الذنوب ، ومن أرجاس البخل ، والدناءة والقسوة ، والأثرة والطمع ، وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التى هى سبب التحاسد والتعادى ، والفتن والحروب .

الزكاة تزكى نفوس المؤمنين وتنميها ، وترفعها أعلى الدرجات عن طريق فعل الخيرات ،والبركات ، الخلقية ، النظرية والعملية ، حتى تكون بها

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

أهلاً للسعادة الدنيوية ، والأخروية معاً .. وتكون أهلاً ومثابة للصحة النفسية فى الدنيا ، وجديرة بأمان الله تعالى والسعادة الأخروية . [١]

إذا أديت الزكاة أداءً صحيحاً ، كما يحب ربنا ويرضى ، حينئذ تصير " رياضة روحية " تربى المسلم وتعوده على البذل والعطاء ، بل تغدو " رياضة " روحية على " بذل " هذه الحياة الدنيا كلها رخيصة فى سبيل الله .

إن الزكاة فى حقيقتها ليست مجرد إخراج قدر معين من المال فى رمضان ، أو فى غير رمضان من المناسبات الدينية الإسلامية ، وإلا فما أكثر المخرجين للمال ، من القادرين من غير المسلمين ، ربما بقدر أكبر مما يخرج به المسلمون هذه الزكاة ، ومع ذلك فليس هذا الإخراج للمال من الزكاة فى شئ ، [٢] ومن ثم ليس فى سبيل الله فى شئ .

لما كان المال محبب إلى الإنسان ، بل هو قطعة من النفس ، وجزء من الكيان البشرى بل وهو مقدم على كثير من الأمور الدنيوية للفرد ، من أجل هذا كانت مهمة المرسلين جميعا منحصرة فى تزكية النفوس البشرية وتطهيرها ، والعودة بها إلى نقائها وفطرتها التى فطرها الله عليها ، وذلك بإخراجها من ضلالاتها الطارئة وغيها وماديتها ، إلى النور والهدى والقيم العالية والأشواق النبيلة .

ولما كانت مكانة المال عند البشر جميعا عظيمة – إلا ما رحم ربى – ولما كان حب الإنسان للمال حبا عظيما ، وشديدا ،لذا كان إخراجه ليس بالأمر اليسير ، من أجل هذا كانت العبادات فى الإسلام سبيلا لتطهير الإنسان ، وكانت الزكاة على وجه الخصوص " تطهيرا للنفس من هذا الحب الذى يطغى

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة : مرجع سابق ، ص ٣٤٣.

(٢) دكتور عبد الغنى عبود: فى التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧م، ص ٧٥ .

ويردى ، ودليل أخلاقية ، وعظمة نفسية ، استمدت عظمتها وقوتها من فهمها لوظيفة المال فى الحياة ، ومن إيمانها العميق بتعاليم ربها الذى ساق لها الخير " . [١]

وهكذا تعمل الزكاة عملها فى تطهير نفس المؤمن وتزكيتها ، والوصول بها إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ، وإذا تم لها هذا تمتعت بالصحة النفسية من المنظور الإسلامى ، الذى يرى أن هذه الصحة النفسية الحقيقية لا تتم إلا عن طريق تطبيق منهج التربية الإسلامية ، الذى يطهر النفس المؤمنة من الأثرة البغيضة .

هكذا تفهم العبادات على أنها لله تعالى ، وأنها وسائل وأساليب وقائية وعلاجية للمسلم ، وأنها ليست كلمات تقال ، أو حركات تؤدى أو أموال تدفع، من الغنى للفقير ، أو أدعية يتحرك بها اللسان ، وإنما هى رياضة روحية ، وأساليب تربوية ، يتروض بها المسلم ، ويتربى بها على السير على منهج الله ، وفق مراداته تعالى بهدف الوصول إلى غاية الإنسان من الحياة والوجود ، وهى العبادة لله خالصة ، وعن طريقها يتم الاستخلاف على الأرض .

من أجل هذا كان للعبادات – ومنها الزكاة – ارتباطها بالصحة النفسية ، فى كونها بمثابة " تدريب للإنسان على قهر نفسه ، وقمع شهواتها، إذ يخرج المزكى كل عام مال الزكاة طائعاً مختاراً ، راضيا مرضياً ، ومنفقا فى سبيل الله من ماله ، على حبه ، ليغيث محروما ، أو ملهوفا من إخوانه ، ويفرج كربهم ، ويفرح قلوبهم ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وإعلانا لطاعته ، وطمعا فى بركته . " [٢]

---

(١) دكتور عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق ، ص ٢٠٧.

(٢) محمد بهائى سليم : مرجع سابق ، ص ٦٨ .

قال رسول الله (ﷺ) : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كربة يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه " . [1]

الزكاة أسلوب تربوى إسلامى لكونها تربى الإنسان وتعوده على " التصدى للشيطان الذى أقسم بعزة الله يوم طرد من رحمة الله – ليغوين ذلك " الإنسان " بكل سبيل ، حقداً منه على ذلك ' الإنسان " الذى فضله ربه عليه ، وتسبب فيما آل إليه من شقاء " . [2]

الزكاة تربى الإنسان على التصدى للشيطان ، فإذا تصدىٰ له ، وقهره بإيمانه ، وصبره ، وطاعته لله ، كان قويا .. وإذا كان الإنسان قويا بالله ، وقد انتصر على نفسه وهواه ، وشيطانه " سهل عليه أن ينتصر على عدوه ، ولن يستطيع المسلم أن ينتصر على نفسه إلا إذا أخذ المنهج الربانى كاملاً شكلا وجوهراً ، فبه يملك الدنيا ، وبه يعيش آمناً مطمئنا على يومه وغده وبه يملك قراره وإرادته ، كما ملك المسلمون الأوائل ، وبهذا المنهج يحق أن يتصف المسلمون بأنهم " خير أمة أخرجت للناس، بعد أن هانوا على أنفسهم، بتركهم هذا المنهج القويم ، وبه يستطيع المسلمون أن يقدموا إلى الإنسانية المعذبة الحل بعودتهم إلى طريق الله ومنهجه [3] وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويعود الأمن والسلام للنفس الإنسانية وللمجتمع الإسلامى والإنسانية كلها .

---

(١) الحافظ النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، مرجع سابق ، الحديث رقم ٢٤٦ ، ص ١٥٥ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

بانتصار المسلمين على أنفسـهم ، يسـتطيعون أن ينتصـروا علـى أهوائهم وشهواتهم وشيطانهم ، وبالتالى ينتصرون على كل من يعاديهم ، وإن الزكاة فريضة تساعد النفس على التخلص من أمراضها الباطنيـة ، كـالكبر والتعالى ، والعجب ، والجشع ، والبخل ، والحرص ، والطمع .. ومعنى ذلـك أن هذه الفريضة وهذا الأسلوب التربوى – المتمثل فى الزكاة – يسـهم فـى تطهير نفس المسلم من الآفات والأمراض الأخلاقية ، التى تتنافى مـع خلـق المؤمن الحق ، الذى تحلى بالتواضع لله وعدم التكبر ، وتمسـك بالقناعـة ، واتصف بالرضا (١) وإذا ما تم ذلك للمسلم ، فإنه يعيش آمناً مطمئناً ، هانئـاً سعيدا ، خالياً من الأمراض النفسية وبالتالى تخلى عن الصفات المذمومـة ، وتحلى بالأخلاق القويمة التى تكون سببا للصحة النفسية .

وإذا كانت جميع مدارس العلاج النفسى تتفق على أن " القلـق " هـو السبب الرئيسى فى نشوء أعراض الأمراض النفسية ، إلا أنها اختلفت فيمـا بينها فى تحديد العوامل المسببة للقلق .. كما اتفقت هذه المـدارس علـى أن الهدف الرئيسى للعلاج النفسى ، والتمتع بالراحة النفسية وبالصحة النفسية ، هو التخلص من القلق وبث الشعور بالأمن فى نفس الإنسان . وهذه المدارس تتبع أساليب علاجية ووقائية ، نفسية وتربوية مختلفة لتحقيق هـذا الـهدف الذى تسعى إليه لكن هذه الأساليب وتلك الطرق لم تنجح دائماً فـى تحقيـق الشفاء التام من الأمراض النفسية وجعل الإنسان سعيداً .

إن من يقرأ فى كتاب الله تعالى ، ويتدبر آياته ويعقلها ، يخرج بأدلـة عقلية ويقينية مؤداها أن الإيمان بالله تعالى وطاعته والعمل بمقتضى تكليفـات الشريعة الإسلامية الواضحة ، والابتعاد عما نهت عنه وحذرت منـه . وآداء

---

(١) دكتور حسن محمد الشرقاوى : الطب النفسى النبوى ، الإسكندرية ، دار المطبوعـات الجديدة ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٠ .

العبادات التى قام عليها هذا الدين ، ومنها " إيتاء الزكاة " هذه أمور تؤدى إلى شفاء النفس الإنسانية من أمراضها، وتحقيق الشعور بالأمن والأمان والرضا، والسكينة ، والوقاية من الشعور بالقلق المدمر ، وما ينشأ عنه من أمـــراض نفسية لا تحمد عقباها .

ومما يجدر ملاحظته أن العلاج – فى علم النفس – يبدأ عـــادة بعـد حدوث المرض النفسى ، بينما الأمر مختلف فى حالة الإيمان بالله إذا ما تربى عليه الإنسان ونشأ النشأة التربوية الإسلامية منذ نعومة الأظفار ، فإن المسلم يكسب مناعة ووقاية من الأمراض النفسية ومن الهواجس الشيطانية ، ومـــن القلق على اليوم والغد ، والصراع على ما يظن أنه خير له .

المؤمن بالله – حق الإيمان – الصادق فى قوله وعملـــه ، لا يخـاف شيئاً فى هذه الحياة الدنيا ، وذلك لأنه سائر وفق منهج الله تعالى الذى وضحه فى العبادات التى افترضها على المسلمين .

يعلم المسلم حق العلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لـم يكن ليصيبه وأنه لا يمكن لإنسان أو لأية قوة فى هذه الحياة أن تلحق به أدنى ضرر أو يمنع عنه خيرا ، ما لم يكن هذا أو ذاك مقدرا له فى علم الله تعالى .

قال تعالى : " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (١)

وقال تعالى : " إن الذين قالوا ربنا الله ثم اســـتقاموا تتـــنزل عليـــهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعـــدون * نحـــن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة * ولكم فيها ما تشتهى أنفســـكم ولكـــم فيها ما تدعون ". (٢)

---

(١) قرآن كريم : سورة الأحقاف ، الآية ١٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة فصلت ، الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

إن التربية بالعبادات – ومنها الزكاة – تزود الإنسان المسلم دائماً بشحنات متتالية من القوة المستمرة من قوة الله تعالى ، والثقة بالنفس المستمرة من الثقة بالله تعالى ، والأمل بالمستقبل المستمر من الأمل بنصر الله وثواب الجنة ، والوعى والنور المستمدين من نور الله تعالى . (١)

يحرص الإسلام على تربية المسلمين بالعبادات ، ومنها – الزكاة – على اعتبار أن هذه العبادات وهذه الزكاة أسلوب تربوى إسلامى ، ولكى تنجح هذه الأساليب التربوية فى الوصول إلى أهدافها يشترط فيها الصدق مع الله ، والتقوى لله أى الصلة الدائمة بالله . (٢)

ومما لاشك فيه أن التربية بالعبادة تجدد نفس المسلم باستمرار ، لا بما تمنحه هذه العبادة من شحنات من النور والقوة والعاطفة والأمل فحسب ، بل بالتوبة التى تزيل عن قلب المسلم وتصوراته ما قد يعلق بهما من أدناس وتمحو من جوارحه أثر ما قد يكسب من آثام وأخطاء . (٣)

إذا كانت الزكاة هى قاعدة المجتمع الإسلامى المتكافل والمتضامن الذى تشيع بين أفراده المحبة والثقة والتعاطف والمواساة ، فما ذلك إلا لأن الله تعالى جعلها حقا معلوما للفقراء فى أموال الأغنياء .. ولا يخفى ما للزكاة من أثر كبير فى تهذيب النفس البشرية وتطييبها سواء المعطى أو الغنى ، أو الآخذ وهو الفقير ، إن للزكاة أثرها فى تهذيب النفس ، والبعد عن الشح الذى هو من أقبح الأخلاق " فمن تمرن بالزكاة ، وأزال الشح من نفسه، كان نافعا ،

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ٥٧ .

(٢) ، (٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

كما كان لها أثرها فى سخاوة النفس التى تبعدهـــا عـــن الصفـــات الدنيويـــة الخسيسة " [١]

إن عظمة الدين الإسلامى ، تتضح من خلال منهجه الـــتربوى الـــذى يقيمه على أساس عبادة الله بمعناها الواسع ، الشامل ، المتكـــامل ، المبنـــى على التقوى ، والموصل للخشية ، إنه منهج يقوم على أساس الصلة الدائمـــة بالله ، لا على أساس الأمور البشرية أو الفلسفات الوضعية ، ولا على أســـاس الأيديولوجيـــات الفكريـــة ، أو الاختلافـــات المذهبيـــة ، أو العنصريـــة ، ولا الاعتبارات الدنيوية .

من أجل ذلك كانت التربية الإسلامية قائمة على أساس العبادة ، التـــى تزود المسلم دائماً بشحنات متتالية من القوة المستمدة من قـــوة الله القـــوى العزيز ومن الثقة بالنفس المطمئنة الواثقة فى الله والمستمدة من اليقين فيه . كما أن هذه التربية الإسلامية – عن طريق العبادات الإسلامية – تزود المسلم بالأمل فى المستقبل ، المستمد من الأمل بنصر الله ، وثـــواب الجنـــة ، كمـــا تزوده بالوعى والنور المستمد من نور الله تعالى [٢] ومن هنا ترتبط التربيـــة بالعبادات ومنها الزكاة بالطمأنينة القلبية ، والراحة النفسية ، بـــل والصحـــة النفسية .

---

(١) دكتور محمد لقمان الأعظمى الندوى : مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق ، ص ٥٧ .

المراجـــع

القرآن الكريم

١) الشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم ضويان : منار السبيل فى شرح الدليل ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، جدة ، مؤسسة قرطبـة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٢) الإمام أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين (المجلد الأول) ، القاهرة ، مطبعة الأنوار المحمدية ، د. ت.

٣) الإمام أحمد بن تيمية : أمراض القلـوب وشـفاؤها ، الطبعـة الثالثـة ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٤٠٢هـ .

٤) الدكتور أحمد الشرباصى : موسـوعة أخـلاق القـرآن ، المجلـد الأول (الجزء الأول والثانى) ، بيروت ، لبنان ، دار الرائـد العربى ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٥) الدكتور أحمد الحوفى : تأملات إسلامية ، القـاهرة ، مؤسسـة الخلـيج العربى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٦) أحمد محمود حسن عياد : الأهداف التربوية للعبادات فى الإسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المنوفية، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

٧) بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسى : العدة فى شرح العمـدة ، فى فقه الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : عبـد الـرازق المهدى ، بيـروت ، لبنـان ، دار الكتـاب العربـى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٨) الإمام الجصاص : أحكام القرآن ، الجزء الأول ، ضبط نصه وخرج آياته : عبد السلام محمد على شاهين ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ .

٩) الإمام الحافظ ابن رجب : جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس ، (الجزء الأول والثانى) الطبعة السابعة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

١٠) الإمام الحافظ زكى الدين المنذرى :مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، الطبعة الثانية ، (الرياض ،مكتبة المعارف) ، (عمان ، الأردن ، المكتبة الإسلامية) ، ١٤١٢هـ .

١١) الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، (أربعة أجزاء) ، الطبعة التاسعة ، بيروت ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

١٢) الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى : موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، الجزء الثالث ، حققه وخرج نصوصه : سليم أسد الدارانى ، دمشق ، بيروت ، دار الثقافة العربية ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .

١٣) الإمام الحافظ النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، راجعه وأشرف عليه : الشيخ محمد على الصابونى ، حققه وعلق عليه : محى الدين جراح ، بيروت ، مؤسسة مناهل العرفان . د.ت.

١٤) الأستاذ أمين الخولى : من هدى القرآن ، فى أموالهم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

١٥) توفيق محمد سبع : قيم حضارية فى القرآن الكريم (عالم صنعه القرآن) ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار المنار ، ١٩٨٤م .

١٦) الشيخ حسن أيوب : السلوك الاجتماعى فى الإسلام ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، دار التراث العربى للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

١٧) دكتور حسن محمد الشرقاوى : الطب النفسى النبوى ، الإسكندرية ، دار المطبوعات الحديثة ، ١٩٨٣م .

١٨) حسين حسن سلامة :من هدى القرآن ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .

١٩) ———————— : من مفاهيم القرآن ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .

٢٠) الدكتور حسين مؤنس : الإسلام فى عشرين آية ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م .

٢١) خلف محمد الحسينى : البيان فى منهاج الإسلام ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م .

٢٢) رجائى عطية : من هدى النبوة (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م .

٢٣) الدكتور سعيد إسماعيل على : أصول التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م .

٢٤) الشيخ سعيد حوى : الإسلام (أربعة أجزاء معاً) راجعه الأستاذ : وهبى سليمان القاوجى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .

٢٥) سهام محمود العراقى : دراسة لآراء المدرسين بمحافظة الغربية نحو التربية الأخلاقية فى المدارس ، دراسة وصفية تحليلية علاجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة طنطا ، ١٩٧٦م .

٢٦) الشيخ سيد سابق : فقه السنة ، المجلد الأول (العبادات) الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .

٢٧) دكتور سيد عبد الحميد مرسى : ونفس وما سواها (سلسلة دراسات نفسية إسلامية ، العدد ٨) ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٢٨) الشيخ سيد قطب : السلام العالمى والإسلام ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، د.ت. .

٢٩) ———— : نحو مجتمع إسلامى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

٣٠) ———— : معالم فى الطريق ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

٣١) ———— : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م

٣٢) ———— : المستقبل لهذا اندين ، الكويت ، الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٣٣) ـــــــــــــــــ : فى ظلال القرآن ، (ستة مجلدات) الطبعة الحادية عشرة ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٥م .

٣٤) دكتور شوقى ضيف : عالمية الإسلام ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

٣٥) الأستاذ عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، القاهرة (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

٣٦) الدكتور عبد الجواد السيد بكر : فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف ، (سلسلة مكتبة التربية الإسلامية ، الكتاب الخامس) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٣م .

٣٧) دكتور عبد الحليم محمود : منهج الإصلاح الإسلامى فى المجتمع ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م .

٣٨) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، سورية ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

٣٩) ـــــــــــــــــ : التربية بالآيات ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سورية ، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩ م .

٤٠) الدكتور عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، عمان ، مكتبة الأقصى ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٤١) الدكتور عبد الغنى عبود : فى التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧م .

٤٢) ———————— : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب التاسع) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٩ .

٤٣) ———————— : ديناميات المجتمع الإسلامى ، (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب العاشر) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٠م .

٤٤) ———————— : فى التربية الإسلامية ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩١م .

٤٥) دكتور عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن فى تربية المجتمع ،القاهرة ، مكتبة الخانجى بمصر ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

٤٦) الدكتور عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، الطبعة الخامسة عشر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٤٧) الدكتور عبد الله بن أحمد قادرى : أثر التربية الإسلامية فى أمن المجتمع الإسلامى ، جدة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .

٤٨) الدكتور عبد الله عبد المحسن الطريقى : الاقتصاد الإسلامى أسس ومبادئ وأهداف ، الطبعة الثالثة ، المديرية العامة للمطبوعات ، ١٤١٤هـ .

٤٩) الدكتور عبد الله محمود شحاته : تفسير سورة النور ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

٥٠) ———————— : فقه العبادات ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م .

٥١) عفيف عبد الفتاح طَبارة : روح الدين الإســلامى ، الطبعــة السادســة عشر، بيروت ، لبنان ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م .

٥٢) الدكتور على أحمد مدكور : منهج التربية فــى التصــور الإســلامى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤١١هــ ، ١٩٩٠م .

٥٣) على القاضى : أضواء على التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٤٠٠هــ ، ١٩٧٩م .

٥٤) على حسن على عبد الحميد الحلبى الأثــرى : الأربعــين حــديثاً فــى الشخصية الإسلامية ، الدمام ، دار ابن القيم للتوزيــع والنشر ، ١٤١٠هــ ، ١٩٩٠م .

٥٥) الدكتور على خليل مصطفى أبو العينين : القيم الإســلامية والتربيــة ، دراسة فى طبيعــة القــيم ومصــادرها ودور التربيــة الإسلامية فى تكوينها وتنميتها ، المدينــة المنــورة ، مكتبة إبراهيم حلبى ، ١٤٠٨هــ ، ١٩٨٨م .

٥٦) الدكتور على عبد الحليم محمود : المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م .

٥٧) دكتور عمر سليمان الأشقر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، الطبعة الثالثة، الأردن ، عمان ، دار النفائس ، ١٤١٢هــ ، ١٩٩٢م.

٥٨) الدكتور عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الإسلامية ، طرابلس ، ج.ع.ل. منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٧٥م .

٥٩) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم) ، جمهورية مصر العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٦٠) ــــــــــــ : المعجم الوسيط ، الجزء الأول (الطبعة الثانية) القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م .

٦١) ــــــــــــ : المعجم الكبير ، الجزء الأول ، الجزء الثانى (حرف الهمزة) ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠م .

٦٢) ــــــــــــ : المعجم الكبير ، الجزء الثانى ، (حرف الباء) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

٦٣) الدكتور محروس أحمد إبراهيم غبان : خصائص التربية ووسائلها ، فصل من كتاب (أ. د. محمد شحات الخطيب ، وآخرون) . أصول التربية الإسلامية ، الرياض ، دار الخريجى للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٦٤) محمد إبراهيم شقرة : المجتمع الربانى ، الطبعة الثانية ، عمان ، الأردن ، المكتبة الإسلامية ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

٦٥) الإمام محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٥م .

٦٦) دكتور محمد البهى : الدين والحضارة الإنسانية (كتاب الهلال ، القاهرة ، دار الهلال ، العدد ١٥٧) ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م .

٦٧) الإمام محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٩م .

٦٨) الإمام محمد بن سليمان : جمع الفوائد ، الكتاب الجامع لكتب السنة المطهرة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م .

٦٩) الشيخ محمد بن صالح العثيمين : شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، حققه وخرج أحاديثه : وائل أحمد عبد الرحمن ، الجزء الأول ، الجزء الثانى ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية د.ت.

٧٠) محمد بهائى سليم : القرآن الكريم والسلوك الإنسانى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

٧١) دكتور محمد سعد القزاز ، أ. صالح أبو عراد الشهرى ، المبادئ العامة للتربية، الطبعة الثالثة ، المملكة العربية السعودية ، دار المعراج الدولية للنشر ، ١٤١٦هـ .

٧٢) ـــــــــــــــ : التربية بالصوم ، القاهرة ، الأنوار المحمدية للطباعة ، ٢٠٠٣م .

٧٣) ـــــــــــــــ : التربية بالصلاة ، طنطا ، الأنوار المحمدية للطباعة ، ٢٠٠٣م .

٧٤) الدكتور محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٨هـ ،١٩٨٧م

٧٥) الأستاذ محمد عطية الإبراشى : عظمة الإسلام ، الجزء الأول ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

٧٦) محمد فاضل الجمالى : تربية الإنسان الجديد ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٦٧م .

٧٧) الأستاذ محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، بيروت، دار الشروق ، د.ت .

٧٨) ــــــــــــ : لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، الرياض، دار الوطن للنشر ، ١٤١٣هـ .

٧٩) ــــــــــــ : منهج الفن الإسلامى ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

٨٠) دكتور محمد لقمان الأعظمى الندوى : دراسات فى الحديث النبوى ، الطبعة الثالثة ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٨١) الشيخ محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن ، الجزء التاسع ، القاهرة مطابع دار أخبار اليوم ، ١٩٩٣م .

٨٢) الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى : مختصر صحيح الإمام البخارى ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، دمشق ، المكتب الإسلامى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٨٣) ــــــــــــ : صحيح سنن النسائى ، الجزء الأول، مكتبة التربية العربى لدول الخليج ، ١٩٨٦م .

٨٤) الدكتور محمود حمدى زقزوق : قيم منسية (سلسلة قضايا إسلامية ، العدد ٨٠) ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، وزارة الأوقاف . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

٨٥) الإمام محمد خطاب السبكى : الدين الخالص ، أو إرشاد الخلق إلى دين الحق ، الجزء الثامن ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م .

٨٦) الدكتور مصطفى محمد متولى : أهداف التربية الإسلامية ، (فصل من كتاب : أ.د. محمد شحات الخطيب وآخرون : أصول التربية الإسلامية ، الرياض ، دار الخريجى للنشر والتوزيع) ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٨٧) موسى بن عبده بن محمد العسيرى : الرحمة فى القرآن الكريم ، الرياض ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٨٨) الدكتور نبيل السمالوطى : بناء المجتمع الإسلامى ونظمه ، دراسة فى علم الاجتماع الإسلامى، جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٨٩) الشيخ ياسين رشدى : الإسلام وأركانه ، (سلسلة كتب إسلامية رقم ٢) ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩١م .

٩٠) الدكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، الطبعة الثانية، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٩١) ــــــــــــــــــــ :العبادات فى الإسلام ، الطبعة التاسعة عشر، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .